

جمهورية العراق
وزارة الأعلام
بغداد

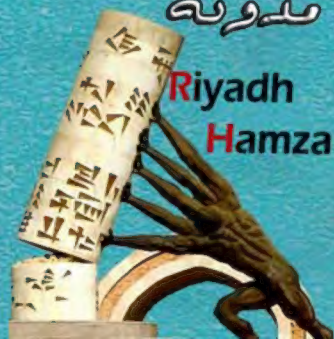
وراء الأفق الأدبي

مقالات

الدكتور
علي حيّو الطاهري

مدونة

Riyadh
Hamza





منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

سلسلة دراسات
(١٢٥)

١٩٧٧

الدكتور عبد الله بن محمد بن عبد الله

وراء الأفق الأزلي

مقالات

المقدمة

(١)

افتتحت جريدة الجمهورية صفحة يومية سمتها « آفاق » تميزت ،
واجتذبت كثيراً من القراء حتى لكأنها جريدة داخل جريدة .

دعيت الى الاسهام في هذه الصفحة ، ففكرت ثم أقدمت آملاً ان يفتح
لي باب خاص « بشؤون من النقد الأدبي » تنشر لي فيه اسبوعياً كلمة
تطمح أن يكون لها ما يمكن من مقومات المقالة الأدبية ، وان كنت أسميها
لدى الحديث عنها : خاطرة ، عطفاً على تجربة لي سابقة في مجلة « المعلم
الجديد » بدأت سنة ١٩٥٨ .

اعتذرت الصفحة عن فتح الباب ورجبت بالنشر تحت باب دائمى
لديها اسمه : « ما وراء الأفق » ينسجم ومضمون الطلب . وجرى ما يشبه
الاتفاق على أن يكون « الخميس » اليوم المناسب للنشر . ما لم يدع داع
الى التقديم قليلاً أو التأخير قليلاً .

ونشرت الكلمة الأولى بتاريخ ١٦-٢-١٩٧٢ .

وسار الأمر وأنا أتلقت القضية من قضايا النقد الأدبي التي تصلح
للصفحة ونط عرضها . وقد يجر الموضوع الى نظيره .

واذ اقترب حزيران كتبت « ٥ حزيران » ، واذ عرضت مسرحية
« الطوفان » كتبت « شاهدت الطوفان » الا ان الكلمتين لم تجدا مجالهما
الى النشر بسبب يرجع الى انصراف الجريدة الى قضايا النقط والتأميم .

(٢)

وتلقت من « إذاعة صوت الجماهير » دعوة للاسهام في برامجها للدورة
الجديدة التي تبدأ في ١-١٢-١٩٧١ : « . . . وأملنا وطيد في أن تتسكنوا

في كتابة أحاديث في النقد الأدبي لا تزيد مدة اذاعة الواحد منها على (١٥) دقيقة لتتولى اذاعتها ضمن برامجنا الأدبية »

ففكرت ثم أجبت راجياً أن يكون الحديث شهرياً (لا اسبوعياً) ، في السبت الأول من كل شهر ، واقترحت أن تكون السلسلة بعنوان « على هامش النقد الأدبي » ولم يكن ما يدور في خلدي ليختلف عن مقتضى « ما وراء الأفق » إلا في الطول .

واذيع الحديث الاول في أول سبت من ٢-١٩٧٢ .

(٣)

توقفت عن الاذاعة بعد الحديث السادس . وتوقفت - مؤقتاً - عن الكتابة للجريدة بعد الكلمة الخامسة عشرة وكان السبب المباشر لهذا التوقف رغبة « الصحيفة » في أن تكون « الكلمات » أكثر تنوعاً وأعم نظراً ، وكانت الرغبة تصدر عن مصلحة صحفية ، أما الكاتب فليس ملزماً . وهنا توقف قليلاً يسترجع الحال وكتب لنفسه كلمة بعنوان « هذه الكلمات » جاء فيها انه « يعترض بهذه الكلمات كثيراً ، واعتزازه بالشكل يفوق اعتزازه بالمضمون . انه لا يكتب ليعلم ولا ليوصل مادة من مواد المعرفة المقررة ولا ليقوم بعملية من عمليات النقد الأدبي ، وكأنه يشعر أن لهذه الامور أماكن أخرى » ، والاعتزاز بالشكل يعني - عنده - العناية الخاصة بالادارة الفنية والسعي الحثيث الى عنصر الطراوة .

واستوجت الحال شيئاً من الاستجمام يرى الكاتب فيه المدى الذي يستطيع أن يصل اليه والمادة التي يمكن أن يتناولها دون أن يجور على مغنطه . وهكذا كان . ونشرت الكلمة المستأنفة الأولى في « آفاق » ٣٠-١١-١٩٧٢ ، حتى اذا اقترب « حزيران » جديد تذكر الكاتب كلمته المؤجلة فبحث عنها فلم يجدها فانطلق يعيد بناءها من فكرة أساسية بقيت في النفس .

وتوقف الاستئناف بالكلمة المؤرخة في ١٢-٧-١٩٧٣ لأن الكاتب بدأ

يحبس بان عمله يقرب أن يستحيل « واجبا » وأنه اذا استمر فرض على قلمه من الموضوعات وساعات العمل مالا يطاوعه فيها وقد يوقعه ذلك في الجفاف ويجبره الى خلاف قصده من التحرير •

أجل ، فقد كان وهو يعد هذه الكلمات يريد لمداها أن يكون أبعد من الخبر الصحفي الذي ينتهي بانتهاء اليوم الزمني الذي تصدر فيه الجريدة، ويريد لها - قدر المستطاع - أن تجمع الطرافة الى رصد الحاضر والاهتمام بالغد • لقد كان - بمعنى آخر - يخطط الى أن ينشرها لدى أول مناسبة في كتيب خاص •

ذلك رأيہ ، وقد يكون على خطأ ، أو على مبالغة ، الا انه لم يكن - في جملة الحال - رأيہ وحده ، فقد أبدى عدد لا بأس به من القراء - او السامعين - اهتمامهم - واعجابهم - وبينهم من اقترح الجمع والنشر • ولم يكن في لهجتهم ما يدعو الى سوء الظن •

(٤)

بقيت المجموعة بانتظار فرصة النشر ، واستأنف القلم - على أمل في الفرصة - شيئا من نشاطه ، ونشرت له « الجمهورية » مقالات لا تخرج عن الجو الصحفي ولكنها قد تتوحد في باب يبدو أقل طراوة وأكثر مادة • ويضم حينئذ - اضافة الى ذلك - مقالة نشرت في « الثورة » عن « القربان » ومقالتين نشرتا في « الرابطة » الأولى عن « المقالة » والثانية عن الجانب التطبيقي من حماسة الشيببي •

(٥)

ويجري حديث في « آفاق » يؤدي الى سؤال عن النقد الأدبي العربي الحديث ، ويأتي الجواب في ثلاث مقالات تنشرها « الجمهورية » • ورأت هيئة جديدة لتحرير مجلة « البيان » ان توسع من دائرتها وتنوع في كتابها فتوجهت الى المؤلف بثلاثة اسئلة من قضايا النقد ، جاء جوابها في ثلاث مقالات •

ولم يكن صعبا ضم الثلاث الى الثلاث لتكون بابا من الكتاب •

,

الجائزة الأولى

اتتهى آخر موعد للمشاركة في مسابقة القصة القصيرة التي نظمتها اذاعة صوت الجماهير • وبلغت القصص المقدمة للمسابقة ٣٢٥ • العدد ضخيم ، ونحن ثلاثة ، ولا بد من منهج ، واقتضى المنهج طرح احدى وثلاثائة بين رديئة جدا ورديئة •

- ترى لم تقدم هؤلاء ؟

- استسهالا للموقف وطمعا بالجائزة واهتبالا للفرصة ••

- ولم لم يتقدم الآخرون ؟

- ترفعا أو خوفا من السقوط •

وليس بين ال ٢٤ ما يستحق الجائزة الاولى •• وكان نقاش بين أن تحجب الاولى وان تمنح لخير الموجود • ولو لم تكن اللجنة منسجمة غاية الانسجام لبلغ الدجل درجة غير محمودة ولجر الى حجب الثانية ، وربما الثالثة •

واذا اقترب الاتفاق على حجب الاولى لوح أحد الاعضاء باوراق سبق أن قرأها فنالت رضاه •

- اقرؤها •• فربما ••

واخذ كل من الاثنين الآخرين نسخة وشرع يقرأ •• جيدة ، تبشر بخير، يمكن أن تكون الاولى اذا استمرت حتى الاخير على هذا النهج وهذا النسج •• لقد حلت لنا اشكالا ، وسوغت الاعلان عن المسابقة ، وهيأت لادبنا قصة جديرة بالاعتبار • وما انتهينا من القراءة حتى كان كل شيء قد اطمأن ، وشرع الثلاثة يكتبون القرار عن رضى وارتياح وغبطة :

، عقدت اللجنة عدة اجتماعات ... وقررت ان تمنح 'القصة' التي
عنوانها (الوصية) ورمز لصاحبها بالرقم السري ٢٣٠ ٠٠ الجائزة الاولى ٠٠ »

وعاد الثلاثة الى تعليقاتهم : لقد انقذت (الوصية) الموقف ، لقد انقذتنا
٠٠ انها جديدة وطريفة ونقية ٠٠ وراح احدهم يبحث عما تهدف اليه هذه
الصفحات الاربع من مغزى ، وعما يسكن ان يكون وراء بنائها من رمز ٠٠
وكاد أن يبلغ درجة الالاح ٠٠

- لا موجب الى هذا الالاح ، انها جيدة وكفى !

- يهمني أن أعرف الرمز .

- انها جيدة من غير هذه المعرفة ٠٠ ويندر ان يكتب في العراق مثلها .
واشك بأن يكون صاحبها واحدا من هؤلاء القصاصين « المحترفين » من الذين
أصدروا مجموعة او لم يصدرُوا ٠٠ انا ملنون بما كتبوا ، وليس في (الوصية)
نفسهم في عبثهم وجدهم ٠٠ وما كادوا ان يبلغوا جدها ٠٠ وتماسكها منذ
البداية حتى النهاية ، ان كل كلمة فيها تقود الى معنى من الصميم ، ولكل
سطر مكانه الطبيعي الوطيد ٠٠ ولم تعد ما في الجديد من نكهة يدل بها
الجديد في الايام من وراء ضباب وشاعرية واسطورية واقعية وفي فن
الادارة الذي يبعدها عن المقالة وينزهها عن التسجيلية .

انها تمثل الحلقة المفقودة في التطور القصصي ، انها المرحلة التي كان
على القصة العراقية ان تسربها بعد الخمسينات .

- ترى من عساه ان يكون صاحب (الوصية) ؟

- سنرفع الارقام السرية ونرى :

- انا مطمئن انه ليس واحدا من هؤلاء الذين يحتلون ميدان القصة
ذهابا وايابا ، وطرذا وعكسا ، وتجربة وخطأ ٠٠ وادعاء - سوف نرى ٠٠

- اني اتسنى على القاص رقم ٢٣٠ ، الذي ابدع (الوصية) اشياء ، منها ان يتلافى مسائل صغيرة في النحو والاملاء والا فتعبيراته سليمة ولغته أدبية ، ومنها الاستمرار على قراءة الروائع ولتكن احدى وسائله الى دلت لغة اجنبية ، ومنها الاستمرار على الكتابة على النمط الذي طالعنا به ، لانه نمط عال ينبعث صادقا عن نفسه ، وعن موهبته . وعن مكونات شخصيته . لم يسع اليه سعيًا ولم يتكلفه تكلفًا ولم يقلد فيه غربًا أو شرقًا .

وافترقنا ..

ومر يوم ويومان وثلاثة .. واذا بالتلفزيون يعلن النتائج ، واذا بنا نعلم ان صاحب « الوصية » المرقم ٢٣٠ هو محمد سعدون السباهي .

اسم نسع به لأول مرة .. ولا بأس ، فهكذا تبدأ الاشياء ، وقد ادينا ما علينا وبقي على السيد السباهي ان يؤدي ما عليه ، عليه التمسك وهي طويلة وصعبة تقضي جدا وجهدا .

ان الجائزة تعني أمرين :

الاول : ٨٠ ديناراً .

الثاني : قابليته على كتابة القصة .

وارجو الا يذهب بك الخيال بعيدا فيستحيل الفوز غرورا ، والغرور هبوطا . وكم قبلك من خيب ظننا وآل ماؤه سرايا ، وبرقه خلبا .

نرجو ان تكون عند حسن الظن . تهانينا ..

وانا لمنتظرون .

١٦-٢-١٩٧٢

مواهب صغيرة

– ماذا تقول في شاعر يقول الشعر وي جيد ، وتلوح عليه مخايل الابداع ،
وينشر ديوانا حسنا .. ثم لا يستطيع ان يرتفع أكثر من ذلك مهما يواصل من
نظم او نشر ، فيلجأ الى الافتعال ويقرن افتعاله بدعوى التجديد مستغلا كل
الوسائل للاحتفاظ بلفظة الشاعر ولفظة الشاعرية .. ماذا تقول ؟

– اقول : موهبة صغيرة •

وليس هذا الشاب وحيدا في بابه ، فمثله العشرات من عاصره او سبقه
أو لحقه .. انهم يتفاوتون في مدى الافتعال والادعاء والاستعداد • ولكنهم
يتوقفون عن الابداع .. فماذا تقول ؟

– اقول : موهبة صغيرة •

لقد استنفدوا طاقتهم في القصائد الاولى ، ولكنهم يصرون على أن يبقوا
شعراء كأنهم استطابوا اللفظة • وهم – في ذلك – يغالطون انفسهم ويغالطهم
آخرون خوفا ، وطسعا او مجاملة .. او كرها .. اما المواهب نفسها فقد كانت
صادقة اذ اعطت كل ما لديها وصرحت بما آلت اليه من مصير •

ولو لم تكن المواهب صغيرة لكان وراء الالاح شيء ، ولكان بين
العشر والعشرين من القصائد قصيدة : ولا يجدي الالاح اذا لم يكن رصيد •
اننا نطالب المجد بالاستمرار بشرط وجود الرصيد الذي يمد كل جديد
بإبداع ، اما اذا لم يكن وراء الاستمرار رصيد ، فالخير – له ولنا – في
التوقف والانصراف الى عمل آخر •

– أما يمكن ان تكون للموهبة بقية لم تستثمر ؟

ممكن ، ولكنها بقية ليس غير ، وان بقاء صاحبها حيث هو لا ينفعها ،

وان تكرار التجربة لا يجديها • وربما يكون في سفر بعيد من مجتمع آخر ما يثير الكوامن ويشحذ الهمم •• وينفع شيئاً - شيئاً فقط ، وقد يدرك هناك حقيقة نفسه ، فينكفي •

- دعوت الشعراء ذوي المواهب الصغيرة الى الانصراف الى عمل آخر ، ماذا يسكن ان يكون هذا العمل ؟

- قد يكون لهم في الحدادة نصيب ، وعد يكون لهم في النجارة نصيب •• اما من اجتاز منهم الى الادارة ومناضد المكاتب فقد يكونون اذكاء وقد يكونون على غير ذلك •• اذكاء لانهم عرفوا انفسهم وارادوا عيشاً لا تنسخ فيه ايديهم وملابسهم ، وغير اذكاء لانهم حسبوا في المناضد ما يسكن ان يعوض عن النقص وان يغطي على الحقيقة وان يجتذب المادح والمطري •

انها قد تعوض ، ولكن على سبيل المخادعة فقط • فما هكذا فعل - ويفعل الشعراء الكبار في الشرق والغرب ، في القديم والحديث • انهم كبار لان مواهبهم كبيرة • وان هذه المواهب هي التي تفرض المكانة العالية والمنزلة المرموقة والذكر الذي لا ينزل من سموه حقد حاقد او جور جائر • وانهم يستترون على التناج لان مواهبهم الكبيرة تسلي عليهم معاني الاستمرار وتسير بهم من بديع الى ابدع •

- اراك خصصت الشعراء دون سواهم ؟

- لان سؤالك كان عنهم •• والا فليس القصاصون باحسن حظاً ، ولا كتاب المسرحية •••

ان المرء هنا يكتب القصة والقصتين ويصدر المجموعة والمجموعتين •• ويدل على مقدرة ، ولكنه لا يرتفع بعد ذلك • ولا بد من ان نحسد للذين توقفوا منهم •• اما الذين لا يريدون ان يعرفوا انفسهم فليعلموا انهم لا يخدعون الا انفسهم ، ولا بجديهم المنطق المتلوي والطريق الاعوج •

انهم مواهب صغيرة قد استنزفت مادتها ، فليكفوا ، وفي ما قدموه

كفاية والناس ينتظرون الجديد والاحسن ويملون المستوى المنخفض ، ويزداد الملل على مر الزمن فيستحيل نكرانا واستنكارا •

لقد احسن من هؤلاء من غير مجرى نشاطه الى ما يمكن ان ينتفع به وينفع ، والا فهل كان لزاما على المرء ان يكون قصاصا ويبقى قصاصا ؟
أأبقى أمتص عقب السكارة ولم يبق منه تبغ وورق ؟! الارض واسعة •

اننا - ايها السادة والسيدات - في احسن احوالنا مواهب صغيرة تمر ببالها مطامح أمل المواهب الكبير • فما نكاد نتقدم حتى تتأخر ، كمن يعتزم قطع طريق طويل بسيارته ، فما يسير حتى يرى ان « البنزين » قد انتهى ••
ولو كانت المواهب كالبنزين لاشتريناها وواصلنا السير وقطعنا الطريق كله •
ولكن الموهبة ليست كالبنزين لحسن الحظ •

- لحسن الحظ ••

١٩٧٢-٢-٢٤

الجواهري وحده .. !

الجواهري وحده شاعر الجماهير ، اي الشاعر الذي له الجمهور ، الشاعر الذي يرتفع اليه الجمهور وهو يعلو بفنه ، ولم تحدثه نفسه يوما ان يستهين بالفن العالي تملقا للعامة او للفكرة ، أو أن يلوث هذا الفن بخروجه عن طوره تكلفا للغموض وادعاء للتجديد . ولو حاول لما طاوعته نفسه . ولم هذه المحاولة الرخيصة التي تأبأها الموهبة الكبيرة . ان الموهبة اقوى من الاسباب الموجبة للتنازل .

وفنه من العلو كما تعلم - ويعلمون - لغة وخيالا وصورا واشياء أخرى تستعصي على التحديد ، وكم وكم بحثوا عن عيب فقالوا ، لغته جاهلية ، صوره معقدة ، الخاصة لا تفهمه فكيف العامة ؟

والقائلون هؤلاء اصناف لا يعلم عددها حتى الجواهري نفسه ، وما عهدي بالجواهري يآبه لاعدائه من شتى صنوفهم ، من يستحل دمه منهم ومن يقض مضجعه الحقد عليه ومن تأخذه الراجفة اذا سمع اسمه او تخيل رسمه .. لغير سبب .. ولا تصدق عشرات الاسباب التي يقدمونها ، فما هم بمخلصين في واحد مما يعدون .. والا فالمسألة لا تحتل التعدد .. انه شاعر ، وانهم لا يبلغون مداه ، وقد جهدوا فأدبهم السعي ، وهم في الانحطاط عنه سواء : قرييهم وبعييدهم ، صديقهم وعدوهم ، جديدهم وقديمهم .. انه شاعر ، وهو يعرف ذلك جيدا جدا ، وهذا سر ترفعه عما يضيع فيه الآخرون أوقاتهم ..

اما هم .. فيدل موقفهم على انهم ليسوا شعراء حتى فيما يرونه لانفسهم من الشاعرية .

قالوا : ان لغته جاهلية وصوره معقدة ، الخاصة لا تفهمه فكيف العامة؟

كانهم وجدوا بذلك عيبا كبيرا ، ولم يكونوا فيه باغبياء جدا ، لان كلامهم يرمي الى تجريد الجواهري من جماهيره ، واذا تحقق لهم ذلك ، فليذهب الرجل حيث يشاء ، وليكن من يكون .

وحجتهم صحيحة .. ولكنها تفقد قيمتها لدى التطبيق ، انها تنزل تحت الصفر اذ يعتلي الجواهري المنبر فيفهمه الحاضرون على اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافتهم : يفهمه المعقدون والبسطاء ، وربما كان البسطاء اليه اسرع .
الفهم الادبي أن تسمع — أو تقرأ — فتأثر ، فتتسجم مع الشاعر انسجاما تاما وتستحيل وأياه واحدا .

الجواهري صعب ، وصعب جدا ، انا معك ، وقد يكون اصعب من الجاهلي والاموي والعباسي .. ولا بد ان يكون اصعب .. ولكنه — مع ذلك — اسهل شاعر بدليل انسجام العامة واياه وتأثرهم بسعائيه واعجابهم بفنه — ولا غرو أن سمي (شاعر الرعاع) .

ولم ينفذ الجواهري الى العامة الا عن طريق واحد ، هو طريق الشعر العالي والفن الصعب ، والا فما رأيناه يستجدي المدح ، وما عهدناه يضيق بالنقد الشريف ، وما لحظنا انه يجمع حوله زمرة تدعو اليه فتدفع عنه وتهجم على غيره . ان تكون جماهيريا لا يعني ان تضحي بالفن ، ولا يعني الركة في اللغة والضحالة في الفكر ، ولا يعني التمسح بالشعارات فيكون الهتاف للشعارات او التشبث بالتمثيل فيكون التصفيق للتمثيل ، والالتناء لجهة فيكون الاعجاب بالالتناء ولا يعني كذلك ان تدعي فكرة الجماهير فاذا هي لعق على اللسان لا تورثك غير التعالي والاختيال والصعر .

ليس المهم ان تكون ذا جمهور فقط ، وانما المهم ان تكون ذا جمهور لانك شاعر فقط .

لقد التقى في الاعجاب بشعر الجواهري عدوه وصديقه ، اما اعجاب الصديق فيسهل فهمه ، ولكن العسر في اعجاب العدو ، فلا بد من ان يكون

للشاعر سر غريب يأسر به ويستولي •• ويؤثر حتى في هذا المخلوق المصمم
المستعصم •

والتقى المثقف وغير المثقف •• المثقف يدرك اجزاء من الابعاد ، وهذا
ممكن ، ولكن لا بد من ان يكون للشاعر سحر عجيب يجتذب غير المثقف
طواعية وعن رضى •

والتقى المختص وغير المختص •• اما المختص فأمره طبيعي ، واما غير
المختص فلا بد من ان يكون أمره طبيعيا كذلك •

والتقى طالب الصورة المتشابكة المبدعة البعيدة الغور التي يصعب
السيطرة على اجزائها وضم الكف على صميمها •• وطالب المعنى التعليمي
الرخيص من حكمة وعبرة ومغزى •• وهذان على تباعد ما بين اطرافهما
لا يفضلان على الجواهري غيره ممن يرون في انفسهم انهم احسن صورة أو
أكثر « وطنية » او ممن يسقطون الى الدرك الاسفل من التقريرية والعامية •

— لماذا ؟

— •••

٢-٣-١٩٧٢

يوسف الصائغ . . . حاله !

عرفته منذ عام ١٩٥٤ ، ولم يكن طالبا اعتياديا في دار المعلمين العالية ، فقد كان يشتمل على أديب ، ومن كان كذلك تمرد ، ومن تمرد فر خارج الدار . . . واداه العناد الى ضرر ظاهري .

وتخرج . . . وذاق حلو العيش . . ومره ، وكان راسب المראה في القعر اضعاف الحلاوة على السطح .

ثم استأنف الحياة ، وطلع على الناس كما كان في حقيقته اديبا ، وكان هذا الاديب ينتظر تجربة قاسية تملأ على صاحبها الاقطار ، وتعيده الى الجـد . .

كتب الخاطرة باناقة ولباقة بما يستهوي القاريء ويذكره ان الخاطرة - المقالة فن فيه شعر وفيه قصص .

كتب فاعجب ، وخرجت الاناقة احيانا عن حدودها فوقعت في غموض صادر عن « الما حول » مرة وعن اللعب بالرزق مرة .

انه مقالتي جيد ، ويمكن ان يكون اجود لو انصرف الى المقالة ، وسهر على تشذيبها ولم شتاتها قبل ان يرمي بها الى الجريدة او المجلة .

- فهل يستطيع ان يكون مقاليا ؟

- تبدو المسألة سهلة !

وكتب القصة وجود فيها ، وكانت « اللعبة » انموذجا لمقدرته ودليلا على ما يمكن ان يحقق . . لغة وشعرا وتأنقا . . . جدا وهزلا . . . ايجازا وتفصيلا .

ولا غرو ان قرئت « اللعبة » واعجب بها كثيرون ، ولا غرو ان نفسه عليها اخررن - ولا يسكن ان تصدر اللعبة الا عن قلم بعينه - .

كم يتمنى القاريء لو شفعتها بأختها ، وتلافى ما يمكن ان يكون فاته ،
ليتوطد الفن وتشتد به الصلة •

- فهل يستطيع ان يكون قصاصا ؟

- تبدو المسألة سهلة !

وكتب الشعر •• فانشد في مجالسه الخاصة « رياح بني مازن » :
« وكالذئب ذقت دمعي فاختنقت »

ثم نشرها في مجلة •• فكانت جديدة •

وانشد في مجالسه الخاصة « انتظريني عند تخوم البحر » :

« ••• اخبز بالحقد لاهل الجنة أرغفة من الذهب »

٨١٢ < <

ثم نشرها مستقلة •• فكانت جديدة ••

وانشد في مجالسه الخاصة « اعترافات مالك بن الريب » :

« اشترطت موتا بلا ندم ••• »

والقاها في المربد الاول فكانت من مباحج المهرجان ، وكانت جديدة •

وها انت ذا ازاء ديوان يضم الى القصائد الثلاث رابعة بعنوان

« سفر الانشاد » :

« من يخلع لي ضروس العقل ••• »

ويبقى الطريق متصلا ولا من جواب ، لانه غير جاد ، ولانه لا يتضرع

الا حين يخلو الى نفسه فيرى « الوجه المعروق بلا عينين ولا شفيتين » حتى اذا

راه واختلجت نفسه قال : انه وجه هناء الشيباني - وما هو بصادق ، وما هو

بجاد ••• ما هو بهناء وما هو من بني مازن ، وما هو مالك بن الريب وما

هو بيدر شاكر السياب وانما يختار منهم ما يناسبه ويضفي عليهم ما يناسبهم

او لا يناسبهم •• وما فيه اكبر مما فيهم ••

انك ازاء ديوان بعنوان « اعترافات مالك بن الريب » تقرأه فترى نفسك

ازاء شاعر من طراز خاص ، فنان يمزج الحقيقة بالخيال حتى يضيعها فيه ويضيعه فيها ، ويمزج التراث بالمعاصر فتعجب له ، واليومي بالاسطوري فتدهش له ... والواقعي بالسريالي ، والمسيحي بالمسلم والشيوعي بالاشيوعي .. ويمزج يوسف الصائغ بأي دم وأي خوف او أي حساب وأي شجاعة .. يدخل نفسه فيها أو يدخلها في نفسه - كأنك من شعره في يوم القيامة ويوم ينفخ في الصور ...

لقد مزج الشعر بالقصة اذ كتب القصة ... وهو اليوم يمزج القصة بالشعر اذ يكتب الشعر ..

وبز - على غير انتظار منه او منا - كثيرين ممن عرفوا بالشعر او من لم يعرفوا الا بالشعر حتى كاد ان « يخرب عليهم الشغل » . وربما ضاقوا به ذرعا وتمنوا لو انصرف هذا الطارئ الجديد الى أي من شؤونه الكثر الاخر ... تمنى الشعراء ان يكون قصاصا . وتمنى القصاصون ان يكون شاعرا ؟

- أترأه يستطيع أن يكون شاعرا !؟

- تبدو المسألة سهلة !

ثم انه رسام جيد ، ولن تدعه نفسه دون ان يكتب المسرحية ... واشياء أخرى ... حتى البحث والمجستير والدكتوراه ... ومن يدرينا ، فقد تفاجئه نفسه بأمر لا يعرفه هو فيها ولا نعرفه - نحن - فيه ..

هو ، اذن ، متعدد النواحي ، وهذا حسن مدوح ، فما اجمل ان نتحدث عن انسان منا فتنقول انه : مقالي ، قصاص ، شاعر ، رسام ... هذا حسن ، ولكنه يمكن ان يكون غير حسن ، فقد ينذر بالخطر ، فيضرب هذا الانسان يوما عن كل هذا « لبيع البن في البرازيل » .

هو متعدد النواحي ، وهذا صحيح ، ولكنه يجعل المسألة السهلة صعبة ، فهل يستطيع أن يرتفع في كل ناحية من هذه النواحي عالميا كما لو كان صاحب موهبة واحدة منها ؟

والمفروض الذي يتبادر الى الذهن ان هذا غير ممكن ، فلا بد من ان
تجور - في هذا الانسان - موهبة ويغلب اهتمام على اهتمام •

وهذا المفروض يعني لو ان يوسف الصائغ اختار لنفسه مجالا واحدا لاستطاع
ان يرتفع بذلك المجال عاليا عاليا لانه سيهبه وقته كله وجهده كله ونفسه
كلها •• وسيحول - بذلك - المواهب الاخرى الى ما اختار الاستقلال به
مسترفدا ماءها ، مستوهبا رصيدها ••• الى القصة ان اختار ان يكون
قصاصا والى الشعر ان اختار ان يكون شاعرا •• وهذا لا يكون لان
يوسف الصائغ لا يفعله ولا يستطيعه ••

١١-٥-١٩٧٢

محمد خضير . . . وحده

قال محمد خضير . . . كتب محمد خضير . . . قصة في « الاداب »
وقصة في « الكلمة » . . . مقابلة معه ..
ثناء لا ينقطع ومن كل جانب ..

هو قليل النشر ، قليل الظهور في المجتمع . . . فمن هو ؟ واين يسكن ؟
ومن رآه ؟ ولكن ما ذكرت القصة العراقية المعاصرة الا ذكر ، وما ورد اسمه
الا صحبة التكريم ، وفي التكريم مدح قصصه واطراء بنائه والنص على
تجديده .

وهذه الحال لم تكتب لقاص عراقي ، ولعلها لم تكتب لغير عراقي .
وكنت تحس بصدق اللهجة لدى الثناء . ولا تلسح وراء اهتمام محدثك أي
ظل لقصد خارج عن طبيعة العمل ، فتزداد الحال تقردا وتميزا . . .

وانها - لذلك - تبعث فيك تفاؤلا بأن الحق يعلو والموهبة لا تضيع
والا فمن محمد خضير ؟ واين يسكن ؟ ومن رآه ؟ أم ترى سببا آخر يعود
الى تكوينه ؟ واذا يرد هذا السؤال الاخير ، يرد محاطا باخلاق البيئة بيتتنا
نحن - فنحسب انه امرؤ يحسن الدعاوة لنفسه ، ويحسن ان يؤدي خدمات
لمن يدعوه له ، ويحسن ويحسن . . . اشياء أخرى مما يختل انه لا يحسنها ولم
يفكر بها ، لانه لو كان كذلك لصحب اسمه ما يصحب الاسماء الاخرى من
غمز ولمز وهمز ونبرات تفضح القصد . اما وقد صدرت عن القاص نفسه
على شكل فخر بالنفس وادعاء بالذي لديه وبالذي ليس لديه فهي ادخل في
الفضيحة وأدل على الرخص . ولا يسكن ان تهيب لصاحبها هذا الذكر الطيب
وهذا الاعجاب بالقصص ..

ان حولك قصاصين كثيرين . . يتحدثون عن انفسهم ويحملون الاخرين
على الحديث عنهم ، وهم يحملونك على ما حملوا عليه غيرك . . ولكنك لاتلمح

لمحمد خضير بينهم طيفا .. أو شبعا • فمن هو ؟ واين يسكن ؟ ومن رآه ؟
لقد قرأت له الارجوحة ..

وقرأت له الشفيح ...

وفيها شيء من الفن • ولكنني لم أر فيهما ما رآه الآخرون من عوامل
الثناء الذي لا تنقطع سلسلته ولا ينتهي حده ..

فيهما لمحات انسانية لم تحوها القصة العراقية المعاصرة ، وفيهما
نفس فيه جدة ، ولكنه ليس جديدا كل الجدة • وانما هو امتداد وتطوير
لأنفاس القصاصين السابقين من عراقيين وعالميين • وقد يكون هذا من اسرار
الثناء لانه يعني ان القاص يجد ضمن طبيعة الاشياء منطلقا مما تمليه عليه
ذاته المبدعة دون قصد خارج عن طبيعة العمل ودون استجابة لنزوة مفتعلة
.. يذكرنا حيناً بالجيل السابق عليه .. اما قرأت التكرلي مثلاً ، ويذكرنا
حيناً - اذا انتقلنا من نوع ادبي الى نوع أدبي - بيدر شاكر السياب في
الشعر •

وظل ذكر محمد خضير في اطراد .. ولم اسهم في الذكر لاني لا اعرف
عن الرجل الا القليل • ولم ألم الذاكرين لانهم صادقون في لهجتهم ولانهم
يعرفون عنه الكثير •

ثم كانت مناسبة ذكرى بدر في البصرة وتقاطرت الوفود من داخل
العراق وخارجه .. وفيهم القاص وفيهم الشاعر وفيهم الناقد والصحفي ..
ولو كان غير محمد خضير لعمل المستحيل في أن يلقي بثقله عليهم • انا محمد
خضير • انا الذي نشرت لي « الاداب » الارجوحة .. ونشرت لي
« الكلمة » الشفيح .. وستشر لي « المجلة » في عددها الخاص عن القصة
القصيرة العربية : منزل النساء .. وانا وانا .. وسين وسوف • ولكن أمرا
من هذا لم يحدث • فلم يسأل محمد خضير عن أحد ولم يسأل عنه أحد •
وكان طبيعيا الا يقع أمر من ذلك المفترض ان يقع ، لانه ليس من مزاج الرجل •

وتحين - بعد شهرين - مناسبة « المربد » الاول وهي أوسع من المناسبة السابقة .. ولكن محمد خضير لم يظهر الا في لحظة واحدة من الايام الخمسة الحافلة ..

كنا في البصرة - ومحمد خضير في البصرة - وفي ذات مساء أذ طاف الوفود بتشال بدر قيل هذا « محمد خضير » .. وكان سلام .. وكاد الطلب بنشر مجموعة من قصصه في كتاب يسبق السلام .. وكاد رفضه يسبق الرد على السلام .. وكان ذلك وحده كافيا لان يدلني على اني ازاء شاب من نوع خاص جدا . ويعتني ان اقف منه في اسئلتي واجوبتي كما تقتضي الحال .

واستمرت المسيرة الى النادي ، واذا اجتمع ادياء حول منضدة مستطيلة كان واحدا منهم ، أكثر تضاؤلا في المجلس .. على كثرة ما حطت عليه من انظار واتجهت اليه من افكار .. كان طبيعيا هذا الذي يبدو غير طبيعي .. كان قليل الكلام ، ولكل حرف مما ينطق دلالة في الحزم والجزم تزيده تفردا ..

انه شاب لا يلفت النظر فما بناؤه بضخم ولا صوته بعال ، ولا مجلسه بقلق يتدخل فيما يعنيه ولا يعنيه ، وهو هادىء وصوته هادىء وكأنه درس كل شيء فيه وفي الآخرين وعرف قدره وقدرهم من دون غرور وعلى غير سذاجة . يجيبك على مقدار سؤالك أو أقل ، ولكن في الجواب كفاية ونفاذ . مهتم بأمره ، ساهر على تنمية نفسه ، يقرأ ، يريد ان يتعلم ، يهتم ضميره ، ويسعى - من غير تكلف - الى ان يبقى نظيفا . ولا بد من انه يؤمن بان الكفاءة - ان وجدت حقا - تفرض نفسها .. ويؤمن بأن الانسان اما ان يكتب أو لا يكتب .. ويبلغ به التواضع حدا يجعلك تخشى منه عليه . وتخاف ان يقضي هذا التواضع على طماحه ويفل همته . ان امرأً على هذه الدرجة من التواضع يصعب ان يكتب ويواصل الكتابة .. ولكن الجميل فيه انه تواضع طبيعي ذكي يصدر عن ثقة ووعي ورصانة ويدل على أن الرجل يعرف نفسه ويعرف حدوده . ولم يوقعه ثناء الآخرين - على توافر حسن النية

فيه - في الغرور ومخادعة النفس والابتعاد عن منطق الشاء والخروج به عن طبيعة العمل •

لقد اعجبنا بالرجل الفتي غاية الاعجاب •• واذا انفض القوم الا أقلهم ، أمطره صاحبي بوابل من الاسئلة واثار واياہ عشرات القضايا فبلغ في اعجابه حد المبالغة حتى اذا كان الوداع بلغ الاعجاب بالشخصية المتواضعة حد القلق ، وخشي ان يقتل التواضع صاحبه ، وان يحول المثل الاعلى دون ان يحقق المستطاع ••

انه لمدesh ان ترى شابا تكتب له هذه الشهرة في ميدان ابداعه وهو على هذا التواضع ، ولا بد ان يكون الدافع الاول في مثل هذه الدهشة ما ترى في الآخرين ، وما تسمع عنهم ، والا فليس الامر على ما ترى فيه من غلو في الغرابة : شاب يعيش في البصرة ، يزاول التعليم في مدرسة ابتدائية في ابي الخصيب ، يقرأ ويثقف نفسه وله مثل يهمة ان يحافظ عليها • ثم يكتب - بين حين وآخر وعلى مدد متباعدة - قصصا قصيرة محدودة العدد يبعث بها الى بغداد او بيروت فتجد طريقها الى النشر ثم الى القراء فيرى فيها من يرى من نقاط تدعو الى الاعجاب ••

هذه هي طبيعة الاشياء ، وليس في الامر غرابة لو لم تكن الغرابة فينا ، اي لو لم يكن الشائع هو الشاذ ولو لم يكن الغريب هو القاعدة •

يكتب من بعيد وحوله عدد من الاصدقاء ، وينشر ويتقدم ويحقق تقدما من قصة الى قصة ويتوطد فنه ويشتد ساعده يوما بعد يوم • هذا هو الامر الطبيعي • اما انه لا يريد ان يكتب كثيرا ، ولا يريد ان يتعجل فيجمع ما توافر لديه من قصص في كتاب يطبعه ثم لا يلبث ان يلحق المجموعة بأخرى وأخرى ويجعل من القصة القصيرة قصة طويلة ومن القصة الطويلة ثنائية وثلاثية ورباعية •• فذلك من حقه ، وهكذا يجب ان يكون الانسان والا فيصبح غير الطبيعي طبيعيا •

وكرر الطلب على محمد خضير في أن ينشر مجموعته وهو يعتذر

ويعتذر ، وتزايد فما وجد - بعد لأي - بدأ من الجواب .. وصدرت المجموعة باسم « المملكة السوداء » فلقيت الاقبال المنتظر . وكتب عنها من كتب . ولم تعدم من استكثر الثناء . ولم يكن في دوافعه ان المجموعة لا نستحق ، ولكن ربطا لما قرأ فيها بما سمع من ثناء سابق على الكاتب . واستقل آخرون ما كتب عنها ، وهو لدى التحقيق قليل اذا ما قيس بما قاله القارئون عن كل قصة يوم نشرت مفردة ، وقليل اذا قيس بما كتب عن مجموعات دونها قيمة .

وكان صاحبي ممن اعجب بالمفردات كثيرا .. ثم هزه ما رأى من تواضع القاص يوم التقاء حتى ذهب به الامر مذاهب شتى كأنه لم يقدر الامر في الحالين على حجه الطبيعي .. أو بمعنى أدق انه حسب الحال الثانية تواضعا فقط وليست حديث انسان يعي ابعاد نفسه ويدرك اصداء فنه :

- لم يكن - اذا - محمد خضير متواضعا وانما كان أمراً يعرف حدوده .

- انه لا يزيد .. ولا ينقص ، وهذا سر في فضله يجعلنا نطمع بالاحسن والاحسن . فليس قليلا ان يكتب شاب كالمملكة السوداء . وليس صعبا على من كتب مثلها أن يجوزها ويتخطاها .

واذا كان المحبون والمعجبون قد ارادوها اكبر مما كانت ، فكان ذلك من بعض السبب في سكوت من سكت منهم ، فان الكاتب نفسه غير مسؤول عن أحلامهم ، وانه اعرف بالمرحلة التي تؤرخها مجموعته . واكبر الظن ، انه لم يفكر بالمملكة السوداء كثيرا بعد ان صدرت لان همه اتجه للخطوة التالية وللعدة التي يتخذها في هذه الخطوة . وهذا ما يؤلف بعض السبب في سكوته هو .

انه مشغول بالحاضر والمستقبل ، واذا تلفت الى الوراء ، فبمقدار ما يصل الى سمعه من نداء المخلصين ان هذا جميل فتابعه ، وهذا فيه نظر

فانظر فيه ، وعلى كثرة ما لديه من جميل فالنداء الثاني أحب اليه واشد
اهتماما به ، لان المهم لديه ان يقف وقفة وطيدة ويسير سيرة حميدة ، وله
من ثقته بنفسه التي لم تصدر عن غرور ومن ثقتنا به التي لم تقم على هوى
ما يبقى الامل كبيرا •

١٩٧٢-١٢-٢١

قصة الستينات كانت صادقة

تنظر في هذا الذي كتب من قصص « ستيني » بين ١٩٦٥ - ١٩٦٨
بخاصة فتلاحظ يسر ما بات معروفا عنها من تمزق وضياح وقرف وغثيان ...
ان ادبا يقوم على هذه العناصر أدب منحل ، هدمي ، يبغض الحياة ويزري
بالجمال ويبعد عن الخير ..

ولا شك في أن أسبابا خارجية غذته وأدت اليه ، منها الوجودية وموجة
« عالمية » من السخط والضياع ما كان لعدد من الاقطار العربية ان تسلم
منها ، ولم يكن للعراق معدى عنها - طوعا او كرها ، صدقا أو كذبا ...
وهكذا كان ..

ولكن للعراق اسبابه الخاصة وظروفه ، ولشبابه اسبابهم وظروفهم
وحساسيتهم فقد خابت لهم آمال ، وضاعت بهم سبل ، وتقدم متأخر ، وتأخر
متقدم .. الى ما هنالك مما يجب على التأريخ ان يسجله في موضوعية
وإنصاف .

ولابد لهذا الظرف ان ينعكس في الادب وان ينساب الى الحرف ..
وهكذا كان ..

انك لتقرأ هذه القصة او تلك .. وهذه المجموعة او تلك ، فلا تكاد
تجد غير التمزق ..
وكان هؤلاء الشباب ، وهم تحت وطأة الظرف ، يفخرون بنتائجهم شكلا
ومضمونا ..

ولا شك في انهم - والى هذا الحد فقط - كانوا في - جملتهم - صادقين
ازاء انفسهم وازاء فنهم أي انهم لم يعربوا ذلك الاعراب محض هوس ومجرد
تقليد ، ولا أدل على ذلك من هذه الحرارة في آثارهم ..
ثم ..

قاربت الظروف ان تتغير والنفوس ان تستقر ، وبدت خيوط من امل

ولاحث تبشير من ضياء .. وشرع قليل من هذا ينساب الى الادب على سبيل الايجاب . اما ما فهم سلبا فأكثر وأكثر . واقصد بالسلب ما أخذ يظهر على منشئي الموجة من اعياء وتكلف وما يؤديه ادبهم في القراء من برم لم يلبث ان استحال نقمة .. وحسابا شديدا .. وثورة ..

وقد جاءت « الثورة » في مكانها فأتت أكلها - مهما تكن البواث والوسائل - ولا أدل على ذلك من اضمحلال الموجة ونكوص اصحابها واختفاء انصارها .. حتى لم يقم واحد منهم الى الدفاع كأن لم يكن لهم في حالهم الماضي حجة وكأن حاضرم يقتضي السكوت فقط جينا .. أو انتهازا .. أو حسن ظن أو .. أو ..

والان ..

وقد اصبحت الموجة « ماضيا » لم يعد التعصب لها أو عليها مناسبا ، ولا بد للنظرة الموضوعية ان تأخذ سبيلها ولا بد ان تنجلي هذه النظرة الموضوعية عن انصاف ، ولا بد ان ينجلي هذا الانصاف عن الاعتراف بأنها كانت صادقة في التعبير عن « أزمة » قائمة في الفرد العراقي ومجتمعه ، وان اصحابها - وهم شباب - اذ كانوا يزاولونها لم يكونوا في اعماقهم اعداء للوطن أو الانسانية ، لم يكن شيء واضح من ذلك في وعيهم أو قصدهم ، واننا قبل ان ندينهم ، علينا ان ندين الظرف الذي حاق بهم ، وما أكثر ما وقف المؤرخون من ظواهر ادبية - فردية او جمعية - مثل هذا الموقف ، فاتخذوا من « ابداع المبدعين » وثيقة للتاريخ بشرط الا يبلغ الانصاف حد السذاجة فيعمم الخاص ويرى الدخيل والمقلد والمزييف ..

أجل ..

كانت قصة الستينات في جملتها صادقة ..
ثم انك تستطيع ان تختار منها نماذج جيدة الفن - ولكن هذه مسألة أخرى .

كتبت في ١٩٧٠ ونشرت في ١٩٧٣-٢-٧

هل من سبعينات

قالت الخمسينات وحكت الستينات ..

هذه صفحة من خلاصة الوضع الادبي في العراق ..

لقد كف أهل الخمسينات في القصة ولم يبق لهم الا قليل لا يكون ظاهرة ولا يقدم مهما ، ولكنهم أرسوا للقصة مرحلة من اخطر مراحلها ، المرحلة الفنية ... وعملوا في كثير من التواضع ... وانسحبوا في هدوء .

وكتب أهل الستينات كثيرا في حماسة وطماح ولا تعدم ان تجد لهم جيدا تخناره ، الا انهم لم يلبثوا ان اثاروا حربا على سابقهم لغير سبب وجيه ، ولا مر تلتقي فيه معاني الادعاء والغرور وانكار الفضل . وكلما خف وزن أهل الستينات زادت حملاتهم على أهل الخمسينات ، ، حتى اذا قالوا كل شيء — أو كادوا — لم يبق في الميدان غير : قالت الخمسينات وحكت الستينات حتى لكان القائلين يشتون بذلك وجودهم حقا وباطلا ، وظلت المعركة مدة طويلة من جانب واحد ، حتى اذا تطرف الستينيون في دعواهم وفي تمزقهم وتغير الظرف قليلا تصدى عدد من الخمسينيين فكالوا لهم بالصاع صاعين وما كان جوابهم غير سكوت يجمع بين الخوف والاعتراف .

ولم يدم السكوت طويلا فما اسرع ما استأنف الستينيون ادعاء وجودهم على اختلاف في اللهجة واختيار مكان الحديث . فقد يتشبثون بالتبرير وقد يلجأون الى المقهى .. وهم كما يحاربون غيرهم ، يحارب بعضهم بعضا .

والمسألة لا تعدو ان نكون لاجاة .. والا فنحن القراء نبحت عن نصوص نقرأها ، لقد كتب أهل العقد الخامس فشكرا ، وكتب أهل العقد السادس فشكرا ، ولكن مجموع ما كتبه هؤلاء وهؤلاء مرحلة يطالبهم القارئ — بعدها — بمراحل ومراحل ، انه يريد ان يقرأ جيدا وجميلا ، ويتلفت يمتة ويسرة فلا يقع على الجيد ولا يلتقي بالجميل ..

لقد كانت - سيداتي وسادتي - زوبعة في فئجان لم يلبث أن تهشم
ونرجو ان يعلم المتحدثون والمتخاصون والمدعون ان ما علوه ليس كثيرا ،
وان الذي يبقى منه على الزمن اقل من القليل وان الذي سيصبح تاريخا أكثر
من الذي يصبح فنا .. وهذا لا يسرهم ولا يسرنا ، وقد نكون احرص منهم
على سمعتهم ازاء الابداع والاجيال القادمة لاننا واياهم نلتقي غدا في
المسؤولية .. الا ان الذي لا شك فيه ، هو ان السكوت خير من الشرثرة ،
وان يكف كاتب عن مواصلة النشر خير من ان ينشر ردينا .

وهذه صفحة ثانية من تاريخ الوضع الادبي في العراق .

لقد انتهى الامر عند سكوت خير من نشر وان كان لابد من نشر فقمي
سكوت .

وما كان من أمر الشعر فيما جرى لمتعاطيه من ادعاء لا يختلف جوهرها
عسا جرى لمتعاطي القصة . فقد استهانوا بالسياب وادعوا لانفسهم ما كان
لادونيس وجعلوا الشعر ثرا ردينا . واستعانوا بوسائل خارج طبيعة الفن
الادبي ولم تكن الموهبة شرطا لديهم . ولما كان التراث الشعري أعرق لم يكتف
أهله بالخط من قدر أهل الخسنيات وانما امتدوا الى ما وراء ذلك
فاصطدموا بالعسود ، أو أنهم امتدوا لوجود العسود . واستحالت النار دخانا
وقارب الدخان ان يستحيل رمادا .

اما في المسرحية .. والنقد فلم تكن مسألة « العشرات » فائسة على
وجه يذكر .

والخلاصة هي اننا - نحن القراء - نبحت عن الجيل فلا نجده ، فيطغى
علينا الاسى ، وقد نجد شيئا من جيل فنفرح ، الا انه يبقى في حدود ضيقة ،
يضرر بدل ان ينمو ويسفل عوض أن يعلو ..

وليست المسألة الراهنة مسألة العشرات الماضية وما ادت وما خلفت ،
فذلك أمر يتكفله التأريخ الادبي ، وانما هي مسألة العشرة الحالية ، عشرة

السبعينات وما يسكن ان تكون وما يدل عليها ، فالمفروض اننا نتقدم وتتطور وننمو وتتخذ من المرحلة اساسا لمرحلة تقوم عليها ، وليس من المعقول ان نبقي في دور المحاولة والخطأ ونظل نبدأ من جديد كلما اردنا ان نبدأ .. وتلقت ذات اليسار وذات اليمين فلا من دليل على وجود ، تقرأ لاقلام جديدة في القصة والشعر والنقد ... ولكنك لا تكاد تقرأ شيئا او انك لا تقرأ فعلا .. فصحيح أن هذا الذي تشحن به الجرائد والمجلات كلام يسيه اصحابه مرة شعرا ومرة قصة .. وصحيح ان المطابع تخرج مجموعة من الاوراق لها غلاف وعليها اسم ، الا ان هذا لا يزيد في مجمله على مجموعة من اوراق مسودة بجبر ، وهذا يؤلمنا كثيرا لاننا نريد ان نقرأ ونريد ان نرتاح لما نقرأ •

أجل ، لقد دخلنا العام الثالث من العشرة السابعة ، وكانت العشرة السادسة قد آذنت بالزوال منذ نحو خمس سنين ، وبدأ تغير في الجو الادبي ومالت النفوس الى البناء قراءة وكتابة ورأيا .. ومع هذا ، لم تلد هذه السنوات الخمس اثرا يلفت النظر •

— لماذا ؟ أي ذلك علامة للصحة ؟ للسرض ؟ هل من موجب لليأس ؟ !

— اما اليأس فلا ، لانه غير طبعي ، وليس معقولا ان يبقى بلد — كبلدنا — من غير شعر وقصة ومسرحية ونقد ، واذا فأت امر أمس ومات امر اليوم ، فليس منطقيا ان يلازمة الفوت أو الموت ، وقد تكون الحالة صحية أولى من ان تعد مرضية ، فمن يدرينا كيف كان يكون هؤلاء الذين نشأوا اليوم لو خلا لهم الجو ولم يروا في المرأة غير وجوههم ووجوه ترتبط واياها بقانون تبادل المنفعة ..

يصعب اليوم ان يدعي مدع « العظيمة » في قصة أو قصيدة أو نقد .. واذا استطاع شاعر ان يجد ناقدا يتجاوب واياه بسبب واه ، فلا يؤدي هذا التجاوب الكسيح الى أكثر من الفراغ والهوان •

وهذه هي الصفحة الثالثة من الوضع الادبي في العراق •

أجل ، هي ثلاث صفحات ، خلاصة الاولى ان اهلها لموا شباكهم ، وبقي من بقي منهم حائرا بين ما هو كائن وما يريد ان يكون وقد تؤدي الحيرة الى تغيير النوع الادبي او البحث عن بلد يقبل اسطورته وولد يصدق اكدوبته، وخلاصة الثانية ان اهلها اسلمهم الادب الى الدينار ولم يسلمهم الدينار الى الادب ، ويحاول من يحاول ان يجد مسوغا لدعاوى قديمة ، وخلاصة الثالثة ضعف الامل في اهلها الى درجة اليأس •

– اما يمكن ان يرد تأخر « ابداع » السبعينات الى أن اهلها يعملون في صمت على تجهيز انفسهم بما يجعل منهم الادباء الذين تنتظرهم ؟

– لا ، فما في السماء غيمة تدل على مطر •

– اما يمكن ان تكون مخطئا ؟

– في حدود ما تخطيء « الانواء الجوية » ••• وأقل ••

– خاب فألك ••

– آمين !

١٩٧٣-٣-٢٢

واذا تحدثوا عن مهرجان أبي تمام

دعي الى مهرجان ابي تمام من اقطار العروبة ادباء وصحفيون .. ثم عادوا .. وقد كتب عدد منهم - وهو يمر ببيروت أو دمشق - « مقالات » نشروها في هذه المجلة أو تلك الجريدة دبجوها بدافع حقيقي من الاخلاص للدعوة وقالوا فيها ما تقتضي الميافة ان يقال - وقد وقعوهما باسائهم الصريحة .

ولكن من اين تهيأت لهذه الاسماء هذه المعلومات ، فطفتت تتحدث عن المهرجان منذ بدايته حتى نهايته بلهجة تدع القارىء يظن الى انها حضرت المهرجان من اوله الى آخره ، وواظبت - كما ينبغي - على ارتياد القاعة التي يقام فيها ؟

- الم تكن هذه الاقلام مدعوة ؟ الم تكن في الموصل ؟

- كانت ..

- اذاً ، فهي تتحدث عن علم ووعي .. وهي أهل للشقة ..

- لك ما شئت .. اما انا فاني اعرف عددا من حملة هذه الاقلام . وقد رأيتهم رأي العين في المهرجان ، ولكني رأيتهم خارج المهرجان أكثر مما رأيتهم في داخله ، ورأيتهم في غرفهم وفي صالات الفنادق أكثر مما رأيتهم في قاعات الاحتفال .

- اذاً ، من اين جاءت تلك الاقلام بذلك الكلام ؟

- العادة على الكلام في كل موضوع .. عن علم وعن غير علم ، حتى يصير المهم ان نكتب .. انها المقدرة الانشائية - يا أخي . ثم الحساسة الجاهزة التي كنا نسعها يوما ما عبر الاثير ، فسا اسهل ان يجد المتحدث عن المهرجان متسعا اذ ينقل الكلام من ميدان الى ميدان ومن لهجة الى لهجة ، ومن لم

يعرف أن « الاتحاد » قوة فليعرف ذلك اليوم ، ومن يجهل « الاقليسية » فليدخل في نفسه !

ثم ان المهرجان قد اقيم باسم ابي تمام ، وهذا يعني الاهتمام بالتراث ، واذا ، فليجد القلم مستطردا طبعيا في التحدث عن أهمية التراث ، فلتك مسألة جاهزة أخرى لا تستدعي حضور المهرجان وشهود وقائعه ...

التراث ، اجل .. هذا التراث الخالد العظيم ، الذي يجب ان يكون الاس المتين لحاضرنا ونهضتنا ، كما كان لنهضة أوروبا سياسة وادارة وادبا وشعرا ..

لنقل هذا ولو لم يكن الاهتمام بالتراث قد مر منا - قبل اليوم - ببال ، لنقل هذا وان كنا ادباء « المعاصرة » في عصر القلق المجدي ، والضياغ الواعي والادب الذي ليس بادب •

لقد دعت الى ذلك مناسبة « قيمة » يجب ان تعطي حقها ، فلنكن تراثيين أكثر من التراثيين ، والمسألة ، قبل ذلك وبعده ، مسألة انشاء واداء « واجب » والا فآين كانت هذه الحماسة الى التراث !؟

لقد فوجيء ضيوفنا الادباء المدعوون لابي تمام • ولعلمهم قالوا في قرارة نفوسهم : ما نحن وابو تمام ؟ • ولكن لا بأس • سيتخلق حوانا الشباب الصاعد ، وسنشغلهم عن ابي تمام بنا وبآرائنا • سيأخذون منا التوقعات ، وسيبرزون لنا الاوتوكرافات ، والتصريحات ، وسيعقدون الريبورتاجات • • واطمأنوا الى ذلك ولم يكونوا فيه بعيدين كثيرا عن الصواب ، انهم يعرفون جيدا طبيعة قرائهم في العراق - البلد المعطاء - فقد تلقوا - وما زالوا - رسائل الاعجاب تتلو رسائل الاعجاب ، وكثيرا ما تجتمع مع بعضها في حقبة ساعي البريد • •

ولكني أرجو ان يكونوا هذه المرة على خطأ •

- كيف ؟

- تلك مسألة لها فرصة أخرى • •

اما اليوم فان المشكلة التي اعترضتهم من نوع اخر .. فانهم اذ مروا بدمشق وبيروت حتمت عليهم « ضرورة معينة » ان يتحدثوا عن المهرجان وعن ابي تمام ، ولا بد من ان يظهروا علمهم بالموضوع وان يبدوا بعين القارىء العراقي متخصصين كما كان يعيدهم متخصصين بكل ما بطرقون ، ولا بد اذا - من ان يطلوا عليهم اعزة من على شرفات قصورهم باسبانيا دون حسيب أو رقيب ..

وهنا ، هنا احسوا - لاول مرة - بخطأ الآخرين ، وقرروا واثقين انه كان من واجب وزارة الاعلام في العراق ان تزود الاديب المدعو بقائمة من المراجع التي تتحدث عن ابي تمام ليلموا بها قبل المجيء الى الموصل .. ثم زالت الغمة وكشفت الكربة بان مدوا ايديهم الى اقرب كتاب فوقع بيد هذا طه حسين ، ووقع بيد ذاك فريد رفاعي .. فنقلوا خبرا او خبرين من الدرجة الثالثة وعلقوا على الايات المذكورة في المرجع السهل تعليقا او تعليقين من الدرجة الرابعة .

ولكنهم اعتادوا ان يمدوا أرجلهم اكثر من غطاهم ، واذا ، فما اسهل المهمة ، الم تكن كلمة « البهيتي » المرتجلة جدا قيسة ؟ انها قيمة جدا !

ثم ان المرجع الثانوي ذكر « همدان » بين ما ذكر من اسماء المدن في حياة ابي تمام وهذه فرصة ذهبية لاظهار « المعاصرة » وقد ضاق القلم ذرعا بالخوف والحذر .. أجل فليخط آمنة وليضع علمه اليقين بين قوسين بارزين ، اجل : همدان (هي الان مدينة في جمهورية سوفياتية) .

أي أخي ، يا أخي العزيز ، ما الذي دعاك الى هذا التعليق ، ما الذي دعاك الى الحديث عن المهرجان .. اهكذا يتحدثون عن اشياكم الاخرى التي يأخذها عنكم شبابنا حقائق ومسلمات ..؟ يتحدثون عن اشياء تجهلونها حديث العالم الخبير ، وتحدثون عن اشياء لم تروها حديث الراي البصير .. - ماذا أهنأك أمر غير المقامة الهمدانية :

- المقامة الهمذانية تهون .. لان الخطأ فيها صارخ ، ابلق ، اما المصيبة في الداء العياء فهي أن تتحدث في يسر منقطع النظر بلهجة توحى الى القارئ المغفل بانها شهدت المهرجان من أوله الى آخره قلبا وقالبا ، جسما وروحا ، ولا أدل على هذا اليسر المنقطع النظر من الكلام على المحاضرات التي القيت في ختام المهرجان ! واشهد ان ليس بين ضيوفنا الكرام من الادباء الذين كتبوا عن المهرجان وكتبوا عن المحاضرات كأنتهم شهدوها من حضر الجلسة المخصصة للبحوث ، والا فقد كان الحاضرون يعدون على الاصابع . ولو كان الادباء فيهم لازداد العدد قليلا ..

- انها لمصيبة ..

- ولا بد في أن تكون المصيبة اعظم في كلام نفر باغتوا المطار الدولي والمحطة العالمية وقطار الموصل .. على انهم يمثلون صحافة بيروت في مهرجان ابي تمام .. وذكر اسم جريدة بعينها ..

مسكين قطار ابي تمام ، والبركة بأشد الناس اعجابا (بافتعالات) شاعر حائط المبكى !

١٩٧٢-٣-٩

محمد عوض محمد

« نعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة احد اعضائه العاملين .. الدكتور محمد عوض محمد ! .. » واشك في انك تعرف محمد عوض محمد لان جيلك الحالي لم يكن على صلة به ، او لانه لم يكن على صلة بجيلك في العراق . اما في مصر نفسها فلعله عرف يوم صار وزيرا .. دون ان تزيده الوزارة شيئا عندنا .

محمد عوض محمد ..

ثم كان مستشارا لهيئة النيسكو لحقوق الانسان .. ولم يكن في ذلك لدينا بأحسن حظا من الوزارة ..

ويعرفه جمهور كبير من الجغرافيين ، اساتذة وطلابا .. فقد كان في الجغرافية من البارزين اساتذا ومؤلفا ومترجما ومحاضرا ..

ولا يهنا ذلك .. ولا يسكن ان يكون سببا الى الهزة التي احدثها فينا نبأ وفاته . والا فكم من جغرافي او مدير او وزير او مستشار .. نسر بهم ويسرون بنا دون ان يعيننا امرهم ودون ان تختلج لفقدهم عين وتجيئ نفس ويأسف حال ..

آه كم كنا نود لو انصرف عوض عن الادارة والوزارة والنيسكو الى الترجمة او الى المقالة ..

أجل فهذا امرؤ جغرافي أديب وهو علة نادرة في بابهِ .

قلت للدكتور شاكر خصباك وهو يعتزم التخصص بالجغرافية بعد دراسته الثانوية أخشى أن تضع الجغرافية علينا الادب . فأجاب كمن أعد للسؤال عدته : ولكن أما ترى الدكتور محمد عوض محمد ؟ قلت أرى - وكان ذلك عام ١٩٤٧ - على ما اذكر . ولم يكن فينا من يجهل محمد عوض محمد .

يعود تاريخ معرفتي به - أي أعجابي بأدبه - الى عام ١٩٣٨ ، أو قبيله •
كنت كأني أودع الدراسة المتوسطة واستقبل الثانوية •• وكنت ارتاد
المكتبة العامة في الحلة ، وأطلب الكتب على غير نسق أو منهج أو علم ، وأقرأ
هنا وهناك ، هذا وذاك ، ويستزج بالنفس ما هو منها ويتصل بها ما هو اليها
•• ووقعت العين على كتاب بعنوان : « من حديث الشرق والغرب » ، اسم
مؤلفه : محمد عوض محمد •• فاخترته - ولا تسئل عن السبب - ورحت
أقرأ في متعة نادرة ، وأواصل القراءة • كسني يقرأ قصة تستولي عليه وتشغله
عسا حوله ، وما كان بقصة انسا هو مجموعة مقالات طريفة تستهوي القارئ
بما فيها من جديد مادة ونهجا ولغة ، وبما تنقل الى القارئ العربي من أجواء
الغرب ومن الاحوال التي تعتريه هناك في انكلترا ••

وعلقت في ذهني من عنواناته « عاصفة في قدح » و « الثورة في مستودع
الخزف » وأني على الرغم من مرور اكثر من ثلاثين سنة على تاريخ القراءة
ما أزال أذكر اسم السيد « دوفال » وهو من الاسماء التي وردت فيه •

لا بد من ان يكون عوض معدا لكتابة المقالة ، ولا بد من انه أدرك
أهميتها هناك في الغرب ، ووقف على كثير من أسرارها الفنية •• ولا بد من
أنه عرف نجاحه فيها لدى نشره عددا منها في الصحف • ولو لم يكن كذلك
لما جرؤ ان يقدم كتابه « من حديث الشرق والغرب » عام ١٩٣٧ وهو تاريخ
يعد مبكرا في نشر الكتب المقالة لدينا •

ولا غرو ان نصحت بقراءته واقتنيته لأول فرصة ، ونصحت باقتنائه ••
ولا غرو أن أعيد طبعه •

اما جيل اليوم ، فأكبر الظن انهم لا يجدون فيه من المتعة ما وجدناه
أمس •• واين لهم الوقت لمثل هذه المتع الفنية ••

« •• هذه •• خاطرات •• لم يجد الفكر عنها منصرفا •• فهل في الاذن
العزيز بقية من الصبر •• تستطيع بها الانصات الى هذه الترهات ؟ »

وطلبت كتابا آخر ، اسمه غريب عليّ كل الغرابة : « هرمن و دروتيه »
تأليف جوته ، نقله عن الالمانية محمد عوض محمد سنة ١٩٣٣ • وقد تكون
هذه أول قصة مترجمة اقرؤها •

موضوع القصة - فيما اذكر - وطني ، فيه مغزى الاخلاص للوطن
والاستعداد لرد غارة الاعداء ، وفيه مغزى الدعوة الى ازالة الفوارق الطبقة
في الزواج ، فقد أحب هرمن البرجوازي الثري دروتيه المشردة وعمل على
الزواج منها ••

ولكنني استطيع أن اؤكد ان ليس المغزى وحده هو الذي استهواني في
القراءة فلا بد من ان تكون هناك جدة الفن علي ، وجمال اللغة العربية التي
صيغت به القصة •

أجل ، انك لا تحس وانت تقرأها بان الكتاب مترجم ، لانك تقرأ قلما
عربيا ناصعا متمكنا •

ولا غرو ان نصحت بقراءة « هرمن و دروتيه » ولا غرو ان اقتنيه لدى
أول فرصة ، ونصحت باقتنائه •• وقد اعيد طبعه - فيما اعلم - •

ترى ماذا يجد جيل اليوم في « هرمن و دروتيه » لو قرأها ؟ أكبر الظن
انه لا يجد شيئا يهسه او يستثيره وقد يلاحظ عليها سذاجة كبيرة وان فيها
من الروماتية ما لم يعد له مكان •

لقد « تصفحتها » حديثا ، فما كادت تجتذني في شيء • فكيف بشباب
اليوم •

ولكن يكفي انها ادت دورها ، وان المترجم ادى واجبه •

ونقل عوض الى العربية - قبل هرمن و دروتيه - قصة اخرى للمؤلف
الالمانى نفسه ، هي فاوست ، وقد ذاعت الترجمة وشاعت •• ولكنني لم اكمل
قراءتها ولعلي لم اتذوقها •• اما اللغة العربية التي جاءت بها فعلى أجود ما يمكن
ان تكون عليه لغة ترجمة •

وكنا نسمع بالنقد الادبي ، ونسمع ان للغرب به عناية فائقة • وكنا نطمح
ان نحقق لانفسنا صفة الناقد ومكانة الناقد ••

وقد هيا لنا محمد عوض محمد كتابا قيما من تأليف آبر كرومبي الاستاذ
بجامعة لندن فرحنا نقرأه ونعيد القراءة ونأخذ منه في كل مرة ما يخيّل الينا
انا اخذناه ••

الكتاب قيم •• وقد تكررت طبعته وتكرر ، وفضل المؤلف الانكليزي
فيه كبير ولكن فضل المترجم العربي لم يكن بأقل منه ، انك تقرأه فلا تحس
بتلكؤ ، كأن المترجم يكتب بقلم متسكن في موضوع هو جزء من وجوده ••
وكم تمنينا لو انه اتحفنا بنظائره •• ولكنه لم يفعل ، ولعل فيما رأى
من هوان المترجم ما صرفه الى ما فيه العزة من ادارة ووزارة •• لعله ؟

ولكنه اذ يبعد ويبعد •• لا يمكن ان يبلغ في الفراق الى أقصاه فقد
صدر « ملكات الجمال » ، واذا بعد هو لا يتركه عارفو ادبه ، وها هم
أولاء يدعونه الى أن يلقي ست محاضرات في « فن المقالة الادبية » (١٩٥٩)
فتأتي قيمة انتفع فيها بما له من قديم وجديد ومن انكليزي وعربي •• وحب
لفن المقالة ونجاح في مزاولتها ••

آه كم كنا نود لو انصرف عوض عن الادارة والوزارة والينسكو الى
الترجمة او الى المقالة او اليهما ! ولكنه مضى !

١٩٧٢-٣-١٦

أعادت مجلة الاديب البيروتية نشرها

الثناء عبء ومسؤولية

ينظم الشاب منا قصيدة فنرى فيها مخايل الشاعرية ودلائل القابلية :
موزونة ، جيدة اللغة ، تعرب عن معنى خاص بصاحبها .. فنحس بواجب
الثناء على الشاعر الناشئ تشجيعا له وشحذا لقريحته ، واعترافا بحقه ...
وقد نشي من دون قصد واضح وخطة مقررة ، اي انك تشي لان القصيدة
تستثير الثناء وتستدعيه ، ولأنك لا تكاد ترى في أوائل ما نظمه الشعراء
المعروفون ما يوازيها ولا تكاد تتذكر بين تلك ما أوماً الى مستقبل كما
توميء هذه :

انك شاعر ، يا اخي ، شاعر ، فالى مثلها ، والى ما هو احسن منها ...
ولم لا ؟

ـ الثناء عبء ومسؤولية

ويكتب شاب آخر قصة فتراها جيدة ، وترى ان هذا الشاب راغب في
عمله ، قد استوفى كثيرا من ادواته ، فهو قارئ جيد للقديم والحديث ،
الموضوع المترجم ، يحسن التعبير بلغة سليمة ويبنى عمله بناء فيه رونق
الاصالة وفي هذا ما يدل على عرق يكن ان يجعل منه قاصا ناجحا :

انك قاص ، يا أخي قاص ، فالى مثلها ، والى ما هو خير منها ...
ولم لا ؟

ولم يسأل الشابان عما يجب عليهما بعد هذه الخطوة ، ولكنك تطوعت
فعرفتهما بجانب من العرق الذي سفحه كبار الادباء في العالم قبل ان يصيروا
كبارا ، وشرحت لهما ما بهما من حاجة خاصة في القراءة والتعلم والتجربة
والكتابة . وقد دفعك على المضي في حديثك فرحك بسا قرأت لهما وحرصك
على أن يستثمر كل ذوي موهبة موهبته ، وحب خاص لمعنى الشعر ومعنى
القصص حتى بات ذلك جزءا مهما من عملك اليومي .

لقد كنت على الغاية من الاخلاص فيما ابدت وفيما اعلنت ، وكنت تؤدي بذلك واجبا ... ولم لا ؟

فارقك الشابان ... فرحين ، وذلك من صميم حقهما ، وعلى شيء من الاختيال ، وليكن ، فما ذلك بعجيب في دنيا الابداع الفني . وما لم يثق المرء بنفسه وبعمله صعب عليه الإستمرار ، وصعب عليه تلقي الصعاب ، وقد يضجر ، وقد ينكل ، وقد يخور .. وعوامل الشيط في مجتمعنا كثيرة ، والمثبطون كثيرون ...

ويكتب هذا قصة أخرى وينظم ذلك قصيدة أخرى ، وتقرأ لهما في هذه الجريدة وتلك المجلة فترتاح وتعيد الثناء - بقصد التشجيع حينا وبعامل تلقائي حينا .

والمفروض بالثناء ان يدفع المرء على المثابرة ومضاعفة الجهد والسعي نحو الاحسن لانه حبل الشاعر والقاص عبئا يجب ان ينهض به والقي عليهما مسؤولية يجب ان يؤدياها ليدلا على انها اهل للثناء وانهما اقوى من الثناء . هذا هو المفروض ...

ولكن الذي يحدث - لسوء حظها - هو العكس ... ماذا ؟ ان يركب الاديبين المبتدئين الغرور . فيظن أنها بلغا الغاية وانها حققا ما لم يحققه احد ... انها اديبان كبيران ، وما على الناس وعلى النقاد الا الثناء ومواصلة الثناء ، وعلى هؤلاء النقاد - بوجه خاص - ان ينظروا فيما دبجت يراعتها ليزدادوا علما بقواعد الشعر والفصص ومعرفة باصول النقد الادبي - مساكين النقد !!

ويزداد الغرور ويزداد فيركبها طولا وعرضا ويملا زواياهما ويحتل ما يسكن ان يكون لهما من موهبة أو قابلية فلا يعودان يريان الامور كما هي أو يصران الاشياء كما يجب ... يركبها طورا ويركبانه طورا والنتيجة واحدة في اصول مسك الدفاتر : الوبال المبكر والموت في المهد .

اما انت فتحتويك الخيبة الطاغية ، وربما أحسست بالاثم ، وما كنت
بآثم ، فما في أمرك أكثر من انك كنت تريد ان يفهم الاديان الثناء كما هو
فيدفعهما نحو الاحسن والاحسن ويحقق لهما الرضى بعد الرضى ، ولكنهما
اتخذاه غاية فوقها حيث بدءا ، فذهب الشعر وبقي الغرور •

- كأنك تعاني تأنيب الضمير ...

- أجل ...

- انك من السذاجة بمكان ..

- أرجو ، لان السذاجة أهون من الاثم •

- لو كان صاحبك أصيلين لتقدما في الابداع أكثر ولارضيا النقد
العالي أكثر ... ولادركا عبء الثناء الذي القيته عليهما وفهما عظم المسؤولية
التي حملتهما أيها •

- هل يخفف هذا شدة المصاب ؟ أرجو !

٢٣-٣-١٩٧٢

الطرف الأول في مسؤولية الشئ

- الشاعر الذي أثبت عليه فلم يحسن الفهم ولم يدرك مهمته .. مسؤول، ومع انه يكون الطرف الثاني من القضية ، اراك تشبثت به وامسكت بتلابيه ونسيت الطرف الاول .. ولعلك تناسيته لقراءة لك به ومت اليه ، كأنك لم تنظر الى ما في جرائدنا ومجلاتنا من هذا شاعر مجدد وهذه قصيدة رائدة ، وصار فلان مدرسة وصارت فلانة كلية . ولم تقرأ الاحاديث عن اعماق انقصة وابعادها وما حصلت من ثورة في الفن وفن في الثورة . الى آخره ، الى آخره ..

- لم يكن ذلك تناسيا ، ولكنه وقع والا فاطرف الاول معروف ، وربما كانت هذه المعرفة سببا في تأخير ما حقه التقديم : انه الناقد .

ومن واجب الناقد ان يشي صراحة وهو يرى الرأي ولمحا وهو يحلل ويفسر فمن شأنه ان يعطي الحق أهله ، ينوه بهم وينبه اليهم ، فيهددي الآخرين في المنبع ينهلون ويعلون شاكرين حسن الهداية ، ذاكرين طيب الدراية .

الشئ واجب ولا يؤدي الواجب الا في مكانه المخصص له اللائق به .
واول مكان له الشعر الرائع والقصة المبدعة والمسرحية المبتكرة . وليس في هذا المكان شك . اما ان يسيء الشاعر فهم الشئ فذلك عيب فيه وليس في الناقد .

وثاني مكان له .. ان تقرأ ادبيا طالعا فتلحج سيات النبوغ ودلائل الخيرات فتهمز مرتين ، مرة للنص ومرة أن يكون بداية ساقها شاعر في أول الطريق ، فتزجي الشئ ولا لوم عليك ولا تشرب اما ان يسيء الشاب الفهم . ولك ذنبه .

أما ذنبك فاذ تبالغ في الثناء وتخرج عن الطور ، واذ تشني من غير مسوغ يقوم في سندك اذا اشتد الحساب •

ومن النقاد من يشني والائر رديء ، القصيدة والقصة رديتان ، ولا بد من أن يكون في هذا غريبا على المهنة . فآلف بآء الناقد ان يميز الجيد من الرديء . وآلف بآء هذا التمييز دلآلته على فطرة آاحبه ومكتسبه •

يقولون لك : ان هذا الناقد حسن النية . وآلا غرض له ، وقد صرح بآ رأى وآحكم بآ آحسن •

فنتقول : هذا لا يسوغ ، لان انسانا على مثل هذه الصفات قد يكون رجلا طيبا ، محسود السلوك في الحياة اليومية الا انه في عالم النقد رجل زج نفسه فيما ليس له وآكان الاوى بشآائله الحسنة ان تجنبه المزالق •

ان ثناء هذا الناقد مضر ، خطر ، تجنب حربيه • وآنك لا تحارب - في هذه الحالة - الثناء قدر ما تحارب الناقد ، وآنك اذ تعلن هذه الحرب تشخص الداء وتجتشه من الجذر • فبآ آاحبك بآاقد وآما هو بنويقد •

ومنهـم من يشني عن غرض شخصي وعن رابطة معينة بالشاعر والقاص وآلا سباب خارجة عن طبيعة النص •• وآلا يعني كذبه انه لا يملك مؤهلات الناقد ، انه يملكها وقد دل عليها وآنال مكانة بها . وآلكنه ، هنا ، هنا في هذا الثناء الكآاذب ليس بآاقد ، وآذن فهو ناقد ناقص . آآآار نقصه ، وآآال سوء حظه دون الكسال •

يقول له القائل - وهو يعلم الآفة في خلقه - : انك مسؤول ، وعليك ان تزن كلسآئك •• وآذا كان « سوء الحظ » يعنيك من شيء فان مضآعآت جريمآك تضاعف لك العقاب •• وآذكر ، وآذكر جيدا انه ان فاتك الحساب اليوم فلن يفوتك غدا • وآن كسبت قليلا فستخسر كثيرا ، وآن آاز رأيك •• وقتا فلن يحالفه الدوام - (اليوم خسر وآعد أمر) ••

أجل ..

ولا استبعد ان يختفي يوما الناقد الذي ليس بناقد ، والناقد المأفون ..
ويقوى الامل في ذلك ان هذين « الناقلين » يعيشان - عادة - في المجتمعات
المتخلفة وليس من المعقول ان يخلد التخلف في مجتمعنا ..

١٩٧٢-٣-٣٠

المسرحية جيدة والتمثيل جيد .. ولكن ..

المسرحية جيدة

فيها جدة وابداع ، ملتزمة دون خطابة وتهريج وشعارات ، فيها رمز دون ان يكون الرمز رخيصا في غموضه ، بسيطة ، هامسة ولكنها ذات اغوار .

الحادثة يومية ، ولكنها وهي على المسرح كأنها تقع للسرة الاولى والا فسن لم ير حوادث التجسس احكم جائر ، ومن لا يعلم ان الجاسوس موظف عليه أن يقدم خدمة لقاء راتبه ، ويبلغ به ذلك الى ان يضطهد ، ان يظلم البريء .. ان ينتزع من السذج ما ليس فيهم « ليحلل » راتبه ، وليزج بهم الى التعذيب وسجن اقله « ستة شهور واربعة ايام » .. وتشريد العائلة .

المسرحية جيدة والتمثيل جيد ولكن ..

مناظر متكررة في عصور الارهاب ..

ولا يفضحها الا عرق فني نقي النسغ ، ولا يجعل منها مادة للمسرح الا من أوتى حظا من الموهبة والمراس والثقافة والاطلاع على احدث التطورات في المسرح المعاصر ...

انها من تأليف سعد الله ونوس ، وعرضت باسم « بائع الدبس الفقير » .
كم أتمنى أمثالها . لقد استلت الباقي من الزائل ، والشاعرية من
النثرية .

وقد أحسن المؤلف اذ صاغها باللغة العربية الفصيحة ، وقد نجح في ذلك فكان سنداً للفصيحة ، ومنبها ان أن مسرحية تكتب بالفصيحة تحقق هدفا أبعد ويكتب لها الذبوع والصيت .

ويبدو لي ان طبيعة المسرح الجديد تشجع على الانتصار للفصيحة .

والتشيل جيد ..

مع بساطته وبساطة ادائه • (الستة) المقيدون بجبل الصست الرهيب وهم (الناس الذين كانوا والذين ليسوا الان) وما يزر به صستهم من ابلاغة وخوفهم من القوة وموتهم من الحياة •

ورجال المباحث الاربعة كأنتهم هم هم خبروا المهنة وتشلوها ، وانعكست في حركاتهم أسرارها وفي سكناتهم معيائتها •• لينا وقسوة ••

ثم ان المسكين « خضور » •• له عائلة ورزق طفلا حالت شؤون العيش دون ان يراه !••••• لانه يبكر لبيع الدبس في المدينة حاملا الصفائح على كتفيه ، متفائلا في سذاجة ليس وراءها سذاجة ، وايمان بالله ما بعده من ايمان • ومع هذا ، يلاحقه حسن وحسين ومحسن ورابع •• لقد كان حسن على الغاية من اللؤم ، واستطاع - بكل سبب - ان يؤدي بخضور الى التعذيب فالسجن •• ان بائع الدبس لم يكن في شيء ضد الحكم ولم يفكر في ذلك ، وهو على الغاية من الرضى بقسسته ، وكلما حاول ان ينتزع حسن منه كلمة تنفع ندى المحكة لم يجدها ، وماذا ينتزع اذا لم يكن شيء ؟ ولم يبق له الا لافتراء ، وهكذا فعل ، وفعل مثله حسين ••

وكان ان انخرط البائع في سلك الستة ونهج نهجهم فاصبح (من الناس نذين كانوا والذين ليسوا الان) وفي هذا « أرقى ضروب الادانة » • وهؤلاء الصامتون الذين اصبحوا سبعة هم هم الذين سيزلزلون اركان نظم • ويكفي أنهم يدعون - اليوم - الى الصست بهذه اللهجة المشيرة ، ويعلمون موت الشجاعة بهذه النبرة التي تحرك الجبان •

الممثلون من فرقة المركز الثقافي والتشيل لمناسبة يوم المسرح العالمي ••

المسرحية جيدة والتمثيل جيد لكنّ.....

أمرا بسيطا شأنها وعابها ، امرا لا يتعلق بالمسرحية لانها سليمة من جانبها ، ولكنه يتعلق بالممثلين ، فقد كانت المسرحية باللغة العربية النصيحة ،

وقد كتبها صاحبها بلغة سليمة معربة وتقدم المثلون ليؤدوها باللغة العربية
الفصيحة . وهنا تكمن مسؤوليتهم ، ومن هنا يكمن حسابهم . . والا فقد
كان عليهم ان يختاروا نصا بالعامية . .

ولو كان الخطأ محدودا لكان الامر ، ولكنه بلغ درجة الفظاعة وتعداها .
ولو كان في أمور مغلقة وقضايا شاذة : لكان الامر كذلك ، ولكنه في
الفاعل والمفعول ، والجار والمجرور ، الناصب والمنصوب . . في أوليات
النحو وأوليات أولياته . أترانا على هذه الدرجة العجيبة الغريبة من الضعف
في لغتنا ؟ أهو ضعف أم تهاون ؟ إن الأهم كلها تمثل بلغتها وتؤدي لغتها
سليمة ، فلم لاتحذون حذوها ؟ لاتقولوا : ان لغتنا صعبة ، فما قولنا : ان
الفاعل مرفوع بصعب ، وان علامة الجر الكسرة بصعب . . .

وهذا اغرب ما وقع . . ان مثلاً واحدا يعيد عبارة واحدة عدة مرات في
عدة مواقف ولكنه يرفع المنصوب باصرار في كل مرة يلفظها . فما معنى
هذا ؟ كنا نرجو ان ينوع المثل في الخطأ ، فقد تأتي في هذه الحالة رمية من
غير رام فينصب المنصوب .
واغرب منه ان يعيد « الستة » مجتمعين دورا فيقعوا ستهتم في اغلاط
واحدة .

وكلهم ينصبون مرفوعا ويجرون منصوبا .
فكيف وقعت مثل هذه المعجزة . انها لا يسكن ان تقع غموا . اما من
مشرف على الاخراج ؟

انا افهم ان المثلين ضعاف حتى في الجار والمجرور ، ولكن الذي لا افهمه
هذه الاستهانة المطلقة بالجار والمجرور .

ليكن المثلون ضعافا ، فلم يعد متبال الى ان نشترط قوة اللغة في المثلين ،
ولكن المناسب والمعقول والواجب ان يعرض النص على عارف بالجار والمجرور
فيشكله شكلا تاما . الطلب سهل وليس الذي وفر للفرقة عناصر النجاح
ببخل بشرط صغير أو جاهل بجوانب الكمال .

أرجو ألا يتكرر النقص لأنه أكثر من نقص لدى من يدرك المسؤولية
كاملة !

المسرحية جيدة والتمثيل جيد لكن النحو رديء • وإذا كان التأليف
صعبا ، وكان التمثيل صعبا فإن النحو سهل ، وفي هذا ما يضعف المسؤولية •

١٩٧٢-٤-٦

الشاعر . . . الكبير !

آه ! لقد اهينت مفهومات كثيرة في زماننا . . حتى صارت الارض
سماً والمنخفض مرتفعاً . . وقد فقدت كثير من الكلمات مدلولاتها واضاعت
كثير من الالقاب هيبتها . .

واني أفهم جيداً ان يقع ذلك فيما له علاقة بالتباين الطبقي ، وافهم
جيداً ان وقوعه هناك يسكن ان يكون دليل صحة وعدالة وثورة ، ولكن
الذي لا افهمه أنا وأنت ، أخي القارئ ، ان يقع ذلك في مسائل فنية دقيقة
تدل الاستهانة بها على العبث ، ويؤدي العبث الى اختلال المقاييس ، ويؤدي
اختلال المقاييس الى الجناية على الفن نفسه . . وكدت اعزو مجموع الحال
الى البداوة ، ولكنني تذكرت ان للبداوة مقاييس ايضاً . . ولا يكون الاختلال
الا في المجتمع الذي ليس هو من البداوة وليس هو من الحضارة . .

لقد صرنا - أخي - نقرأ : فلان الشاعر الكبير . . وقال الشاعر الكبير
. . وسافر الشاعر الكبير . . ويسرنا كثيراً ان يقدر الفن ، ويبهجنا ان تضي
الالقاب على أهل الفن بعد ان كانت تسلبها أيأهم الانظمة الجائرة وتحتجزها
وقفاً على الملك والوزير والحاشية . . يسرنا ويبهجنا . ولكن الذي يؤلمنا
ويسوؤنا ان نلحق الالقاب مرة أخرى بغير أهلها ولغير مناسبة حضارية ، فكم
من شاعر صغير نعتناه بالكبر ، ومثله القاص ، والناقد ، والاستاذ . . كأن لم
تكن الكلمة وحدها كافية للسدح ، كأن الشاعر وحدها . . ليست بشيء أو
كأننا حين نقف عندها لدى الوصف نحس « بزعل » الموصوف كما كان
الناس يحسون اذ يخاطبون مسؤولاً لهم عنده حاجة يهمهم قضاؤها بكل
وسيلة .

وصحيح أن عدداً من الشعراء والقصاصين . . صاروا في مكان من
يستطيع التقديم والتأخير وقضاء حاجة لا يقضيها الا الشاعر أو القاص . .

ولكننا لم نطلب لاهل الفن والعلم المكانة الكريمة من أجل الباطل ، ومن أجل
ان نلوث نفسيتهم •

ثم ان هناك حدودا يجب ان تحترم •• هو شاعر ، وهو قاص ، وهو
ناقد ، وهذا غير قليل ، ولو كان كبيرا فعلا ونعتاه بالكبير لما كان في الامر
مجانبة لصواب ، ولكن البلية في انه لم يكن كبيرا ، واننا اذ نعتة نكون بين
اثنين : منافقين ونرجو ان نربأ بأنفسنا عن ذلك المكان ونربأ بالشعراء ان
يقبلوا النفاق منا ، وأما ان نكون جاهلين أقدار الاشياء ونأمل - في هذه
الحالة - ان تتعلم قليلا قبل المجازفة ••

أي أخي ، تطلق في هذه الايام كلمة « الكبير » أو ما هو منها واليها على
فلان وفلان ممن هم ليسوا كبارا ، فلنقلع عن هذا البلاء قبل ان يستشري ،
ونحن نهيب بالشعراء الى ان يذلوا ما في وسعهم لصد هذه الاهانة عنهم ، مع
ملاحظة ان هذا اللقب اذ يقتضي موهبة كبيرة لا نسلكها ، يقتضي سنا وتجربة
لا نسلكها كذلك •

والعمر وحده لا يكفي ، فقد يجتمع قوم - لسبب غير طبيعي - ليكبروا
- بتشديد الباء - زيدا من الناس ، في تسعوا له الخصال الحميدة التي لغيره ،
يلجأون الى وسائل شتى ، فلا ينادونه الا بالشاعر الكبير فاذا سمعها هز
رأسا رضى وخيلاء ، فيذهب به الظن مذاهب التصديق ثم ينجلي الغبار فاذا
الحقيقة ناصعة ، وتبحث عن الشاعر الكبير بالمجهر فلا تجد اثرا ، واذا وجدت
- بعد الجهد الكبير - وجدت الخيلاء ولم تجد الشاعر والكبير ••• اما الدعاة
فلم يستطيعوا ان يخلقوا شيئا من العدم ، فلم تلبث اسطورتهم ان تمزقت
ولم يستطيعوا ان يطيحوا بالشاعر الكبير الحقيقي •

حدث ذلك في بلاد واق الواق كما يذكر السندباد البحري ، وكما يروي
ابن بطوطة •••

أما في بلادنا ففي علمي أن أول ما قرأت لقب الشاعر الكبير كان اذ اطلقت
حدى الجرائد على شاعر من الدرجة العاشرة ودون العاشرة ، لانه لم يكن

في حقيقة الأمر شاعراً ! وكانت اللفظة تستفزني وتستثيرني ، وربما كان إطلاقها في غير مكانها هو مصدر الاثارة ، ولعلها اطلقت على غيره من هو أهل لها فلم تستفز ولم تثقل ♦

ودفع الاشتزاز الى السؤال عن السبب فقلت اشياء ، أهمها ان الشويعر المذكور كان يقف « بنفسه » على طبع « قصيدته » ولا يفارق المطبعة حتى يطمئن الى ان « الكبير » قد الصقت الى جوار اسمه ♦♦♦

قلت حينئذ أيمكن ان يقبل هذا مسوغاً !♦♦

وأقول اليوم : أخشى ان يكون في شعرائنا الصغار من يفعل شيئاً من ذلك ♦

وقال صاحبي : أما يمكن ان يكون لهم مسوغ جديد في فعلتهم ؟ قلت : لكل زمان مسوغاته ، ولا تأخذ المسوغات الطبيعية مجراها حتى يأخذ المجتمع مجراه الطبيعي ♦
قال : شكراً
قلت : عفوا ♦

١٣-٤-١٩٧٢

أزمة أصوات

أعرف جيدا المعضلة ، معضلة الصوت في العراق وقد استرحت الى
نتيجة منذ أمد •

اننا قوم لا حنجرة لنا ، أقصد حنجرة تخرج الصوت اللقائي شدة
ورخاء •

أزمة اصوات ••

ورحت أعجب بالمصريين ، وفي ذهني - بالطبع - المصريون الأول ، ابناء
مطلع القرن العشرين وما حواليه ، والاسماء مشهورة في الخطابة والحديث
والشعر ، اتريد ان اذكر طه حسين ، أو علي الجارم ••؟ اما في التجويد والغناء
فأنت اعرف مني بالعدد العديد ، وليس بالمسألة حاجة الى تدليل او تطويل •

واذ نستمع الى السوري واللبناني ، والفلسطيني نفسح لهم الطريق
ونقف على الطريق ، وهذه الحقيقة من تلك ، ولا تجادل ، ولا تسل عن
السبب ، فما شغلت النفس به ، ولعلك تجده ••

وهنا اذكر تقليدا قريبا ، كانت « النجف » اخر ما ودعه ، هو ان يتولى
قراءة الشعر في المنتديات قارئ خاص اوتي حنجرة خاصة تؤهله لهذه المهمة،
يزيدها التدريب قوة والتمرس تهذيبا • وحسنا ما كانوا يفعلون ••

لم كان هذا التقليد ؟ لا ادري ، واخشى ان يقودنا - في اساسه - الى
حلقة مفرغة او الى جواب مفجع كأن يعزى الى ندرة الصوت ، او الى جواب
منطقي يقال فيه : الشعر موهبة والصوت موهبة أخرى •

وليس هذا الذي كان في النجف بيدع في تاريخ الصوت الانساني ••
وهو معروف مألوف في أوربة • فهناك معاهد خاصة تعد لللقاء - او الإنشاد

كما كان يقول الاسلاف - وقد يدخل في اعداد الممثل ولا سيما في المسرح الشعري ، واذا انبرى المنشد أدهش وأعجب وآنس صوتا وحركة حتى ليخشى المرء على الشعر نفسه •

ويهيأ هذا المنشد الخاص - أكثر ما يهيأ - لدى الاحتفال بذكرى شاعر فقيد فيضفي على الاحتفال بهاء ويزيد الى جمال الذكرى جبالا ••

ولنعد من حيث جئنا •• فالازمة مستحكة ولم يزدها مر الزمان الا حدة وشدة •• ونستعرض شعراءنا من الجيل الجديد ، فلا نرى صوتا : السياب ، نازك •• البياتي حسنا يفعل اذ يتجنب مواجهة الجباهير • بلند الحيدري لم تركب له لبنان وترا ، عبدالرزاق عبدالواحد يبحث عن صوته •• وهكذا •• وهكذا •• من يؤس الى إشفاق ومن اشفاق الى يؤس ••

ويدو ان وراء الفلسفة سكلجة ، وان نسبة كبيرة من خيبة شعرائنا الشباب يسكن ان تعزى الى نسبة كبيرة من ضعف الثقة بالنفس في الاداء وفي الشعر نفسه ••

ولم يأت هذا الضعف عبثا ، فقد يغالط انسان نفسه اذا خلا بها ، ولكن المغالطة تفت في عضده اذا خلا الى جمهور يصعب خداعه باوتار بئسه ، وحركات يائسة او بتصفيق مفتعل وتشجيع مبيت ••

وليس المحدثون والخطباء والقراء باحسن حظا من الشعراء ، وانما خصصنا الشعراء لانهم اول ما يتبادر الى الذهن ، ولان الشعر واللقاء صنوان ••

كانت الازمة امس عراقية فقط ، تتسع اليوم فتصير عراقية وغير عراقية ، يلمسها لمس اليد من حضر المؤتمرات الادبية والمهرجانات الشعرية وكأن الصوت - لدى من يريد ان يكون ذا صوت - تشنجات وحشرجات ونبرة في واد وحركة في واد ، ويد في الشمال ورجل في الغرب ••

هذا من مصر ، وهذا من سورية ، وهذا من لبنان •• ليبيا ••

السعودية .. الكويت « كلنا في الهم شرق » ولا عبرة في الشاذ فيما هو
الشأن مع الفيتوري أحيانا ، وفيما يروى عن أدونيس - (ولا يدخل الافتعال
القباني في الشاذ) •

لماذا ؟

وكيف ؟

وما العمل ؟

ويكاد المرء ان يغرق في الظلام في صحراء لا أول لها ولا آخر وليس
فيها « لا آن ولا ودان » •

- لماذا ؟

- كيف ؟

- هل يخفف من مصابنا صوت نسعه احيانا في اذاعة بغداد يقرأ
ناذج من الشعر الحر ؟

- لا ولكنه يغطي المصيبة للحظات ثم لا تلبث ان تتكشف كأبشع
ما يكون ! ويقول الفرنسيون : ان الشاذ يؤكد القاعدة •

٢٠-٤-١٩٧٢

قصيدتان ... ومشكلة

لتكونا اثنتين أو أكثر ... لان المهم في الامر الجودة ، وقد كانت كذلك
سبكا وصورا ...

القاهما صاحبهما في ثقة الشاعر بنفسه دون ان يتهمها أحد بالغرور
والتنطع .. وقد أعرب الحاضرون عن اعجابهم بالانصات حيناً وبالتصفيق
حيناً وبالابتهاج في كل الاحيان ..

أما أيهما الافضل فليس بذى بال .. فلهذا ما ليس لذاك ولذاك ما ليس
لهذا ، وللاثنتين الجودة والشاعرية والجدة وكثير من الاصاله ...

انك لا تستطيع ان تقول انهما قاصران ، وانهما يلقيان شعرا لغبرهما ..
لانهما هما صنعاهما القصيدتين الجميلتين شكلا ومضمونا ، وقد استوعبت
لديهما القصيدة العمودية من المعاصرة ما صعب أن يستوعبه كثير من الشعر
الحر .

ولم تكن الثالثة والرابعة بمنأى عن الجودة والتنوع .

صعد حسام عبد علي على المنصة ومعه « الجمهور الغفير » الذي يملأ
القاعة الواسعة : « رجل من مفازات الصمت » فكان وضيئا وكان انسانيا ،
وكان متألما للضيم الذي يلحق بني البشر ، متفائلا بالخير الذي سيحل يوما
ما ... ولكنه لم يسيطر بهذه المعاني وما هو أدق منها لو لم يكن شاعرا ،
ولو لم تكن « رجل من مفازات الصمت » قصيدة .

وصعد آخر وآخر ... لانتا كن في مبرجن الشعري السنوي للجامعة
المستنصرية : ولا بأس في مجبوع مثنى . ولا بد من ان يحصل تفاوت ،
ولكننا كنا نحس باننا في مبرجن دي روح . لابد ان يكون المريد القديم على
شيء منه أو ان تكون نحن هـ على شيء ما كان عليه الناس هناك ...

وكان يلوح على هذا الشباب اهتمام جاد في ان يكون شاعرا ، واخلاص
نادر لرسالة الشعر في الحياة ...

ويصغي الجمهور مرة ثانية اصغاء تاما ، مأخوذا حينا ، وموغلا في
التصفيق حينا .. فقد كان يستمع الى يحيى السماوي يلقي « قافلة السنين »
فيدهشهم شعرا . وأدهش ما في شعره الصور ، وأدهش ما في موقفه الاطمئنان .
هذان ، اذا طالبان من قسم اللغة العربية بكلية الاداب ، ومثلهما يستحسن
قيام الدراسات المسائية لانك ترعى بها موهبة وتعد ادبيا - اما اولئك الذين
« يعددون اياما » « ليقبضوا » (الورقة) فالاولى ان تسد المستنصرية في
وجههم ابوابها الواسعة .

هذان طالبان .. شاعران ، والا فكيف يكون الشعر ؟

ثم اننا شهدنا غيرهما من الشعراء الذين ليسوا بطلاب ، ممن يمثل
اوصافا نادرة واسماء معدودة في المؤتمرات الكبرى وفي المهرجانات الكبرى
... فما رأينا في الكثيرين ممن رأينا من بلغ مبلغهما وحقق ما حققاه .

اما اذا كنت قد استعمت الى هذين الطالبين نفسيهما في عام مضى فانك
ستعجب للتقدم الذي أحرزاه خلال عام واحد ! لقد ارتقعا خلال اثني عشر
شهرا من طالبين الى شاعرين .

ولك ان تتفائل بعد هذا ، ويذهب بك التفاؤل الى انك ستراهما في
العام المقبل احسن واحسن ، وانك ستقرأ لهما بعد تخرجهما شعرا أعلى وأعلى
تتبنى أمهات المجلات هذا وذاك ويصدر لهما الديوان الاول والثاني ..
اني ما هنالك مما يمكن ان تذهب بك اليه مركبة التفاؤل ...

ولكن ...

أرجو ألا تطلق العنان ولا تفتح الصنبور وارجو ان تستمع الى كلمة
من مجرب طالت تجربته في هذا الموضوع وشط به الامل حتى حسب يوما أن
العراق سيزخر بالشعراء الكبار ، وسيكون لنا فيه عصر يفوق العصور ..

ومنطلقة في ذلك طلبه في دار المعلمين العالية أو كلية الآداب على مستوى
الشعراء المجيدين وخيئته أنهم يتخرجون فلا يعودون شعراء ولا مجيدين
وإذا بقي لهم شيء فليس ذلك بالشيء ..
وهذه هي المشكلة ...

١٩٧٢-٤-٢٨

ندوة الأدباء وندوة للفنانين بينهما بون

جلس الادباء على مرأى من عشرات الالوف من العراقيين • والعراقيون مشاهدون عجبون - كما صرح مسؤول • ونقده عجبون - ولابد من أن يقال ذلك ..

الادباء من الاقطار الشقيقة في ضيافة العراق وهو يحتفل بالادب والشعر ، وحب العراقيين لادباء الاقطار الشقيقة منقطع النظير • ومن خلق عراقي الا يقبل مدحا جزافا ، وربما استهان بمن يتلقه •

جلس الادباء ، إذأ ، على مرأى ومسح من هؤلاء المتسامدين • فتكلم لاول واثنى على الشعر في بلاده وعلى ما حقق من خطوات ، وعدد أعلامه ودواوينه - وذلك طبعي وانا نتطلبه لانا نسعى الى أن نتعلم ولا نريد ان نتوتنا فائتة ، ويسرنا ان نشرب الماء من منبعه •

وتكلم الثاني فلم يخرج من الدائرة التي اختطها زميله - حتى لكأنهما على موعد - وما كانا كذلك ، ولم يكن سرورنا بما عنى به هذا بأقل مما غني به ذاك • • وأصغينا وان كنا نعرف عن شعر هذا القطر وذلك أكثر مما حول أن يظهره عليه هذان المتحدثان •

ثم •••

عاد الكلام الى الاول فاذا به يسترسل في شعر قطره • • وعاد الثاني إذا به وكأنه على تفاهم تام مع صاحبه •
وانتهت الندوة •

وانتفت جاري وقال : كم كنت أود لو سعت من أخوينا الشقيقين
نيئا من علمهما بشعرنا في قطرنا • •
فقلت له : ربما ادركهما الوقت • •

فقال لي : ربما ...

ثم ...

عادت الندوة الادبية الى موضوع ثان من الانواع الادبية ... وانتهت .

فقال صاحبي : كم كنت أود لو سعت من أخوينا الشقيقين شيئا من علمهما بالقصة في قطرنا ..

قلت ! ربما أدركهما الوقت .

فقال : اعجب لآخواننا اذ يجهلون قيمة الوقت في مثل هذه الاحوال .

قلت : الا يحدثونا عن شعرنا او قصتنا عن علم خير لنا من ان يحدثوا

عن جهل ...

قال : وهذا هو رأيي ..

ومر اسبوع ..

وعقدت الندوة هذه المرة للفنانين العرب . ولا بد من تهنئتهم سلنا ،

فقد استوفوا الوقت كما يجب وقاموا بالواجب كما ينبغي .

يبدأ الفنان ببيان علمه عما شاهده في العراق من مظاهر الفن في الرسم

والنحت وما اليهما ، رابطا ما رآه اليوم بما عرفه امس ... واصلا ما رآه

داخل البلاد بما راه في خارجها ... مبينا التطور الذي جرى ومحددا السمات

التي تميز هذا الفن وموضحا عناصر الاصاله فيه ... ثم يسير منهجيا ، يجب

عن الاسئلة ، واذا استطرد ، استطرد ضمن المناسبة ، فحدثنا - وأحسن

التحديث - عن الفن في قطره ...

وجاء الثاني ...

وجاء الثالث ...

كل ذلك في وضوح واطمئنان وموضوعية ، وأقول موضوعية لانهم

لا يقفون عند الثناء وانما يشيرون الى نقاط من الضعف هنا وهناك .. ولم
لا ؟ .. فما دعوناهم لاطرائنا ، ولو انهم وقفوا عند الاطراء لعددنا كلامهم
مجاملة . ولا ارتفعت المجاملة الى مستوى المنافقة - وهذا ما لا نريده ،
ولا نطبقه - ...

كان الفنانون أكثر احاطة ، وأكثر موضوعية وأكثر بيانا ... كانوا
يتحدثون بتؤدة ووضوح ، فيعربون بذلك عما في نفوسهم ، فينتقل هذا الذي
في نفوسهم الينا بيسر مناظر .

وكانت النتيجة ان سجل الفنانون ضد الادباء هدفا مقابل لا شيء ..
ولا بأس ... فالى المرة القادمة ، فقد يتعلم الادباء من الفنانين .

١٩٧٢-٥-٤

بين الفنانين العراقيين والأدباء العراقيين

كلاهما حقق شيئاً في الابداع وارتفع في المستوى واستطاع ان يوازي نظيره في البلاد العربية ويذه احياناً •

لدينا فن حديث في الرسم والنحت ••

ولدينا أدب حديث في الشعر والقصة ••

وكاد الفن يبدأ جديداً مع العصر الجديد •• وكان للادب ماض طويل زيد على خمسة عشر قرناً •• وظفر الفن بان تكون له معاهد خاصة ترعاه على حين لم يتهياً للادب شيء معين في موضوع الابداع منه •

وان الزائر الاجنبي يحس بنقاط التقاء مع فنه ، اذا شهد معارضنا مع تميزها بمحليتها ولتمييزها بمحليتها •

إن لدينا مجموعة يمكن ان تقدمها الى العالم وانت واثق من حسن النتيجة في رضى العالم عنهم في شخصيتهم ازاء هذا العالم •

أجل •••

ومن هنا نبدأ •••

ان شخصية الفنان العراقي أقوى ، وهو أكثر ايماناً بالفن وأكثر انسجاماً •• واشد شعوراً بانه والفن جزء لا يتجزأ حياة وموتاً •••

يبدأ بهذا الشعور ويستمر عليه ، وهو يسعى نحو الاحسن ، منافسة مع نفسه مرة ومنافسة مع زملائه مرة أخرى •• وقلبا لجأ الى الشعوذة : لان الشعوذة - لحسن حظه - لا تدوم طويلاً في الفن ، فما اسرع مما تتكشف عن حقيقتها المجدبة ويظل صاحبها يدور حول نفسه باحثاً عن صخرة ينطحها •••

أما في الادب فقد تدوم الشعوذة اطول وقد تلبس مسوح الرهبان
فتصير شعرا عاليا حينا ويصير صاحبها شاعرا تنفرج له الصفوف .. وتصير
قصة حينا .. وكل شيء أحيانا ...

شخصية الفنان اقوى ، وهو في تجديده فقه التجديد على اصوله أي
كما فرغ منه الغربيون قبلنا في مراحل متعددة • وفرق بين من يأخذ الحقيقة
عذراء ومن يأخذها ممرغة بالادران مرت قبله بمصر وعبت بها ما عبت ،
ومرت بلبنان وعاث فيها ما عاث .. ثم جاءتنا مشوهة فزناها تشويها لاننا
فهنسناها كما اردنا ان نولد وجودنا عن طريقها ، ولم تفحصها كما هي • والفرق
كبير أيها الاخ العزيز •

والفنان لا يتعجل الشهرة ، انه يطلبها ، وذلك حقه ، ولكنه لا يتعجلها •
وكيف يجروء على ذلك وقد رأى في الغرب من النماذج التي ابدعها الاعلام
منذ عصر النهضة بل منذ القرون المتوسطة ما يظل ماثلا إزاء عينيه ، يزجره
كلما حدثته نفسه بسوء .. ويتواضع كلما ارتفع طرفه اليها ..

واذا طاف به طائف من تراث احترامه واحله مكانا عليا كما فعل الغربيون
بتراثهم ، وكما وقفوا من تراثنا .. القديم والقديم جدا ، السومري ،
والوسطى •

كم كنت أنسى لو تهيأ لشعرائنا وقصاصينا ما تهيأ لفنانينا من وقوف
مباشر على دواوين العالم الخالدة وقصصه الخالدة مما كان ويكون .. إذا
نتهيأ لهم منطلق سليم يفضي الى تواضع سليم - ولكن الأوان قد فات ..
واننا اذ ندعى التجديد لا نرى الا انفسنا ، واذ ندعى العظمة نطلق من نساذج
خالية من العظمة •

يعمل الفنان في هدوء ، ولا بد له من ان ينسى العالم وهو يتبناه ، وان
ينصرف الى عمله بعيدا عن التفكير بفرض نفسه على فلان وكسر رجل فلان ،
ومنزها عن التفكير بما سيحمل به فلانا على مدحه واطرائه - والا ..

ثم ...

ينتهي العمل ، ويكون معرض عام او خاص ، ولا يسهم في المعرض كل من هب ودب ، ولا يمنح المعرض جوازا بالادعاء او بالانتهاز او بالجبر ..
واذ ينجح فنان يزداد ثقة بنفسه ، واذا ازداد ثقة ترفع عن التهريج . وكيف يهرج والاعمال في دنياه هي التي تتكلم : اللوحة هي التي تتكلم والنمثال هو الذي ينطق .

واذ ينطلق من قوة في الشخصية يزيد في توطيدها النجاح ، تنعكس القوة على تصرفاته فيطمئن في مجلسه اذا جلس ويطمئن في قيامه اذا قام ..
وليكن بعد ذلك في المجلس من يكون من عرب او غير عرب - ولم لا ؟!

١١-٥-١٩٧٢

شكسبير .. لا يوصف

ليس في العالم كله شاعر يعرفه العالم كله غير شكسبير ، وهذا يبعث على اقصى التفاؤل بأن الحق حق ، وانه يفرض نفسه ويأخذ مجراه ... وان الموهبة الكبيرة جدا ، نادرة جدا ، وهي لكل الناس من كل الناس . ويكذب من يقول ان شكسبير انكليزي ... لانه عالمي ، وللانكليز - بعد ذلك - ان يفخروا بان شاعرا عالميا كتب له ان يخرج من بينهم ... والا فهو فرنسي ، والماني ، وروسي ، وياباني ، وعربي ، وافريقي ... وفي كل مكان وزمان . كتب عنه كثيرون ، وسيكتب عنه أكثر ، لانه شاعر لا ينضب جديده ، ولا تنتهي عجائبه .

وبين الكتب المبكرة عنه بالعربية كتاب بعنوان « شاعر الكون » وقد سكر قوم منا هذا العنوان وبلغوا درجة الاستكثار ، فدلوا على عجلة من أمرهم ، وجهل بأمره .

ولا شك في أن الاعتراف بعظمة الآخرين فضيلة ، ولكن هذه الفضيلة تقتضي في صاحبها سعة الافق وضبط الاعصاب وبعد النظر وحدة الذوق ، والا فليس سهلا ان تقدم غيرك على نفسك ...

وفي ذات يوم من صيف عام ١٩٥٠ كان طلبة « دبلوم الحضارة الفرنسية ، سوربون ينتظرون « الاوراق » وفيهم نحو من الف طالب وطالبة ينتمون لأكثر من جنسية .. اذا لم يخني التقدير » .

وبالانتظار .. في قاعة كبيرة جميلة .. وقف السيد « العميد » بتي كلمة - ولا يمكن لفرنسي ان يتكلم وينسى مجد فرنسا ، اما اذا كان ازاء حشد من الاجانب فان مجد فرنسا يصبح فرضا .

وتحدث عن مجد فرنسا الادبي ، وعن العصر الكلاسيكي بوجه خاص ،

وعن شعراء المسرحية بوجه اخص ... مكرما ، معظما مبجلا ... ومعه الحق
لانه ينطلق من رصيد ضخيم يعتمد كورني وراسين وموليير ، وكلهم كبير
عظيم ، ولم يؤاخذ مؤاخذة على كلامه ، وقد كان بين الحاضرين من درسهم
حديثا فقرا السيد ، واندروماك ، وتارتييف ، وشهدا على مسرح الكوميدي
فرانسيي - ولا تقل عظمة التمثيل عن عظمة التأليف .

واذ استرسل السيد العميد أحس بقلق فكأن امرا ازعج تفكيره ، وطيفا
وخز ضميره .

فقال :

يقولون : ان ليس في فرنسا شاعر عظيم كشكسبير ، ولكن لدينا
ثلاثة في عصر واحد ، لو جمعتهم وكونت منهم شاعرا واحدا لعدلوا شكسبير...
لقد اتعبت نفسك أيها الشيخ الكريم وانك لضعيف في العمليات
الحسابية . شعراؤك عظام دون شك ، ولكن ما الذي دعاك الى هذا التحل .
انك . انت نفسك . غير واثق منه . ولهجتك تخونك ... ولم يترك كلامك
أثرا في السامعين - كأنه لم يكن .

وها هي ذي باريس تشهد في السينما فلما اسمه « أوتلو » فخلب
لبها ... وأمسك الناقد السينمائي المختص بالقلم وكتب :

عجيب شكسبير هذا .. كاتب مسرحية من الدرجة الاولى ، ولا
نقاش في ذلك ، ولكن العجب العجاب ان تنظر في مسرحياته هذه التي كتبها
لتمثل على خشبة المسرح فقط ، وفي عصر أصبح « سحيفا » فتراها وكأنها
كتبت اليوم لتمثل على الشاشة - كأن شكسبير يعيش بيننا عارفا بأسرار الفن
السينمائي .. ويعد عمله مفصلا عليه .

ولا يقول ناقد فرنسي مثل هذا في يسر ولين ، ولا بد من انه قاوم قدرا
من « وطنيته » وان اطيافا من كبار شعراء المسرح الفرنسي قد تعرضت له
فخلج حيناً ثم أقدم ... وقال - فيما قال - كم تمنينا ان نخرج على الشاشة

مسرحية من مسرحياتنا الكلاسيكية لكورني أو راسين أو موليير ... فما
استطعنا • وما وجدنا فيما ترك هؤلاء الشعراء العظام ما يصلح في تحقيق هذا
الهدف •

ان شكسبير لشاعر عجيب !

أجل ، هو شاعر عجيب ، تقولها كلما جد حافظ ، قلتها أمس اذ رأيت
اوبرا « روميو وجوليت » ، وتقولها اليوم اذ تشهد فلم « الملك لير » في
اخراج الروسي ... وتقولها غدا ...

١٩٧٢-٥-٢٦

٥ حزيران ٠٠٠

يعرف المسألة الناس كلهم ، على كمية واحدة تختلف كيفاً...
وكان عسق العار الذي أصاب الفرد العربي لا يدرك ولا يمكن أن
يدرك...

ينظر هذا الانسان الى نفسه فيرى للمرة الاولى ، ان كان مغفلاً ، وللمرة
الثانية والثالثة ، ان كان غير مغفل ، أنه سبب في العار ... مرة بضعفه
وتخاذله ، ومرة بخيائته وجبنه ، ومرة بتمثيله المسرحي البارع ، ولم يجده
ان غالط نفسه ودس رأسه في الرمل وهون الأمر وسمي ذلك العار الكبير
الذي يستحيل ان تجد له لفظة مناسبة في « لسان العرب » ... نكسة ،
ويا للغباء ، وبأشياء أخرى تذكر ولا تذكر ...

أتريد ان اذكرك بضحي ذلك اليوم المشؤوم ، يوم قامت عشرات
الطائرات العربية تقصف وتستولي وتستعيد الحقوق ؟!

ما أخال بك حاجة الى شيء من ذلك ، لانك تعرف جيداً البطولة التي
سجلناها بنشيد المائة مليون ... وتعلم جيداً الاراضي الغالية التي خرناها
ذات الشرق وذات الغرب .

وقد أسهم الأدب في وقوع العار ، فلقد انبرى هناك وهنا أناس
لهم سمة الاديب وياسپورته ، فيهم من ينظم الشعر ، وفيهم من يزين الخطبة
ويدبج المقالة ويتحدث من الاذاعة والتلفزيون عن البطولات كلها والفلسفات
كلها - أتريد أكثر من هذا ؟!

وعجيب أن يظهر هؤلاء الأدباء بمظهر الجاهل بأسباب ما سُموه
بالنكسة ، وأن يبدوا وكأنهم فوجئوا بالأمر فبكى من بكى وناح من ناح .
وقال قائل إن الواقعة ذات أثر كبير في الادب العراقي ، انها فاصلة .

ويقصد الى أن الاديب العراقي السادر في ضياعه صحا بعدها ووجد نفسه •
تري لم كان ضائعا ؟ أكانت فلسطين موجودة قبل هـ حزيران فسمح
لنفسه بالشذوذ عنها ؟ والجواب يعني أن الضياع كان خارج دائرة فلسطين ،
وان الوجود كان كذلك خارج هذه الدائرة ... والا أين هو الضياع
الفلسطيني يوم كان ضائعا وأين هو الوجود اذ صار موجودا ؟ •

كان ضائعا • صحيح ، ولكن بعيدا عن فلسطين ، ولاسباب مهما تبلغ
من الوجهة فانها لاتمس محيط الدائرة من فلسطين ، فمحمّل فلسطين هذا
الشأن ؟ أما يكفيها ما حملناها وحملوها •

أما الاسباب غير الوجهية فالأولى بها أن تكون متلفعة في دائرة أخرى
تجري مغلقة ، وفيها ما يمكن أن يخزى وما يمكن أن يدين ••

ويقصد الى أن هـ حزيران صارت موضوعا أدبيا سائدا في أدبنا العراقي ،
بيان أثر النكسة مرة وللأعراب عن المبنى الجديد الذي يحول دون هـ حزيران
آخر ، ويؤدي بنا الى النصر والاستعادة والعودة •••

ما أجمل القصد ! وما أقبح الكذب ! والافتعال معي تفحص آثارنا
لأدبية شعرا وقصة وتمثيلية ومقالة ونقدا ••• واحدا واحدا في تجرد
وموضوعية •••

تعال ••• فماذا تري ؟

لا شيء مما يقصد اليه ••• وقد تعثر بشيء وتصفق وتهلل ، ولكنك
لا تلبث أن تري ضالة في الكمية ان أردت الكمية ، وضالة في الكيفية ان
رُدت الكيفية •

اننا لسنا جادين في مسألة فلسطين ، ولا أدل على ذلك من أنها لم تكن
موضوعا مبدعا في ادبنا ، ولم تكن مادة لآثر خلاق كبير ••• اننا ندعى
- والشباب منا بخاصة - ما ليس لنا اذ تلقى بأنفسنا على طريق فلسطين •

انك تعرفنا ، وقرأت لنا ، فرأيتنا نهتم بأشياء تافهة كثيرة ، ونكنك
لم ترنا نهتم بفلسطين •

انك تعرفهم انهم لا يهتمون بـ • حزيران اهتمامهم بأفقه ما يهمهم من
جنس أو دينار أو حذقة أو تأكيد ذات •••

••• ما أحرانا - إذا - ان تترك فلسطين تعاني جراحها وتكابذ غصصها
ونكف عن استغلال آلامها خشية ان توقعها الثقة الجديدة في • حزيران
جديد - أو أن نكون جادين •

كتبت في أواخر مايس ١٩٧٣

• • • شاهدت الطوفان

الفكرة في تناول أبناء العصر الحاضر ، مسألة الظلم ، الطغيان ، الملك الباغى المتنعم بالمتع كلها ، الشعب المحروم من كل شيء ••

جاء الملك سفاحا ، ولابد للنغل من أن يرتفع بنفسه الى أن يصير إليها ، ولابد لأمه من أن تكون الهة ••• وعلى الشعب أن يؤمن ويقدر ، عرف أم لم يعرف ، شاء أم أبى •

وليس معقولا ان يجهل وليس معقولا أن يرضى ، لقد بلغ الفقر مبالغه فاضطر الشريف النفس الى السرقة وأكرهت الكريمة الخلق على البغاء ••• ومن هذه وذلك شعب من المضامين اذا التقى الواحد منهم بالآخر رأى صورته فيه ان لم يكن قد رآها في نفسه ، وليس صعبا أن يسأل : لماذا ؟ وكيف ؟ انه قد يحتمل الضيم دهرا دون سؤال ، ولكنه لا يمكن ان يبقى كذلك ندهور كلها •

وقد يغض شعب عن ملك ظالم الى حين وعن ملكة داعرة •• ولكنه يتحرر الزمن اذا رأى ان الملك الها وان امه الهة ، ويقصر الزمن أكثر - رأى ان الملكة الالهة هي التي رفعت فلانا الى مرتبة الكاهن الاكبر لعلاقة كيدة لها معه ••

لقد بلغت الحال درجة الفظاعة •••

لابد من أن يلتقي المضامون ••• وان يجد مضام منهم نفسه مسؤولا عن جزء . ويبلغ به الشعور بالمسؤولية درجة الكفر بهذا الذي عليه الطبقة حكمة ومن حولها الكهنة • هل للالهة أن تظلم ؟؟ المسألة - اذن - تلفيق ، على لانسان ان ينظر في نفسه ، وفيما يستطيع ان يفعله •

شكرة معروفة ••• فما العمل ؟ اترك الخوض فيها لأنها معروفة ؟ ان

كونها معروفة يزيد من صحتها ، ولكن الحديث عنها يوقعك في الرتبة .
وما عليك الا ان تفكر في نمط جديد للعرض ، وماذا يكون هذا النمط ..
وقد مل الناس الخطب والاحاديث ... والحكايات والقصص ... ليكن
المسرح على أن يتبنى المهمة أديب فنان ، مثل عادل كاظم ، جاد ، له ضمير
يربط العصور ويرتفع بالحديث العابر الى المعنى الباقي ...

عاد عادل كاظم الى آلاف القرون من تاريخ عراقه فوجد ضالته ، وجد
المادة الخام التي يقدمها الى ابناء العصر الحاضر فيرون أنفسهم فيها من حيث
لا يعلمون ، فتبدو - حينئذ - لهم الافكار جديدة ، جديدة بالتأمل ، ويمكن أن
تريهم كذلك مقدار ما حققه الانسان خلال مسيرته الطويلة في طريق
الخير العام ..

المملكة الالهة نسون تقع في حب آنام فتلد منه ابنها الملك الاله كلكامش
فترفع آنام الى درجة رئيس الكهنة ...

ثم شعب من البائسين فيهم اللص والخبار والابرص وحفار القبور
والمومس .. لابد لهم أن يكفروا ... وأن ينتظروا من يتحدث باسمهم ...
فاذا تحدث أصغوا ، وتبعوا .. وزاد رفعة في نفوسهم عندما حدثهم عما
يجب أن يكونوا عليه ... وعن ثورتهم ...

وقد وجد عادل كاظم هذه الضالة في راع ... وما أسرع ما صار
لراعي شعب ، وعزلت « الطبقة الراقية » بانتظار مصيرها على أيدي « الراع »
.. وهكذا كان ... وقد وفق عادل في التأليف ... وابراهيم جلال
في الاخراج وهيا نشاهد ..

وتتوالى الاحداث ممتزجة بالافكار ... المناظر ازاءك من أيام أورك ،
والملابس ملابسها والحركات حركاتها ، فما أجمل ان تجد جذورا لافكارك
على هذا البعد السحيق ، وعليك أن تستعيدها وتناقشها وتزيد عليها : « أن
المسرح يجتاز زمنه كإشارة تستطيع ان تخلص عصرها الجديد ... »

وقد بذل المثلون طاقتهم وجودوا ... ولكنك تحس بأنهم دون
تأليف ودون الاخراج ، وكان لكلامش دون صورته في النفوس ، وقد
كن الراعي من الاناقة بما لا ينسجم وما عليه راع ... في اللباس ...
ونلتفت الى المؤلف وتقول : وفي الافكار ... لقد كان أشبه « بالمسيح في
كثير من الوجوه » ..

لغة المؤلف جميلة ، تكاد تستحيل شعرا في كثير من المواقف ... ولكن
مشكلة مخارج الاصوات ... تؤود مثلينا ... وتجور - من ثم - على
نص ...

وليس مجموع العيوب بعيوب ... لانها ممكنة التفادي ...

وشكرا لفرصة ذكرتني بالكوميدي فرانسيز ...

كتبت في حزيران ١٩٧٣

۲

النقد اذ يتجدد

– أفي النقد قديم وجديد ؟

– ولم لا ؟

لقد كان النقد يوم ولد جديدا ، ولكنه لم يكن ليتعدى انبساطا او نقباضا لدى سماع قصيدة او حكاية ، ثم تعليقا بكلمة تعني الانبساط ، وكلمة تعني الانقباض .

وغبرت عليه مئات السنين وألوفها ، لم نعرف من أمره خلالها شيئا يذكر ، حتى ما يمكن أن يكون منه في العراق القديم او مصر او الصين . . .
– ان كان الاغريق . . . فكان أرسطو جديدا ، ظل جديدا مدى قرون .

وقام النقد القديم (الكلاسيكي) على أسس معروفة تقررها بلاغته ، وفي كثير من بنود هذه البلاغة يلتقي الغرب والشرق ، الفرنسيون والبربر ،
نما تطلب الوضوح والنصاعة – الوضوح أولا وقبل كل شيء .

ويمضي زمان ويأتي زمان ، وتقعد دنيا وتقوم أخرى . . . فاذا الادباء يكتبون الشعر ، والقصة والمسرحية ، على غير ما ألف الناس واشترط النقاد ، يرفض هذا الجديد من يرفض ، ويسخر منه من يسخر ، وبين الراضين والساخرين نقاد لهم وزنهم في بابهم ، ولكن الادب الجديد يقاوم ويقاوم ، مسندا قوته من صحته ، فيستجيب اليه من يستجيب وينتمي من ينتمي ، يزداد العدد ، ويذهب قوم من قومه الى أن الادب القديم بعيد عنهم ، يستلهم ، قد مضى زمانه وانقطعت صلته – انه لا يزيد ، في أحسن حالاته على بقايا أبهة زائلة .

ان النفس الانسانية مزودة المشاعر ، متشابكة ، معقدة ، ومعنى
– ان الكلمات التي تعبر عن هذه النفس لا يمكن ان تكون محدودة . .

ناصعة .. وإياك إياك أيها القارئ ، وإياها الناقد ، أن تقول : هذا غامض ، وهذا غموض ، قاصدا الى الذم ، داعيا الى الهجاء - ان الغموض أساس في البلاغة الجديدة ، وذكره غاية في المدح •

ويسير التاريخ .. ويتطرف خلال ذلك من يتطرف ، ويعتدل من يعتدل . ويعود اليه من يعود •

وقد شهدت فرنسا ، في السنوات الاخيرة ، ضجة في صفوف النقد ، من اسرارها ان الف ناقد كتابا عن راسين - وراسين من أعمدة المسرحية في القرن السابع عشر ، خالد دون شك - وقد هاجمه في شدة ، وكان أكبر ما راه فيه من العيوب : الوضوح •

ولا يمكن لامر من هذا النوع من الهجوم ان يسر في سلام . فتلقي الناقد نقدا مرا رمي فيه بالادعاء والشعوذة •

وانظم قوم الى هذا ، وقوم الى ذاك .. وصاروا معسكرين •

وهكذا ... رأينا النقد قديما وجديدا ، لأن العالم يتجدد ، ولأن الادب نفسه يتجدد فما كان أدب القرن التاسع عشر كأدب القرن السابع عشر ، وما كان أدب القرن السابع عشر كأدب الاغريق - وليس العصر الحديث كالعصر الجاهلي - بديهية •

قال اصحاب الجديد ، المتعصبون له ، الذين لا يرون في الدنيا سواه - حقا او تكلفا - ليس راسين بشاعر ، وان زمانه ولى ، هو والبلاغة التي تقومه وتعدده كبيرا - هو وهي والوضوح •

وقالوا : اتنا في زمن بودلير ورانبو وقرلين .. هؤلاء هم هم الشعراء . ومنهم المعتد ، وعلى النقد ان يعيد النظر في نفسه ، وينسلخ من ماضيه . فلا يرى الشعر الا شعر هؤلاء - هم وهو والغموض •

والتطرف في الامر بين ، ما به حاجة الى دليل •

والدعوة الى التوسط - هنا - تعنى الترقيع ، وليس الترقيع حلاً
سينا . انما الحل ان نرى في بودلير اضافة على راسين وفي بارت Barthes
- فة على بوالو .

ان الناقد القديم أعجب براسين وله الف حق . وقد أيده التاريخ
لانسان في كل مكان . وان الناقد الجديد أعجب ببودلير وله الف حق ،
من لم يعجب بالجديد سد السبل بوجهه وانتهى العالم لديه - ومن شأن
سد الصحيح : التفتح والسعة والنفاذ والمرانة والاستفادة من التجارب ...

أجل .. فلا يمنع الإعجاب براسين الإعجاب ببودلير ، ولا يعني ميلاد
بودلير وفاة راسين : ان اعجابك ببودلير وبالنقد الذي أثاره يكشف لك عن
روح في راسين لم يكن ليسبر غورها الناقد القديم .

أجل ... فالنقد الجديد لا يعني الهدم والنقض ، انما يعني الكشف
بلاضافة من اجل كيان اكمل وموقف أسلم ..

ان مسألة الجديد والقديم في النقد تعلمنا أن نكون أقوى من التغيرات
عدرئة وان نكون أنفذ الى سر الخلود .

وكل جديد زاد جديد يقوئك على الرحلة في عالم الادب ، ويعينك على
عودة سالما معافى ، حاملا الى قارئك صفحة أكثر نضجا وأبعد غورا ...
فاليه ... ولكن ...

كتاب لا تقرأه . . .

(النقد الادبي) (اصول النقد الادبي) (التيارات المعاصرة في النقد الأدبي) (النقد الادبي عند اليونان) ، (دراسات في الادب المقارن) . . .
أو أي شيء من هذه العنوانات الطنائة الرنائة . . .

تقرأها وأنت الذي يهملك الموضوع - فتسرح ، فتبد يدك الى جيبك ، وتخرج نصف الدينار والدينار والأكثر . . . وتمتلك الكتاب فرحا وسرورا . .
غير عارف أنك قد آذيت جيبك ، ونفسك ومستقبلك : وأنك لم تحسن صنعاً ، ولم تكن كيساً فطناً .

كان عليك - قبل ذلك - ان تعرف موضع يدك ومحط دينارك . . . ،
أن تعرف - في الاقل - مؤلف الكتاب المقتنى . وقد قيل : اذا لم تعرف فاسأل . . .

ان مؤلف الكتاب - يا سيدي - ليس اهلاً للتأليف ، ومن ثم فكل ما ينقله اليك بين الدفتين خطأ ، أو ناقص ، أو بين بين . فهل دفعت دينارك من أجل هذا ؟ هل تذهب الى الطبيب ليزيدك مرضاً ؟ ان كنت ارتكبت فعلتك بهذا المعنى ، وعن قصد وتصميم ، فهنيئاً مريئاً . وهذا فراق بيني وبينك . . . والا ، فاستمع لي قليلاً .

- أنا سامع . . . فقد أتنفع .

- ان مؤلفك - يا أخي - لا يملك أدوات موضوعه . ان كتابه يعالج قضايا من الفكر العالمي ، علم الجمال ، الذوق ، عملية الخلق الفني . . . ،
وانواعاً من الادب الغربي ، الملحمي ، القصصي ، المسرحي . . . ، ومسائل من صميم النقد الأدب : مهمة الناقد ، شروط الناقد ، شروط الناقد ، عملية الخلق الأدبي . . . ، وأموراً أخرى من هذه واليها ، ناهيك عن افلاطون وأرسطو . . . سوفوكل وارسطوفان - . . ويونسكو وبكت .

وهذه شؤون درسها الغربيون جيداً ، ولهم فيها كتب مجلدة ، ومجلدات
مجلدة ، ولا بد لمن يتصدى مثل هذه الموضوعات أن يكون على علم بأسسها
ومعرفة بمصادرها ، وقرب من نصوصها • ولا يملك صاحبك الوسيلة التي
تؤدي به الى تحقيق ذلك ، لانه لا يعرف لغة اجنبية • ولانه لم يدرس في معهد
اجنبي ••• ولم يزر بلدا اجنبيا ••• وصاحبك - مثلاً - لم يقرأ المسرحية
ولا الامات الاولى منها ، ولم يشهدها ولم يتهيأ له ان يشهدها ••• ولعله
لا يفكر في أن يشهدها لو تهيأت له الفرصة - آه • كم يضيع الشباب اعمارهم
في المسارح ؟ •

وقل مثل ذلك عنه في الموضوعات الاخرى ••• عنها كلها ، ولا تستثن
شيئاً ولا تقل : هذا ما يمكن أن يقول فيه صاحبي كلمة ، وهذا ما يمكن
أن يقول فيه نصف كلمة • انه ما كان ليخط حرفاً لو احترمتك او احترم نفسه •
وهكذا ، تكون باقتنائك هذا الكتاب قد اكتسبت ضللاً وشجعت
- ضلاً •

- يصح كلامك لو لم يكن لمؤلفي الا هذا الكتاب • ولم يكن مؤلفاً
معروفاً ••• واذا ، فلست على صواب •

- كم تخط - يا سيدي - بين الاشياء • فما يستطيع المؤلف أن يطرق
- موضوع • ان المؤلف الذي يحترمك ويحترم نفسه ، يزن الكلام ، ويفقه
- سجع • ويدرك المسؤولية •

- في كلامك شيء من الابهام ؟

- ليكن • وليكن لمؤلف كتابك في (النقد الغربي) كتب قيمة عن جرير
• خرزق ••• وعدي بن الرقاع ، ولكن هذا شيء ، وأن يؤلف كتاباً تقوم
- على النقد الغربي شيء آخر •

أنا لم اعترض عليك لانك اشتريت كتابه عن جرير ، ولكن تأليف
- كتب في موضوع من موضوعات العصر الاموي شيء وتأليف كتاب عن النقد
- عربي شيء آخر • أن تأليف الكتاب الاول يقوم - أول ما يقوم - على

مصادر عربية ، وهي في جملتها موفورة ، ثم انه يقتضي صبرا على قراءة هذه المصادر ، وفهمها لمضونها ، ومقدرة على استعمالها وقابلية على حسن العرض
... و ... و ..

واشهد أن صاحبك يمكن ان ينجح في هذا العمل ، وانه قد يكون فيه صاحبي كما هو صاحبك وأزيدك أني تمنيت مرة - لدى ذكر أحد اصحابك - لو انه الف لنا كتابا في النقد الادبي عند العرب . ولكن كنت أرجو لمؤلفك عن جرير والفرزدق .. وعدي بن الرقاع ان يلزم حدوده ، والا يقرع ابوابا موصدة أو يعث بغرس الآخرين .

انه حين ألف في النقد الغربي خسر أكثر مما ربح ، وانك عندما تقرأ كتابه في النقد الغربي تخسر أكثر مما تربح ، لانه لا يملك المصادر ، ولا يملك ما يهيء له فهم المصادر ، ولانه - اذ يتصدى للتأليف تختلف عليه الامور فلا يميز حقا من باطل ، وتضطرب به الامواج ، فيقدم لك كتابا ليس له الا مظهر الكتاب .

تذكر - مرة اخرى - ان صاحبك لا يعرف لغة اجنبية .. (وفاقد الشيء لا يعطيه) . - كلامك واضح ، صحيح . ولكن ، أما يمكن ان يوجد في كتابه عن النقد الغربي ما ينفع ؟ فقد يكون استعان بهذا او ذاك ممن يعرفون لغة اجنبية ، واقتبس من هنا وهناك مما ترجم الى العربية ؟ .

- هذه مسألة أخرى ، قد نعود اليها ، وان كانت باطلة في أساسها . ثم ما قيمة هذا المسكن ان يكون صحيحا اذا اضاع في خضم الخطأ . وأزيدك ان صاحبك يضيق بقراءة المترجمات ويستحيل عليه ان ينسجم وأياها فكرا ... وفنا ... آه . كم يضع الناس أوقاتهم في هذه القصص ! ..

- ولكن هذا الكتاب الذي تشير اليه ، وتحرم عليّ الاقتراب منه ، قد طبع ، وأعيد طبعه ، وأعيد ..

- ان انتشار الباطل لا يسوغ الباطل .. ان اعادة الطبع لا تعني أن الكتاب جيد ، ولكنها تعني ان القارئ رديء .

وإذا كان إثم تأليف الكتاب على صاحبه . فان اثم اقتنائه على مقتنيه ،
وإثم اعاده طبعه على المجتمع كله .

– ان من الاساتذة من يعتمد الكتاب المشار اليه مصدرا ، ويتخذ
حجة ...

– ليكن . ولكن العيب في هذه المرة في الاساتذة ... وفي الجامعة ...
وهذه – كما يبدو – مسألة أخرى لا نعود اليها .

انما الذي أرجوك مخلصا الا تقرب هذا الكتاب ...

ثم أرجوك – متوسلا – ان تنصح الآخرين بأن يوفروا على جيوبهم المال
وعلى نفوسهم النقاء ..

اما اذا اصررت – واصروا – فعلى الخير والبركة ، وهنيئا لك في نقد
غربي تأخذه عن : أحمد الشايب ، سيد قطب ، أحمد أمين ، شوقي ضيف ،
بدوي طبانة ، محمد عبدالمنعم خفاجة ... وآخرين هنا وهناك لا تملك أن
سأل العلامة منهم : أنى لك هذا ؟ ..

هنيئا ... مريئا ... لك ولهم ... ولعزة .

شرط في المغني

ماذا يشترط فيمن يتصدى للغناء ؟

سؤال غريب ألجأنا الظروف اليه وحملنا زمن صعب عليه ... وأوقعنا فيه اضطراب المقاييس واختلال المفاهيم .

أول ما يشترط فيمن يتصدى للغناء : جمال الصوت ، رخامته ، صحة الحنجرة ، سلامتها ، استعداد الجهاز الصوتي ، فطرته ...

تلك بديهية ...

ولكننا - بين الحين والحين ، في هذا البلد أو ذاك - مضطرون الى الكلام على البديهيّات . فقد يمر بك يوم عصبى تتعب فيه لتقنع من حولك بأن الليل ليل وأن النهار نهار .

يصعب عليك أن تقول لهذا الذي لاصوت له : أنك لا تصلح للغناء ، وقد آذيتنا وازعجتنا ، فاسكت ، يا اخي العزيز واحترم نفسك واكف الناس شرك ...

يصعب ... وتزداد الصعوبة عندما ترى (اخاك الصغير) يلح في الغناء ، ويلقي بنفسه في هذا المجلس وذاك ويقذف بصوته من على هذه الاسطوانة وتلك ...

وتزداد اذا كان في الناس من يعجب بصوته ، ويراه باهرا ، وكان فيهم من يؤمن بأن هكذا يكون الغناء ، وهكذا يكون المغنى ... ويحمل الذين لا ينصتون الى صاحبهم معنى الحسد والحقد - وفساد الذوق أحيانا فيسند المغني - بذلك - مجتمع هو زبدته وعصر هو عصرته .

ومن هنا جاءت مسوغات السؤال عن الشرط في المغني .. والا فما كان الغناء من وكدنا وانما تضرب الامثال تقريبا وتوضيحا ... ودفاعا عن الخوض في البديهيّات .

أجل ، فما نحن بصدد المغنى الذي يغني ، ولكننا بصدد الناقد الذي ينقد ويبدو النقد معه اسهل أمر في الحياة واهون عمل لمن لا عمل له • يكفي ان يدعي المدعي فيكونه ، فينتعته الناس بالقابه ويضفون عليه حله • ويكفي هذا المدعي ان يمسك بالقلم ويكتب عن هذه القصيدة : رائعة ، وهي سخيفة ، وعن هذه القصة : سخيفة ، وهي رائعة ••• ثم يتحذلق ويتفهيق •• يخوض فيما لا علم له به ••• فاذا هو كما يشاء من منزلة في النقد الأدب ••• ويكون هو أول من يرى في نفسه الرأي الحسن ، ثم يتقاطر الآخرون يزدحمون هذا يعجب به ، وذلك يذبح عن حياضه ••• كأن المصلحة مشتركة ••• أما أنت فعاق ، حاسد ، حاقد •••

مأساة ، يا أخي ، مأساة ••

وفي هذا ما يسوغ السؤال عن الشرط في المغني •••

ليس صعبا ان يمسك انسان بقلم وان يتتاع دفترًا ودواة ••• وليس مستحيلا ان ينشر ما يكتبه هنا وهناك ، في هذه الجريدة وتلك المجلة ••• وفي كتاب أنيق الغلاف ، أنيق الورق •••

واذ تبدو المسألة على الغاية من البساطة ، انها ، لدى التحقيق ، على غاية من الخطورة • وكل ما في أمرها أن خطرها الكبير لا يظهر لأول نظرة ، ولا يقع لأول خطوة ••• كما هو الخطر في طبيب يدعي التخصص بالجراحة ، وذا زاولها أهلك مريضة حالا أو بعد قليل •

ان الضرر في النقد المدعى يسير تدريجاً ، بطيئاً ، ولكن عميقاً ، بعيداً • وفي هذا من المصيبة ما فيه ، حتى ليصعب رأب الصدع ، وجبر الكسر ••• وشفاء المرض •

انه يفسد ذوق مجموعة لا تلبث ان تتسع فتصير بلداً ، ويتسع البلد يصير أمة ••• فاذا قلت : ان صاحبكم لا يملك الشرط الاول للغناء • فنوا : اذا ، لم يغني ؟ وكيف سمح له أهل الحل والعقد بالغناء ، انه في

كل حقل وناد ... في الافراح كما في الاحزان - ويكاد يسقط في يدك
... لا ... لا ... ليس الأمر كما ترون ، أنكم تحكمون على الظاهر .
ان صاحبكم يعلم انه لا يجيد الغناء ، ولكن لم لا يعني ؟ لقد تهيأت له الفرصة ،
فلم لا ينتهزها ؟

ان صاحبكم يملك شرطاً واحداً يجعله يبدو كما يبدو ... شرطاً واحداً
هو والجرأة على الباطل سواء . ثم لا تلبث هذه الجرأة أن تصير «موهبة» .
ولا بأس ... وليكن من أمره ما يكون .. فاننا لا نذهب بالتشاؤم
الى اقصى حدوده ، لاننا نعلم ما سيحدث في المدى البعيد ، وثؤمن بيوم
تصحح فيه المقاييس وتعديل القيم ... ويرتفع ذوق القارئ ، ويجرؤ صاحب
الذوق السليم ان يقول كلمته ... واذا بصاحبنا حيث يجب ان يكون خزيا
وعاراً ... وينفض من حوله آسفين على انهم خدعوا - وخدعوا - به ...
آسفين تائبين .

سيداتي ، سادتي ...

ليس الناقد هو الذى ينفذ فقط ، الذى يكتب في الجرائد والمجلات
والكتب ... واذا جازت الوقاحة على الناس فان جوازها الى أمد ...

أجل ، فكثير من النقاد مثل كثير من المغنين ، ينفدون وهم لا يملكون
الشرط الاول . ليس النقد الرأي - أي رأي - يقال ، والحكم يطلق .
والصفحات تسود . انه أبعد من ذلك شأوا وأسمى رسالة ، والا ، كان في
العالم من النقد عدد ما فيه من السكان .

ليس الأمر بذلك في البلاد التي قضى النقد فيها على الشوائب .
ونفى عنه الطفيليات ... وفضح العملة الزائفة ... ولا بد من ان تصل
البلاد الاخرى الى هذه المرحلة ، وان كان المفروض بهذه البلاد الاخرى ان
تتعط بنيرها وان تختصر الطريق .

ان لكل عمل موهبة خاصة به ... للشعر وللقصّة ... كما للغناء

والموسيقى ... وكدت أذكر الحداثة والنجارة - ولم لا ؟ وإذا ، فلا بد للنقد من موهبة خاصة به • أما كيف نرى هذه الموهبة لنحكم عليها ، وكيف تعرب هي عن نفسها في أبسط وجوهها وأعقدها • فذاك هو الشرط الاول لنقد ... الا وهو - وقد عرفتموه : الذوق ... الذوق السليم •

وصحيح ان الذوق حال معقدة ، يعود قدر صالح منه الى الاكتساب والدربة ولكن المادة الاساس منه ترجع الى الفطرة والطبيعة ... وهو ينبض في الشخص الذي يسلكه كما ينبض القلب ، ويضوع كما يضوع الزهر ... فنحرص على سلامة القلب ... ولننف الحشرات عن الزهر ... اذا شئنا الفوز بالقسطاس المستقيم ، والحصول على العنصر النادر ... والظفر بالناقد الناقد •

ناقدا لا تقرأ له . . .

هو ناقد لأنه يزاوّل النقد ، وكما أنك لا تستطيع أن تقول لمن يزاوّل
الحدادة : لست حدادا ، كذلك لا تستطيع أن تقول عن صاحبك أنه ليس
ناقدا .

يزاوله . . . في جرائد ومجلات عديدة لا تكاد تعرف باطنها من ظاهرها ،
وله كتب جميلة الاخراج ، جميلة الطباعة . وله اسم يتردد عندما يذكر النقاد .
وقد صار له - أيضا - أنصار يتعصبون له عن غرض غير واضح حيناً ، وعن
حسن نية حيناً ، وعددهم ليس بالقليل ، وأنه يزيد ويزيد .
وهنا تكمن النار . ولولا خوف الحريق لكفتنا ضالة حقيقته فداحة
شره . . .

اننا نخشى عليك - أيها القارئ العزيز - من هذا السلطان ان كنت
خضعت له ، ونخشى عليك منه ان لم تكن قد خضعت . . . نخشى أن تسير
مع السائرين ، وتقرأ ، وتواصل القراءة وتعجب وتزيد في الاعجاب . . .
لا لشيء الا لانه يقول عن نفسه انه الناقد ، ويصر على القول والفعل ، ولان
آخرين يقولون عنه ، ويصرون على قولهم وفعلهم ، ومن هؤلاء الآخرين
من تحترمه وقد زلت قدمه وهو لا يدري . . . وهذا يزيد الخطر خطراً ،
والعقدة عقدة .

لا تقرأ له ، لانه مكثر على شكل غير معقول ، لا تقرأ له ، لانه مدح
على وجه غير مقبول . . . فهو في كل مكان ، وهو في كل مجال . . الشعر
والقصة والمسرحية ، القديم والجديد ، الشرق والغرب . . . ولا تسلم عن
الفلسفة والتاريخ والفيزياء . . . أما علم النفس وعلم الاجتماع والديالكتيك
فهو أهمهم وأبوهم . . . وانه ليردد في نفسه قول الاول :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

وربما كان ذلك الجمع مسكنا في القرون الوسيطة ... أما الآن ... فلا ...

ولو كان جمع صاحبك في حدود العالم بالشيء ، والأخذ من كل علم بطرف ... لهان الأمر ، ولكن ما يراه صاحبك في نفسه شيء آخر ، انه يرى فيها التعمق والتخصص والتبحر ، وما عليك الا ان تسمع وتطيع ... لانه لآية التي لا تخفى ، والحجة التي لا تدمغ ...

لا ... لا تسله لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ هو مصون وغير مسؤول .. انه لا يزن كلامه ، ولا يدرس احكامه وهل من ضرورة الى ذلك ؟ نه لا يتأمل النص الذي أمامه . وهل من داع الى ادامة التأمل ؟

انها آراء جاهزة ينشرها هنا وهناك بغير حساب . واذا كان حساب ، فهو حساب الغرور ، كانه العالم الاوحد الذي أدرك سر الاسرار وأبصر دقائق حقائق ...

وهي معارف يذيعها في أدعاء كأن له علم الأولين والآخرين ، وكأنه ستوعب كل ما في أوربا من مذاهب وأعلام فأدنى أقصاها وأقصى أدناها حتى يت المرجع الاعلى ...

وهي صفحات يسودها ويطول تسويدها ويسمى ذلك تحليلا فلسفيا نيرة وتركيا مورفولوجيا طورا ...

اما اذا شاء الحديث عما وراء القصيدة او القصة او المسرحية - وهذا ما يحدث له غالبا - فانه يبعد ويبعد حتى لا يرى ولا يرى ، وطاقيته في ذلك لاختفاء ما يصطنع من التواء التعبير ويتعشق من تعقيد المعنى . وليس المهم عنده أن تكون لكلامه صلة بالنص الادبي المنقود ، وانما المهم ان يضع في نص ما ليس فيه ويحمله ما لا يطبق ، ليحقق لنفسه التمويه على القارئ ويهيء له ادعاء الجديد الذي لا يأتي بمثله من سواه .

أرأيت ، أخي القارىء ؟...

أرأيت ...

وقد يكون السيد الناقد - في أعماقه - أعرف بنفسه ، وأعلم بقدره ، ولكنه شاطر ، اذ يحسن التمثيل ... وهنا ، هنا الخطر • فلو كان مغرورا فقط لا يمكن اكتشافه ، ولكنه اذ يعطي الغرور بالتمثيل يجيز كلامه على كثير من القراء ، وبين هؤلاء القراء المغفلين - وحاشاك - من يرفع من شأنه ويرى فيه وحيد زمانه وفريد أوانه ، فينقل آراءه - ولا ادري كيف فهمها او حصرها ، من مكان الى مكان ، ويحتج بها في هذه القضية او تلك • قال فلان - وكفى ، ورأى فلان - وانتهى • وهكذا يشيع الكذب ويصير صدقا ، وتذيع الخيانة وتصبح اخلاصا • ويتفاقم الامر ويعم الخطب •

من مستلزمات هذا الضرب من الناقلين - أخي القارىء - القدرة على عرض ما لا يعملون معرض ما يعلمون فيغرون بهذا وذاك ، ويؤثرون في ذاك وهذا ... وكأنه لا بد من زمن يسفي حتى تنكشف الحقيقة ، ويظهر الزيف ... ويدان المتهم •

ولا أشك في أنك رأيت أمثاله ، فأعجبت عن بعد - أو عن قرب - حتى اذا مر حين من الدهر وعدت الى نفسك تتأمل وتناقش وجدت ازاءك كومة من هباء ... فتندم ولات حين ندامة ... والسعيد من يتعظ ويتخذ من اللدغة الاولى حصنا يقيه اللدغة التالية والاسعد من يستمع الى الناصح الذي كانت له الخبرة فصار يميز الغث من السمين والخبيث من الطيب •

لقد تبعته طويلا ، فرجائي اليك أن تصغي الي قليل فليس من مصلحتك أن تجبه المتحدث بالرد اللفظي ، وليس من الادب ان تعترض قبل أن تسمع • المسألة تخصك أكثر مما تخص المتحدث •

ان المتحدث نظر فأوعى فنصح ... أما أنت فستندم مرتين وسترى في مزاجك غرورا لا تحمده له بعد فوات الاوان •

أجل ، أخي ، فليس ناقدًا من تراه في كل مكان ، وفي كل موضوع
بعيدا بعيدا عن النص وليس جديرا بالاحترام من لم يحترمك ... أنه
يستعبطك - كما يقول اخوانا المصريون - .

خلط بين الامور وأضاع الدرب على نفسه وعلى الآخرين ...

هذا بعض من واقعنا المؤلم ...

وما عليك الا ان تستمع الى كثير من هؤلاء الذين يتحدثون عن القواعد
وتقوانين ويتشدقون بالنظريات والآراء ... وقد اخذوها من أقصر طريق ،
ولعلهم ابتدعوها من ذات أنفسهم : قال فلان وفلان . وما قال فلان وفلان
تسمع من ابتذال واسفاف .

ويكاد الواحد منا يسيل لسانه فيتحدث عن كل شيء ، وما أتعب نفسه
في شيء وما كلفها - في الاقل - قراءة النص الذي انبثقت منه القاعدة أو
تسدته النظرية .

وهذا ... هذا هو الامر الثاني الذي أوقعنا في وهدة الباطل ، وهدة
أخذ النظريات عن أقرب طريق والتصرف بها كيفما اتفق دون العودة
الى النصوص .

الامر الثاني هذا ... هو الكسل ، أجل ، فليس سهلا أن نعود الى
نصوص نقرأها ونديم النظر فيها ونصل ما بينها وبين النظريات ... ولم
تجشم ذلك ؟ ولدينا بلاغة القول فيما لا نعرف اصله وفصله ... لم ؟ ونحن
نرى مثل هذا الكسل ؟

وتتصل بالجهل بطبائع الاشياء ... وبالكسل ... عوامل اخر من
جهل واضطراب المقاييس واختلال ما بين الجريمة والعقاب وضياح ما بين
حساب والثواب .

أمور كثيرة ... لا نجهلها ...

ولكن يحسن ان نقدر اخطارها ، وان نحمل انفسنا على تجنبها .. فلا

نأخذ نظرية بعيدا عن مصدرها ، ولا قانونا لقصة او مسرحية دون قراءة
القصة او المسرحية •

ان كتب نظرية النقد الأدبي كلها عوامل مساعدة ، ومواد ثقافة ...
ولكنها تفقد قيمتها اذا اتخذت غاية ، ولم يقيمها المؤلف على نص ، ولم يرجعها
القارئ الى المصدر •

أجل ...

إن النص أهم من النظرية ، واذا كان لابد من النظرية فان النص أولا ..
والنقد الادبي ثانيا •

النص أولاً

النص هو القصيدة او القصة او المسرحية او ما الى ذلك ...

من مواد الادب الانشائي - أو الادب الابداعي ، ان شئت -

ولابد للانسان من قراءة هذه المواد ، وتخبر أعلاها وإبقاها ، لما لها من دلالة اجتماعية وحضارية مرة ، ولما تنطوي عليه من عناصر الفن مرة ، ولذا نين مرة . وهذه هي الارقى .

ولابد لمن يريد ان يكون ناقدًا ، أو أن يزاوّل عملية النقد ، أو أن يحدث في أمور من نظرية النقد ... أن يقرأ هذه النصوص قديمها وحديثها .. شرقها وغربها ، موضوعها ومترجمها ... لكي يتصل مباشرة بالمادة . أساس لعمله ، ولكي يدرك أسرار الخلود في العمل الادبي ، ولكي يسع أفقه ، ويستند نظره ، ويحتد بصره ، ويحسن اختياره وتصدق نظريته .

ولابد له من قراءة هذه النصوص ... ليفهم ما يقرأ في كتب النقد . دبي من قواعد وقوانين وتعريفات وتشريعات ، ونظرات ونظريات اذ يقع على كتاب يتحدث عن الانواع الادبية ، او عن أثر البيئة أو العلم ، أو الفلسفة ... والصلة بين الادب والحياة ، أو عن عملية الخلق الادبي ، معنى الاسلوب والمذاهب الادبية ... يقرأ ويعيد القراءة ولكنه لا ينتفع شيء كبير ولا يصل الى قرار من شيء ، لانه في موقف النظر ، وموقف من يمكن أن يضع في التجريد .

واذا ضرب له المؤلف أمثلة وذكر شواهد واستعرض اعلاما ... لا يمكن - تعنى لديه شيئاً هذه الامثلة والشواهد والاعلام ... وانما تزيد الامر عنيدا عليه وتستحيل ضروبا من الرموز والاغراب ...

ان القارئ لا يفهم من أمره في هذا أمرا ... وكان خيرا له الا يقرأ - أن يقرأ ... لانه ان كان حسن الظن في منطلقه ، كان مخطئا ، لانه يأخذ

الاشياء على ظاهرها ، ويحسب انه تعلم وما هو كذلك ، وحينئذ يقع ، وهو يعيد ما قرأ على الآخرين ، في خطأ التفسير ، وخطأ الشرح ، فيسهم في الضلال من حيث لا يدري ، وينقل الخطأ على أنه صواب ... ، واذا كان يسيء الظن ، كان ضرره مضاعفا لانه يسيء لنفسه وللآخرين عن قصد وتصميم .

أجل ... وهذا يحدث ، ويحدث كثيرا ، في مجتمعنا المعاصر ...

يقرأ فلان كتابا من كتب نظرية النقد الادبي - ولا تهمة عادة قيمة هذا الكتاب وقيمة مؤلفه فيفهم الاشياء على غير ما هي عليه ، وليس له الا ذلك. لان هذا الكتاب يربط بين القاعدة والمثل والتعريف والشاهد ، والاثار والمؤثر ، فاذا كان القارئ لا يعرف المثل والشاهد والمؤثر صعب عليه في القاعدة والتعريف والاثار ... وصعب عليه فهمها على ما وضعت له ، ثم تنتفخ أوداجه ادعاء وعجبا وغرورا ، بأنه فهم ما لا يفهمه غيره ، وتعلم ما - يتعلمه غيره ... ويسهب في الحديث ويطيل كأنه أب للسويع وأم ، وكأنه هو الذي استنبط القوانين ، واكتشف الآثار وميز الاوصاف ... فاذا وقع تحت تأثيره سامع ساذج ، منحه الثقة فان هذا السامع لا يأخذ من محدثه لا الخطأ ، وأنه اذا نقل الكلام الى آخرين ، نقله بسا هو اشد ضلالا وتضليلا .. هذه حال مؤسفة من أحوالنا .

يؤدي الى الوقوع في وهدتها أمران ، يسكن ان يكون لهما ثالث ورابع ... أما الامر الاول ، فهو جهل بطباع الاشياء ينبع منه جهل بديهي في عالم النقد الادبي ، وهي بديهية النص اولا ... هي بديهية لانها لا تحترس النقاش ، لا بد من التسليم بها والانطلاق منها ، والا كان عبثا كل ما نبنيه . وتافها كل ما ندعو اليه .

انا أريد ان اعرف قوانين القصة ، وأعرف سير تطورها ، وأعرف كيف تميزت في عصر من عصر ، ولدى كاتب عن كاتب ...

ذلك حقي ، كما هو واجبي مادمت اخوض مثل هذه الموضوعات متعلما حيننا ومعلما حيننا ... ولكن أين أجد هذه القوانين ؟

الجواب السريع : في كتب النقد الادبي •

وليكن ، ففي كتب النقد الادبي كثير منها ، وفي كثير من هذه الكتب صواب غير قليل ، فلقد جد أهلها في القراءة والبحث والاستنباط حتى وصلوا الى هذه القواعد والصفات وقدموها لنا في هذا الكتاب أو ذاك من مؤلفاتهم •

وأنا أقرأ هذه الكتب فألم بهذه النتائج ...

ولكن ... لا قيمة لهذه النتائج ان وقتت عند هذه الكتب • لان المؤلف ذكر أمثلة من القصة القديمة والحديثة لفلان وفلان ... كان قد قرأها وأدام النظر فيها حتى وصل الى ما وصل اليه ...

وأنا ، لا بد لي ، من أن أقرأ ألهم من القصص التي ذكرها ... لكي فهم نتائجها جيدا ، ولكي أكون على مستواه وعلى درجة استطيع معها مناقشته وتبيان خطئه من صوابه ... فلعله سها عن أمر ، ولعله بالغ في أمر ، ولعلي زيد عليه واعدل من شأنه - ومن يدري فقد اكتشف سمة جديدة ، واقف على ظاهرة ، لم يقف عليها سابق علي ...

أجل ...

النص أولا ...

النص من قصيدة وقصة أولا ... قبل أن تقرأ في نظرية النقد الادبي ، والنص أولا ، بعد أن تقرأ في كتب النقد الادبي ، والنص أولا اذا شئت أن نخوض أمرا من أمور نظرية النقد الادبي ... وأمور الشاعر الفلاني والقاص فلاني ... والعصر الفلاني ... والمذهب الفلاني ...

هذه بديهية ، وما كنا لنقف عندها لو انا ندرس الحساب في المدارس الابتدائية ، لان الامور هناك تسير طبيعية ... اما في عالم النقد الادبي فحاجة ماسة الى الوقوف الطويل عند البديهيات لانه عالم الكبار ، عالم متكبرين ، عالم يدخله كثير من الناس رغبة واستسهالا ، ومن كان كذلك ،

كان دخوله غير طبيعي وكان خروجه غير طبيعي ، ومن كان كذلك فما عليك الا أن تخيب ظنه ، وتبرهن له على أنك اذكى منه ، وأكرم على نفسك منه على نفسه •

أجل ... والناقد الحق يحترم نفسه ، ويحترم الآخرين ... والا استحال عمله (سفسطه) و (شعبذة) ...

أجل ...

والآن ...

وانت ... يا سيدي الناقد الكبير ... أننى لك كل هذا العلم ... وهذه الفلسفة ... وهذه الآراء ...؟؟

سنة - أولا - لا تساعدك على ذلك ، فما تزال حدثا ... كم عمرك ؟ عشرون ؟ خمس وعشرون ؟ ثلاثون ... وأكثر قليلا ؟ ليكن ، فما ينفعك ذلك ... فقد يكون الحدث في سنة شاعرا بوجه من الوجوه ، وقد يكون قاصا بحال من الاحوال ... أما ان يكون ناقدا على الشكل الذي تدعيه فيستحيل ومستحيل - أن مسألة السن مهمة جدا في النقد الادبي الحديث • والمفروض أنك أول من يعرف ذلك •

وقد يتحقق لك شرط الزمن يوما ... ولكنه لن يجديك فتىلا ... لسوء منطلقك والحكمة تقول : اذا كانت البداية خطأ ، كانت النهاية خطأ كذلك •

ومثلك لا يجهل هذه البدئية ، ولكنك اخترت منهج المغالطة ، فغالط وابق حيث اخترت لنفسك ، اما نحن ، فقد صح عزمنا على الا نقرأ لك واصنع ما شئت ، وان لم نترحمنا وترحم نفسك ، فرحمة بالورق •

كان دخوله غير طبيعي وكان خروجه غير طبيعي ، ومن كان كذلك فما عليك الا أن تخيب ظنه ، وتبرهن له على أنك اذكى منه ، وأكرم على نفسك منه على نفسه •

أجل ... والناقد الحق يحترم نفسه ، ويحترم الآخرين ... والا استحال عمله (سفسطه) و (شعبذة) ...

أجل ...

والآن ...

وانت ... يا سيدي الناقد الكبير ... أننى لك كل هذا العلم ... وهذه الفلسفة ... وهذه الآراء ...؟؟

سنة - أولا - لا تساعدك على ذلك ، فما تزال حدثا ... كم عمرك ؟ عشرون ؟ خمس وعشرون ؟ ثلاثون ... وأكثر قليلا ؟ ليكن ، فما ينفعك ذلك ... فقد يكون الحدث في سنة شاعرا بوجه من الوجوه ، وقد يكون قاصا بحال من الاحوال ... أما ان يكون ناقدا على الشكل الذي تدعيه فيستحيل ومستحيل - أن مسألة السن مهمة جدا في النقد الادبي الحديث • والمفروض أنك أول من يعرف ذلك •

وقد يتحقق لك شرط الزمن يوما ... ولكنه لن يجديك فتىلا ... لسوء منطلقك والحكمة تقول : اذا كانت البداية خطأ ، كانت النهاية خطأ كذلك •

ومثلك لا يجهل هذه البدئية ، ولكنك اخترت منهج المغالطة ، فغالط وابق حيث اخترت لنفسك ، اما نحن ، فقد صح عزمنا على الا نقرأ لك واصنع ما شئت ، وان لم نترحمنا وترحم نفسك ، فرحمة بالورق •

۴

ازدواجية المجلات

الازدواجية توزع الجهد وتضع الطابع المميز •
في البلد مجلات جيدة ، ونطمح الى ان تكون هذه المجلات اجود ،
ولا يسرنا ان تتأخر بدل ان تتقدم •

« ألف باء » ضرورة ، ولكنها بدأت ، منذ غير قليل ، تفقد طابعها بنظر
سداقائها وطالبيها الحريصين على ان تبقى • ان بها حاجة الى دم وحياة والى
- يخرج المحررون من وراء المناضد الى الشارع والسوق والمدرسة والمستشفى
... في بغداد وغيرها ، شمالا وجنوبا ! وشرقا وغربا •• في العراق وخارج
عراق اذا كانت تطمع ان تكون مجلة عربية تقرأ في الخليج كما تقرأ في
حيط •

ان اقتل ما يقتل الصحفي ان يكتفي بأن يصبح موظفا يأنيه رزقه المقسوم
- مكتبة جد أم لم يجد ، ابدع ام لم يدع •

مجلتي ...

المزمار ...

اما المورد فلها حساب خاص ••

وازاءك الآن عددان صدرا في تشرين الثاني ١٩٧٢ : الأول من مجلة
سبا : الاقلام ، والثاني من مجلة اسمها : المثقف العربي • والاقلام مجلة
-ية فيها شعر وقصص ونقد واحاديث عن الشعر والقصص والنقد • وطبيعي
- نخرج قليلا الى ما هو ابعد من ذلك مما له مساس بذلك من شؤون الفن
نومي وفلسفته وصلاته بالفنون الاخرى والمعارف الاخرى ••

انها مجلة ادبية ، وتقدمها ملحوظ ، وانها لتحرص على أن تصدر شهرية

في مطلع كل شهر وان تأخرت احيانا واضطرت الى ان تجمع عددین في عدد واحد احيانا مما يسيء اليها ولا يجدي هيئة التحرير كثيرا ما بأيديها من اعذار صادقة - أو غير صادقة ، لان القارئ - في العالم المتمدن - يعرف جيد ان المجلة الشهرية شهرية وانها في اليوم الاول من كل شهر ، مع الباعة في كل مكان ..

غلب على الاقلام هذا الطابع او ذلك ، مرة تجديدها أكثر من اللازم ومرة ترجماتها أكثر من اللازم ومرة .. ومرة .. الا انها تسعى - كما يظهر جليا - الى حفظ التوازن والى ان تبدو عراقية لانها تصدر في العراق وعنه . فالعراقي يريد ان يرى نفسه فيها ، والعربي والاجنبي يريدان ان يريا الادب العراقي فيها .

واذا كانت الاقلام أدبية فلم هذا الشعار الذي وضعته تحت العنوان : « مجلة فكرية عامة » ؟ لا ، انها ليست فكرية ولا نريدها فكرية ، وليست عامة ولا نريدها عامة . انها أدبية خاصة بالادب ولا تمس الفكر والعموم الا في حدود ما يمس الادب حدود الفكر والعموم ، كما ألمعنا وكما هو واقع على صفحاتها .

ليست فكرية ، ولقد خشيت أن يكون شعارها « تعنى بشؤون الفكر » .

الخير للاقلام - ولنا - ان تبقى الاقلام ادبية كما هي . ويقصد بالكنا هي السير في التقدم واشعار القارئ بالاستمرار في التقدم شعرا وقصصا ونقدا وفكرا ادبيا .. واذا كان المقصود من رفع شعار « فكرية » اجتذاب عدد اكبر من القراء فالغرض غير صحيح ثم انها ليست مجلة تجارية ... انها مجلة أدبية ..

طلعت علينا بوجهها الجديد في آب ١٩٧٠ منطلقة من خطة ادبية وهدف ادبي ، حتى بدت الموضوعات الخارجة عن دائرتها ناشزة . ولا اريد ان اذكر - أخي القارئ - بستان ضويل اسمه مضالعات في الادب الاقتصادي

الاشتراكي » لانك تعلم ان كلمة « ادب » هنا استعملت في غير المكان الذي تستعمله المجلة لها ، كما لا اريد ان اذكرك بمقال طويل اخر عنوانه : « ملاحظات في جغرافية العراق » ... ومقال بعنوان « موقف الثقافة العربية في مواجهة العصر » ... ولسنا بصدد التقويم ، ولو كنا بهذا الصدد لقلنا ان هذه المقالة الاخيرة ليست قيمة .. ولكننا بصدد صلة هذه المقالات كلها بالاقدام الادبية .

ستقول - كعادتك - اما يحتاج الاديب الى معرفة بالاقتصاد والجغرافية والرياضيات والثقافة العربية ؟ وسأقول : نعم ، وبديهي ، وحتى العلم بالذرة والريخ . ولكنه لا يبحث عن هذا في الاقدام .

ثم لم تأخذ من صفحات الادب والادباء في الاقدام لنجور على صفحات مجلة اخرى وجدت لمثل هذه الامور ، هي - وقد عرفتها - « المثقف العربي » ففي هذه المجلة نستطيع ان نقدم بحوثا واحاديث عن مجالي المعرفة كلها قديما وحديثا . شرقا وغربا ، من الفلسفة الى الفن الى العلم الصرف . الى الذرة .. الى الزهرة .. وكل شيء ولا بأس في تحديد النطاق بأن تبني شعارا نعلن عنه مثل : مجلة الفكر العربي التقدمي .. ولكن الخيبة في ذلك ان يتعذر التطبيق وانك لا تجد المادة المناسبة .

واذ صدر العدد الاول من « المثقف العربي » في شباط ١٩٦٩ لم تكن الاقدام « المؤسسة في ايلول ١٩٦٤ » على الوجه الذي آلت اليه . كانت كشكولا ، وكانت تراثية اكثر منها ادبية مما دعا الى اصدار مجلة كالمثقف العربي والى ان يعطف على شعارها المتقدم وهو ، مجلة الفكر التقدمي ، شطرا آخر هو « والادب الجديد » وكان للحال - انذاك - ما يسوغها فلا بد ان يجد « الادب الجديد » متنفسا ثم ان الادب جزء من الفكر ومادة من الثقافة ... ولكن هذه المقولة ضعفت كثيرا جدا بعد تحول الاقدام الى « مجلة ... الادب الجديد » .

ولهذا ، فانك اذ تنظر في هذين العديدين ازاءك تلاحظ ان كلمة « مجلة

فكرية « من غير مكانها من شعار « الاقلام » كما هي وكما يجب ان تكون ،
وان كلمة « والادب الجديد » في غير محلها من شعار « المثقف العربي »
كما يجب ان تكون

أجل ، لقد تخلت « الاقلام » عما ليس لها الى « المثقف العربي » ولكن
« المثقف العربي » لم تتخل للاقلام عما هو للاقلام ، ولهذا فانك اذ تقرأ فيها
عنوانات مثل : مقابلة مع الروائي السوفيتي قسطنطين فيدن ، البرق وديدان
الارض (شعر) شيء عن رامبو ، اربع قصائد جديدة ، في مكان ما (قصة
قصيرة) ، حكاية في باريس (قصة قصيرة) ثم نقد كتب في المسرحية والقصة
مثل محاكمة الرجل الذي لم يحارب ، وخشب ومخل وحكاية مجانيين ،
و « ضجة في الزقاق » تختلط عليك الامور وتحسب انك تقرأ في
« الاقلام »

كان مناسباً ان تحدد وتجدد « المثقف العربي » خطها وخطتها منذ الميلاذ
الثاني للاقلام ليكون مجال الاختيار امام الاقلام اوسع وليكون محل الاختيار
امام القارئ أوضح . ولتكون « المثقف العربي » نفسها اعمق وامتن
فاذا قيل في الاسباب ان « المثقف العربي » لا تجد المادة التي تعتمد عليها ضمن
اسسها أو انها لا تجد « المشتري » قيل كان عليها - اذا - ان تبحث جيداً
عن مادتها في مظانها ، فان ضافت بها الحال تحولت من شهرية الى فصلية فان
ضافت بها مرة أخرى كان التوقف أولى من هذا الاضطراب في الميدان الخاص
بها وفي مواعيد الصدور لانها ليست مجلة تجارية تلجأ الى وسائل مفتعلة
لفرض نفسها وضمان دوامها .. فاما .. واما ..

أجل ، لو لم تكن « الاقلام » لكان في النهج الحالي للمثقف العربي
عاذر . ولو لم تصدر المجلتان عن مؤسسة واحدة لكان عاذر اخر .. وحتى
يتهيأ الظرف الواعي الى ان تستحيل « الاقلام » اربع مجلات واحدة للقصة
وثانية للشعر وثالثة للمسرح (وهي كائنة الان كغير كائنة) ورابعة للنقد ،
على « المثقف العربي » ان تحدد رسالتها .

انا اذ نطمح ان يقضى على الازدواجية في النفوس والسلوك وفي الدوائر
الترسمية ، نطمح ان نكون منهجين في مجلاتنا •
ثم انه اقتراح الى « هيئة المجلات » لتتظر فيه وهي على ابواب ١٩٧٣
ومن حق القراء ان يكون لهم رأي •

١٩٧٢-١١-٣٠

اعادت نشرها جريدة « العلم » المغربية
في ملحقها الثقافي (الاسبوعي)
١٥ دجنبر ١٩٧٢

اذ يقع البحث في كذا صفحة . . .

وكذا تعني ٥٠٠ صفحة ، وتعني الف صفحة . . . وأكثر . وهذه وراثة بدوية وعقلية رخيصة تقيس الاشياء بحجمها فقط ، بل انها ليس وراثة بقدر ما هي سوء فهم للحضارة وافساد للحضارة وعث في تفسير سماتها وتقرير صفاتها والا فقد اشترط الناقد القديم الجودة مع الكمية بل ان الشاعر القديم قال :

تري الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد مزير
ويعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير
فانك في شراركم قليلا فاني في خياركم كثير

لم - إذاً فضلنا ان نكون ابناء الطير على ان نكون ابناء المزير ؟ ان من ابناء الشاعر المزدرى (بفتح الراء) تكونت الحضارة وبصوته استقام العوج . ويسمح لجاهل ان يكثر بال وسعة أرض وان يعتز بعضلات ويهتز لفضلات . . ولكن العجيب المريب ان يباهي عالم (بكسر اللام) بضخامة كتابه ويشمخ باحث بعدد صفحات مؤلفه ٥٠٠ ، ٧٥٠ ، ١٠٠٠ . . . يا للعلم الغزير ويا للعبقريّة الفذة . . اليس العبقريّة ضخامة وفذاذة ! وهكذا كان . . وعلى أعلى المستويات ، مستويات البحث العلمي ، الاكاديمي الذي يمنح الدرجة من الماجستير والدكتوراه ، وعلى المستوى الذي اقتبسناه من غيرنا فعبثنا به وأفسدناه . لا . . . ان ارمالة العلمية المنهجية لا ولن تعني ال ٥٠٠ وال ٧٥٠ وال ١٠٠٠ وزيدا فما ذلك بوارد في شروطها لدى اهلها ولعل التحذير من الحجم هو الوارد ، لانهم يشترطون اصالة وذكاء وذوقا وعمقا . . وما الى هذه الاشياء العالية من عوا ، اما نحن ، ولا ادري - وأدري -

لماذا وكيف؟ فقد اصبح مجدنا بال ٥٠٠ و ال ٧٥٠ و ال ١٠٠٠ وزيد، ثم ليكن بعد ذلك في الرسالة ما فيها من خلط وخط وخرط - يا للخاءات الثلاث .

لقد كتب فلان رسالة للماجستير بـ ٥٠٠ صفحة فما اعظمه ! كانت في البداية بـ ٢٠٠ ولكن الاستاذ المشرف استصغرها فطلب اليه ان ينفخ فيها ليحقق المجد من أطرفه ، ولا خشية من التمزق والانفجار لانهما ليسا مما يقع تحت منظار من المناقشين .. اما هذا الذي كتب رسالته في ١٥٠ أو انه كتبها في ٢٠٠ فانه حذر خائف يترقب خشية ان يسقط بيده وان يكون سببا في سقوط له ولاستاذه .. ولم ير بدا - في نهاية الحساب - من ان يشمر عن يديه ورجليه فيزيد هنا عشرين صفحة وهناك خمسا وخمسين وسبعا وسبعين فكسب بذلك هدوء البال واطمئنان النفس وضمن حسن العاقبة . هل انا امة وحدي ؟ لاسواق العقلية السائدة ؟ فما اسهل ان اخبط خبط عشواء واحشر حشر بلهاء واحشو حشو خرقاء ! واذا المئة الف والمقبول والجيد جيد جدا وممتاز وتكتب الصحف ان الرسالة كانت في ٧٥٠ او في ١٠٠٠ فيستعظم القراء الرسالة وتكون سلما الى الشهرة في مجتمع شامت سبله الى المجد .

لقد ارادت احدى المؤسسات العلمية في البلاد العربية ان تثبت للملأ انما على مستوى عال جدا وان خريجها خير من خريجي المعاهد والكليات لاخرى .. ماذا فعلت ؟ احضرت عددا من المنافع واعطت لكل طالب منفاخا فأمسك به وراح يضغط ويسحب ويسحب ويضغط حتى جاءت الرسائل بـ ٥٠٠ و ٧٥٠ و ١٠٠٠ - فهدأت النفس وزال البلبال .

- لا ، لا يا اخي العزيز .. كنت اراك اكبر من ان تفخر بما فعله المنفاخ، كنت احسبك تزن الامور بموازينها ، واطلعتني كتابك اليوم منك على ما خفي عني طويلا ..

- اني كما عهدت .. ولكن العصر يجب النفخ وما اريد لنفسي ان

اكون اقل معاصرة من هؤلاء الاذكياء الذين احتازوا بالنفخ الوانا من النعم وضروبا من الجاه وصنوبا من المال .. واذا كان هذا كتابي الاول في هذا الحجم فسألحقه بأشباهٍ ونظائر واذا ابلغ العشرين عدا فقد اختصر في الحجم لان المسألة ستخرج حينئذ من الفخر بعدد الصفحات الى الفخر بعدد المؤلفات ..

- قد تكون على صواب في نظرة من النظرات ، ولكنك على ضلال في منظار الحقيقة •

- منظار الحقيقة - واقولها لك وحدك - اخر ما يهمني ..

- سر - اذا - وعلى بركة الله !

١٩٧٢-١٢-٧

•

من أحذية بيكاسو ، الى أحذية المتنبى

يتجنب كثير من العراقيين الاعلان عن مخازنهم ومحلاتهم وبضاعتهم باسماء عربية •• ولك أن تنظر في أسماء القصص وغيرها • ومرد ذلك واضح : فقدان الثقة بالنفس ، ومنح الآخرين ثقة من غير حدود • ولو كان مرد الموقف نظرة عالمية لما كان في الامر بأس ، ولو دلت الاسماء التي نختارها على علم وذوق لكان للأمر من يقبله او يدافع عنه أو يفخر به •

ولكن •••

هذا مصور يسمى محله : رتز • فمن - أوما - رتز ؟ ولِمَ تلفظ الكلمة بكسر الراء ؟

لقد اطلقته فرنسا على شوارعها وميادينها لانها تعرفه جيدا وهو منها واليها ، انه اديب ورجل دين (كاردنال) ورجل سياسة ترأس المقاومة ضد الملكية ممثلة بلويس الرابع عشر •• وادى به عمله الى السجن في الباستيل - ولد سنة ١٦١٣ وتوفي سنة ١٦٦٥ ويلفظ بفتح الراء •

وهذا مصور آخر يسمي محله ، ستوديو ريجنت ، أعرف معنى هذه الكلمة ؟ اهي اسم لمصور عالمي ؟ اهي عنوان لمتحف للصور ؟

لقد كان في النظام الملكي المباد شخص لا اخال العراقيين المحدثين كرهوا شخصا كرههم اياه ، لسوء فعله ولسوء خلقه ولغطرسته وعجرفته وخبثه وجشعه ونكرانه للجميل •• حتى ليستحيل على أي يعجبه الدفاع عنه ان يجد فيه فضيلة واحدة او شبه فضيلة • وكانت وظيفته في الدولة كبيرة جدا دون ادنى مسوغ ، كان « اسمه » : الوصي • وفي عهده سبي فندق كبير في بغداد بأسم ريجنت بالاس ، وما كاد نموز يسرق صفحته حتى اصلح الخطأ •

ويأتي بعد هذه الثورة ... وفي هذه الايام من يسمي محله « ستوديو ريجنت » • ولا اشك في انه يجهل ان ريجنت هذه كلمة انكليزية Regent تعني « الوصي على العرش » ••

كان جديرا بصاحبنا ان يختار - اذا كان لابد من اسم اجنبي - اسماً عالمياً من كبار الرسامين : دافنشي • رفايل • گوگان رنوار •• واذا كانت هذه الاسماء بعيدة عن متناوله او انه لم يسمع بها فهناك اسم معاصر لا يكاد يجهله احد في مشارق الارض ومغاربها ، هناك بيكاسو ، وليس من العيب الكبير ان تسمي محلاً للتصوير باسمه •• ولكن صاحبنا اختار اسماً لا يست الى الفن بصله كأن المهم لديه ان يكون الاسم اجنيباً ، وليكن بعد ذلك ما يكون في دلالة وفجواء •• وليكن : عبدالاله •

واذ تشبث بالوصي على العرش ، سد الطريق على الآخرين في اختيار اسم مناسب • ترى ماذا يفعل بائع احذية من الدرجة الرابعة ؟ ماذا عساه ان يختار ؟ لقد انتهت الاسماء واغلقت الابواب فلا رتز ولا ريجنت •• فما العسل ؟ الامر سهل وعلى الغاية من الهوان • ان كلمة بيكاسو تتردد كثيراً على اللسان في هذه الايام ، في الجرائد والمجلات وفي الاذاعة والتلفزيون ، وهي الى ذلك ذات رنين وغرابة فلاسبق اليها ولأعلقها لافتة طويلة عريضة على مخزني الصغير : احذية بيكاسو •

ولا يست الامر الى العقل او الذوق باية صلة ، ولو كان فيه أدنى دلالة لرأيناه في باريس او مدريد قبل ان يراه في بغداد ••

ولكن ••

لكن بيكاسو مهسا يبلغ من الشهرة والرنين والغرابة فلا يبلغ مدى شاعر عالمي كبير جدا • وأكبن الظن ان صاحب المحل لا يعرف ان الاسم الذي اختاره لمحله شاعر كبير جدا ، والا فما معنى « خياطة شكسبير » كتبت في لافتة كبيرة على باب صغير ؟ ثم ليكن الباب كبيراً ، فهل يغير ذلك من طبيعة الجهل المدقع ؟

وتقول له : لم اخترت شكسير ؟ فيقول : ما العمل وقد راح مني بيكاسو .. وتقول له : لِمَ لمَ تسمه - إذا - يرون او راسين أو همنكوای؟ يقول : لم اسمع بهذه الاسماء ولو طرقت سمعي لاخترت همنكوي لانه ذو رنين خاص يمكن ان يعوض لي الخسارة بيكاسو .

لقد فرضت عبقرية شكسير نفسها على العالم فمجدوها بالالوان المناسبة من التمجيد ، ولم تغفل نحن عن هذه المكرمة فابتكرنا ما لم يسبقنا اليه سابق ولا يلحق بنا فيه لاحق : خياطة شكسير ، مسكينة لندن ، ومسكينة ..

- وما فعلناه بتاريخنا لا يقل جهلا .. اما قرأت : مكوى الخنساء ؟

- اجل .. واحذية المتنبي ..

- عجيب ! ولم المتنبي ؟ ألقوله يخاطب كافورا :

وتعجبني رجلاك في النعل اني رأيتك ذا نعل وان كنت حافيا

- لا ادري ، ولكن الذي ادريه جيدا انه خشية ان يحار بيكاسو والمتنبي في صبغ احديتهما أو ترقيعها أوجدت بغداد « اسكافي الخيام » - يا ملتقى العبقریات ؟

- لقد تعدت المسألة حدود الضحك !

- وحدود البكاء !

١٩٧٢-١٢-١٤

المكتبة العراقية

لقد صدرت كتب في العراق وخارج العراق لمؤلفين عراقيين .. ولكن ما اجهلنا بها وبمطائنها !

- السؤال الاول : كيف تعرف اسماءها واسماء مؤلفيها ؟

- تلك معضلة ، ولكنها حلت بكتاب الاستاذ كوركيس عواد « معجم المؤلفين العراقيين » وهو جهد مضمّن لولا ولع المؤلف بالموضوع وانصرافه الطويل لما استطاع ان يحقق منه ما يحقق ، لانه عمل لا ينهض به فرد . واذا كانت لك - أو لي - على الكتاب الضخم من تحفظات وملاحظات فمردها صعوبة العلم بالكتاب العراقي وصعوبة ان يعمل معجما للمؤلفين مؤلف واحد ..

- السؤال الثاني : كيف تطلع على الكتب العراقية ؟ وكيف تصل اليها وتفيد منها ؟ ..

- وهذه معضلة اخرى صعبة الحل لدرجة الاستحالة ، فلا توجد في البلد مكتبة تضمها او تضم أكثرها .. أو نصفها .. أو أقل من ذلك ، وقد تجد عددا في المكتبة الوطنية .. الا ان هذا العدد محدود جدا ، وان الزمن قد فعل فيه فضاء ما ضاع وهلك ما هلك ، وعلينا ان نولي الباقي منه عناية خاصة قبل فوات الاوان ..

إننا نستنهين بالكتاب لدى صدوره ولا نحسب حسابا لمكانه من انبحث غدا ، فيذهب هباء هنا وهناك وما تمضي مدة قصيرة حتى يصعب ان تجد له أثرا .. فاذا مضت مدة اطول دخل في دور الاستحالة .

انك تريد ان تطلع ، تريد ان تراجع ، ان هذه الكتب التي صدرت بعثها وسمينها مما نحتاج الى مراجعته لسبب ولاخر ، نحن وغيرنا .. ترى ماذا

نجيب باحثا خارج العراق اذا سألنا الاطلاع على نسخة من كتاب ما ألفه عراقي
وضعه عراقي ..؟ سنقول له اننا لا نعرف عن الكتاب شيئا • او اننا لا نملكه،
ويتكرر السؤال •• وليس معقولا او مشرفا ان يتكرر الجواب •

تريد ان تدرس الشعر العراقي ، القصة العراقية ، البحث ، التاريخ ،
جغرافية •• السياسة والاجتماع •• والمفروض البديهي انك تجد مصادر
في العراق ولكنك تنضي الوقت الطويل دون ان تصل الى هدفك واذا وصلت
تبغها كاملا وكثيرا ما تقف عند الهاء من الهدف •

- فما العمل ؟

- منذ عدد محدود من السنين حتم قانون المطبوعات ان تسلم المطبعة
عددا من النسخ الى المكتبة الوطنية - والمكتبة المركزية - والعمل جيد ،
لنا نستطيع منذ ذلك التاريخ ان نجد في المكتبة الوطنية او المركزية الكتاب
الذي طبع في العراق وشمله القانون المذكور ولكن هذا لا يكفي اذ المفروض
- يوجد الكتاب العراقي - جيدا كان أم رديئا - في أكثر من مكان وأكثر
- مدينة بل ان نسخة الوطنية او المركزية عرضة للتلف بالاستعمال ، وعلينا
ان نحفظ بنسخة - أو أكثر - مجلدة للأجيال المقبلة من الباحثين ومحبي
الاعلام •

ثم ان عددا لا بأس به من الكتب العراقية طبعت - وتطبع - خارج
بلد ، ولا يشمل القانون هذه الكتب ، وعلينا ان نحتاط للامر •• ولا سيما
فيما طبع - ويطبع - حديثا ••

ان المشكلة ليست في الحاضر والمستقبل لانها في هاتين الحالتين مسكنة
لحل لمن اراد لها حلا •• وانما المشكلة في الماضي •• فيما طبع منذ بدايات
طباعة ، فيما لا تضمنه مكتبة وما يصعب الحصول عليه والوصول اليه •
وليس معقولا ولا لائقا ان نقول : « ما فات مات » ونقعد طلبا للراحة واستهانة
بمعرفة ، فلا بد من العمل الجدي لاستدراك الفأنت مهما يكلف الامر •

وماذا يكلف ؟ المال ، ولا اقول المال . الهمة ، ولا اقول الهمة . لان المهم جدا الاقتناع بالفكرة وفهمها حضاريا ومن ثم يرسم المنهج العلمي في الوصول اليها . ومن هذا المنهج ان ترعى جهة رسمية المشروع وتؤلف لجنة من الاكفاء في الموضوع ممن يعرف قدر الكتاب لدرجة الهوية . ويعلم من شؤون الكتاب العراقي الكثير ، ويهسه ان يجد الباحث - عراقيا كان ام غير عراقي - حاجته ميسرة .

وقد ترى اللجنة ان تؤسس مكتبة خاصة باسم « المكتبة العراقية » أو ان يخصص جناح معين من مكتبة كبيرة ، ويمكن ان تقوم بهذا المشروع أكثر من جهة ، وربما كانت وزارة الاعلام هي المرشحة لرعاية المشروع بالتعاون مع جهات اخرى . وقد خصصت وزارة الاعلام لاكثر من سبب ، منها ان قيام هذه المكتبة او المشروع يعد ضربا من الاعلام اذ يمكن ان يزورها الزائر للاطلاع على تطور الكتاب العراقي . ويمكن ان يعد الكتاب العراقي ضربا من الاثار ، فقد باتت المطبوعات العراقية - لندرتها واستحالة الحصول عليها ولما اصابها من تلف - نوعا من الاثار .

أجل قد تكون مكتبة الاثار انطب ما يناسب المشروع في قديمه وما سيصبح قديما . والا فقد كدت اذكر المركز الفولكلوري . ولم لا ؟ المهم اذن التنقيب عن المطبوعات العراقية . وتحصر اللجنة القائمة على المشروع الاسماء ، وتجد مخصصة في العمل على توفيرها . وتعلن عن الحاجة اليها ولا بأس في أن تعوض من يملك نسخة او نسخا مبلغا يتناسب وقيمة الكتاب التاريخية ، ومن يدري فقد تتلقى من الهدايا ما لا تحلم بالحصول عليه ، وما تحسبه في عداد المفقودات .

ان عددا لا بأس به من المطبوعات العراقية اصبح أندر من المخطوطات . اذا كنا نغنى بالمخطوطات او اتنا ندعو الى العناية بالمخطوطات . فان الدعوة الى العناية بالمطبوعات لا تقل عن ذلك .

مجلة المكتبة العراقية

يشير موضوع « المكتبة العراقية » فكرة تتصل به ، وقد فرضت نفسها تلقائياً على القلم .. مرتبطة بما يصدر في العالم ، وفي فرنسا على سبيل المثال مرة باسم « مكتبة فرنسا » ومرة باسم « نشرة نقدية للكتاب الفرنسي » .. وتصنف هذه النشرة - لنسبها مجلة - على ابواب المعرفة المختلفة : المراجع العامة ، الفلسفة ، الدين ، العلوم الاجتماعية ، علم اللغة ، العلوم الصرف ، الاداب .. وتحت كل باب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، والمعلومات اللازمة عن الطبع والحجم والشن ودار النشر ... ورقم التصنيف بالمكتبة احيانا .. ويلحق بها اعلانات عن كتب ودور النشر لا تخلو من فائدة .

ويستطيع الانسان ان يكون على صلة مباشرة بما صدر في فرنسا عن طريق هذه المجلة ، فاذا وقع على ما يخصه وما يريد قراءته او مراجعته سهل عليه تحديده ومن ثم الحصول عليه .

تصدر مجلة المكتبة الفرنسية فصلية - كل ثلاثة اشهر - وتتولاها جهة رسمية ، تسهل ايصالها - لدى الضرورة - الى من يهمه الاطلاع والافادة والبحث ... الاقتناء . اجل .. لان المشروع مريح كما هو مفيد . ويحدث ان مجالات العلم .. واذاعته .. في ابواب الاخبار الادبية والعلمية وما صدر حديثا .. تستعين بهذه المجلة فتقتبس ما يناسبها من الاخبار .. فتزيد بذلك من ذبوع الكتاب الفرنسي وانتشاره .. وتخدمه معنى ومادة .

« وللمجلة النقدية للكتاب الفرنسي » طعم اخر ، وهي تصدر شهرية بعناية « جمعية نشر الفكر الفرنسي » على الابواب الخمسة الآتية : نبيلوگرافيا .. الادب ، العلوم ، العلوم الانسانية ، المجالات .. وكل باب

يفتح عن فروع .. ففي الادب مثلا : الشعر ، المسرح ، المقالات ، والبحوث ،
والروايات والحكايات والقصة القصيرة ، التاريخ والنقد الادبي ، الاداب
القديمة ، الاداب الاجنبية ، كتب الاطفال ، وتحت كل فرع كتب مختارة من
اجود ما صدر في الشهر يتولى التعريف بها والحديث عنها والحكم على
قيمتها نقاد ودارسون مختصون من درجة محترمة جدا رائدهم في كل ما يقولونه
الحقيقة والعلم متوخين في عرضهم اقصى ما يمكن من الاختصار والدقة •

وفي الباب الخامس فائدة وطرافة قلما نر يبال .. عنوانه المجالات
والدوريات ومحتوياته ذكر كل مجلة .. صدرت في ذلك الشهر مع ثبت
باسماء كتاب العدد والموضوعات التي عالجوها ..

الفائدة كبيرة .. ولكي تتم على وجه احسن تتولى « الجمعية الوطنية
للكتاب الفرنسي في الخارج » اختيار مواد من هذه المجلة وترجمها الى
الانكليزية والالمانية لتصدرها فصليا كل ثلاثة اشهر الى القارئ الانكليزي
.. أو باللغة الانكليزية – او الالمانى – او باللغة الالمانية – •

ولم يكن الناس اغبياء اذ يقومون بكل هذه الخدمة للكتاب الفرنسي •
– ذلك الكتاب الفرنسي .. واين نحن منه كما وكيف ؟

– صحيح وغير صحيح ، فلم الاستهانة الى هذا القدر .. ولم لا تأخذ
الامور بنسبها وحجومها • لقد ذكرت الكتاب الفرنسي على سبيل المثال •
ولو كانت الامة العربية موحدة لامكن ان يصدر عنها شيء من ذاك لان الذي
يصدر من الكتاب العربي في الاقطار العديدة لا يستهان به ويستدعي الاعلام
والتعريف .. واتنا مقصرون جدا ، بل اتنا في العراق لا ندري بما يصدر في
المغرب العربي وفي المغرب العربي لا يدرون بما يصدر في العراق ... وهكذا
وكان المفروض جدا بالجامعة العربية ان تقوم باصدار مجلة للكتاب العربي
تشرف عليه اشرافا علميا بعيدا عن الاقليمية والغرض الشخصي ...

– سؤالي عن الكتاب العراقي ، وجوابك عن الكتاب العربي ؟

- الامر واحد • وحالة الكتاب العراقي من حالة الكتاب العربي • وما نعيه من الجهل بالكتاب العربي طغى على الجواب •• والا فاننا في العراق، أجل في العراق نفسه ، نجهل ما صدر ويصدر •• وكم من كتاب يطبع ويوزع - او لا يوزع - يمر دون علم احد به حتى المهتمين بالقراءة والبحث ثم ان الذي يصدر جدير بالذكر والنص •• والتعريف والنقد ، واذا اضفنا الى ذلك باب المجالات وما فيها من موضوعات وكتاب ، كانت الحصيلة لابس بها • ولا بأس - ولم لا ؟ - في ان نعى بذكر المنشورات الرسمية التي تصدر عن الوزارات والدوائر المتفرعة منها •• وان ترصد الموضوعات المهمة التي تعالجها الجرائد اليومية وتكون الحصيلة لا بأس بها ••

ثم تزيد بابا اخر هو « العراق » في المكتبة العربية فتص على ما يصدر عن العراق من دراسات في شتى نواحيه مينة المعلومات الطباعية اللازمة مع ملاحظات نقدية علمية •• وتزيد « العراق » في المكتبة الاجنبية •••

- اما يكون المجموع عددا مناسبا من الصفحات لمجلة شهرية تصدر بانتظام وتشرف على اصدارها هيئة علمية محترمة ؟ اما تخدم هذه المجلة العراق في العراق وفي غيره ؟

- أجل ••

- فلم لا نأخذ الامر مأخذ الجد ؟

- نأخذه ، وليس مستحيلا ان تجد يوما في الاسواق « مجلة المكتبة العراقية » ، وليس مستحيلا ان توزع هذه المجلة توزيعا جيدا وتتولى الجهات الرسمية ايصالها الى الجهات الرسمية في العالم •

- حبذا ••

- ويا حبذا ••

١٩٧٣-١-٤

نشرت بعنوان

« من أجل مجلة للكتاب العراقي »

المورد ... ولكن

المورد « مجلة تراثية فصلية » تصدر عن وزارة الاعلام العراقية ولصدور مثلها أكثر من موجب ، اننا نعنى بالقديم كما نعنى بالجديد ... كما وكيفاً ... ثم ان التخصص في المجالات أصبح ضرورة . ولا ينبغي لبلاد لها ما للعراق من حضارة وتاريخ وأدب ... ومؤلفات مخطوطة أن تستهين بالكنز ، وأنى لها ذلك وقد تهيأ لها عدد محترم من الشيوخ والكهول والتساب أحب التراث واسطفى المصطفى منه ، ولزم المكتبات وعاد بالنافع من البحث والجمع والتحقيق ، فاذا لم ترع التراث ضاع ، واذا لم ترع التراثيين ضاعوا . ولم يكن القرار باصدار المورد اعتباطاً ، ولا سيما بعد ان استقلت « الاقلام » بأمر . و « المثقف العربي » بأمر ... وتباطأت مجلة المجمع العلمي على شكل ملحوظ ...

– لو اسرعت مجلة المجمع ، أكان ذلك يفني عن المورد ؟

– لا ...

– لم ذكرتها اذاً ؟

– من باب الاحتياط .

وما كاد قرار الاصدار ينتشر حتى خف التراثيون ... وهكذا أصبح يطلق على جماعة من الباحثين نسيروا فكان لهم اسم يدل على كيانهم – يقدمون من نتاجهم ما يروونه أهلاً للنشر مما يهيء مادة ويصحح خطأ ويؤيد صواباً ويذيع مفهوماً .

تم ذلك في سرعة الفرح السعيد . ثم خفتت الاصوات كأن لم تكن فكرة وكأن لم تجهز المواد ، وكأن لم تكن الوزارة جادة ولم يكن مالها وافر حتى لقد قلق الحريصون على المشروع وكادوا يعدونه مولوداً ميتاً ولم يخفف من هذا القلق ما كان ينشر ويذاع على فتور : ستصدر ... ستصدر ... لان كل

اذاعة تستثير سؤالا محرجا : متى ؟ ماذا تنتظر ؟

واذا كاد الصبر ينفد صدر مجلد مزدوج للجزء الاول والثاني ، ومع أن الجع بين الاعداد دليل على الاضطراب ، فقد رحب المهتمون بالمورد : لقد اصبحت الفكرة حقيقة ، والمشروع مجلة ملموسة منظورة ، وعلتهم البهجة لما جاءت عليه المجلة من مادة وتبويب واخراج ، حقا ان المورد مفخرذ في بابها ، ويستطيع العراق ان يقدمها هدية الى أعلى (الاكاديسيات) والمجلات في العالم ويقول : هاكم اقرأوا مجلتي ٠٠ : » ٠٠ تحرص وزارة الاعلام على تعميق العلاقة الجدلية بين التراث والفكر المعاصر وتعتبر اصدار مجلة ٠٠٠ مساهمة لا بد منها للدفاع عن شخصية المواطن الحديث وحماية اصلته من التبعية والاهتزاز ٠٠ » •

كان ذلك في تشرين الثاني من عام ١٩٧١ ، وفي المجلد : الابحاث والدراسات ، النصوص ، فهارس المخطوطات . العرض والنقد والتعريف ، النتاج الجديد • وأنست أهمية المجلد ألم الانتظار الطويل وأذكت في القراء أملا بعدد جديد في وقت قريب • وقال الاستاذ حمد الجاسر - وهو من هو في الموضوع - في مجلته الراقية (العرب) : « المورد من المجلات الدسمة ٠٠ واذا قدر الله لهذه المجلة ان تستمر فانها ستكون مرجعا في موضوعها وتسد الباحثين في تراثنا بما عجزت وقصرت عنه جل المجلات العربية » •

وهو قول حكيم ظل مائلا في النفس ، يزداد مثولا كلما تنمادى الزمن بصدور العدد المرتقب ، ان الشيخ الجاسر تجربة طويلة هي التي أملت عليه أن يقول ما قال ، وهي التي ضمنت الفرحة حسرة وجعلته يبدأ كلامه بأذا الشرطية •

ومضى شهر وشهران ، وخمسة وستة والمجلة في مكانها لا تتزحزح ، وأعقب الشتاء ربيع وصيف وخريف وهي في شتائها الاول • لماذا ؟ ألقلة في المال ؟ لا • ألقلة في الموضوعات ؟ لا • رحل الشتاء فماذا تنتظر ؟ وكم ؟ لم يبق منطق للامل ، ولا تجدي الاخبار التي تذاغ أو تشاع عن الطبع والورق والتجليد وقرب الميلاد • واذا بلغ اليأس أقصى أقاصيه قالت جهنية :

البشرى ، البشرى ، لقد صدرت المورد • أجل ، صدرت وان كانت عديدين
ثالثا ورابعا مزدوجين ، المهم أن تصدر • وما يبقى بعد ذلك تفصيلات ، أن
تحافظ على مستواها ، وما سوى ذلك نوافل •

وها هي ذي المورد مورد عذب ثر ، هو كما عهدناه مظهرها ، ومخيرها :
الابحاث والدراسات ، النصوص التراثية ، فهارس المخطوطات ، العرض والنقد
والتعريف • أجل ، وهي مفخرة في بابها ، ويستطيع العراق أن يتقدم بها
الى أعلى (الاكاديميات) والمجلات العالمية ويقول : هاكم اقرأوا مجلتي ••

- هل من اقتراح ؟

- المحافظة على المستوى مع الأحسن ، ايصال المجلة الى الايدي التي
تعرف قدرها في الشرق والغرب من علماء ومكتبات ومعاهد ومؤسسات ،
التبادل مع المجلات المناظرة لتبادل المنفعة ، زيادة باب للأخبار التراثية ، عمل
مستلآت من الموضوعات المنشورة ، صور لصفحات من مخطوطات نادرة
في تاريخها أو مادتها أو خطها مما تحتوي عليه المكتبات العامة والخاصة في
العالم أو مما تضمنته محققات سابقة وفهارس مخطوطات - أقول هذا وفي
ذهني فهرس مكتبة (چستر بتي في دبلن) •••• الاكتفاء من عنوان الباب
الثاني من ابوابها بكلمة « النصوص » فلا موجب لوصف النصوص
« بالتراثية » المجلة كلها تراثية واذا كان لابد من صفة فليكن : « النصوص
المحققة » ، أو « نصوص معلقة » •

- ثم ؟•

- الاعتذار عن نشر المواد الضحلة التي يقدمها قلم غير متخصص ،
فكثير ما أودت « المجاملات » بشاريح جليلة ، يقابل ذلك - أو لا يقابله -
احترام الاقلام المتخصصة والمواد العميقة واحترام ما بذله اهلها في سبيلها من
صبر ودربة واخلاص • ويدخل في الاحترام السعي المنهجي لاجتذاب هذه
الاقلام انسجاما مع الغاية وخدمة للحقيقة ، وعلمنا بأن المورد ليس ملكا لاحد
قدر ما هي اعتزاز بالمادة وحرص على الكرامة وملك التراث !!•

– تلك بديهية ، فماذا غيرها ؟

– انتظام الصدور فصليا •

– سمعناه وسمعوه •

– لقد صدر العدد المزدوج الجديد في تشرين الثاني بل كانون الاول

١٩٧٢ ، ولا نريد ، ولا نستطيع الصبر حتى تشرين الثاني أو كانون الاول

• ١٩٧٣

– مر هذا ضمنا ! أما في نيتك شكر القائمين على شؤون المورد ؟

– أما الشكر المشروط ، نعم .. ولم لا ؟

١١-١-١٩٧٣

وأعادت نشرها مجلة « العرب »

من أجل مكتبة مثالية

جرى في فرنسا استفتاء أدبي قام به اديب محدود هو ريسون كينسو (عضو اكاديمية غونكور) بالتعاون مع دار نشر كبيرة هي غاليسار ، موضوعه: مئة الكتاب التي لابد من ان تتوفر عليها اية مكتبة ، وشفع السؤال بقائسة فيها خمسمائة وثلاثة الاف عنوان ليستعين المسؤول بها على التذكر - دون التزام •

وتلقى السائل أربعين جوابا من ادباء ومفكرين جلهم من اعلام فرنسا المعاصرة مثل : جان انوي ، اندره بریتون ، جان كوكتو ، رولان دورجلس ، بول اليوار ، اندره موروا ، كايون بيكون ، جان روستان ، سالاكرو ، جيل سيرفيل ، وقد طبعت الاجابات في كتاب خاص ذيل باهم النتائج التي وصل اليها ريسون كينسو ، كان منها ان هناك كتبا مشهورة لم تنل أي صوت في الاجوبة الاربعين ، منها كتاب : ذهب مع الريح ، وان هناك مؤلفين محدودين قوبلوا باستهانة ، منهم كارلايل •

ثم نظمت قائمة بمئة الكتاب الفائزة مبتدئة بالمؤلف (أو الكتاب) الذي حاز أصواتا أكثر •

١ - شكسبير : المسرحيات •

٢ - التوراة •

٣ - بروس : بحثا عن الوقت الضائع •

٤ - موتين : مقالات •

٥ - رابليه : الكتب الخمسة •

٦ - بودلير : ازهار الشر •

- ٧ - باسكال : افكار •
- ٨ - مولير : المسرحيات •
- ٩ - روسو : الاعترافات •
- ١٠ - ستندال : الاحمر والاسود •
- ١١ - افلاطون : محاورات •
- ١٢ - ستندال : دير بارم •
- ١٣ - ثيون : الوصايا •
- ١٤ - رانبو : شعره •
- ١٥ - كاردينال رتز : مذكرات •
- ١٦ - تولستوي : الحرب والسلام •
- ١٧ - سن سيمون : مذكرات •
- ١٨ - سرفانتس : دون كيخوته •
- ١٩ - راسين : المسرحيات •
- ٢٠ - اشيل : المسرحيات •
- ٢١ - دستويفسكي : الاخوة كرامازوف •

♦♦♦♦♦

- ٩٩ - فرجيل : الانباده •
 - ١٠٠ - برنانونس : يوميات خوري •
- واذا نظرت في الاجوبة الاربعين والاعلام المئة عنت ملاحظات كان مثار
كثرها الاستغراب ... من ذلك :
- ١ - هذه العناية بسحاورات افلاطون كأن لم تكن الجمهورية الى
جوارها •

٢ - غلبة الاوديسة على الاليادة ، فقد جاءت الاولى في المرتبة السابعة

والعشرين من المئة ، وجاءت الثانية في الرابعة والخمسين • وكان من بين الذين اقتصرُوا على الاوديسة في جوابهم شاعر مثل بول اليوار او سيرفيل ، وناقد مثل بيكون ، وعالم حياتي مثل رويستون ، ومقالي مثل روجمن •

٣ - لستندال رويتان مشهورتان (منقولتان الى العربية) هما : الاحمر والاسود ، ودير بارم يقرؤهما الفرنسيون في كثرة واعجاب ، وقد يخلصون في تفضيل الواحدة على الاخرى ، وقد يؤدي الاختصاص الى التعصب فيكون احريون وديريون ورأينا انعكاسا لهذا في الاستفتاء وان كانت النتائج متقاربة : الاحمر والاسود ، عشرة ، ودير بارم : الثانية عشرة • وقد بذ ستندال فلوير وبالزالك • وكنت أحسب ان مدام بوكاري من مؤلفات فلوير تتقدم آثاره الاخرى ، على مدى بعيد ولكن الذي حدث ان تقدمت « التربية العاطفية » اذ جاءت السادسة والعشرين على حين جاءت مدام بوكاري السابعة والثلاثين •

٤ - ذكر ديوان الحلاج اكثر من مرة ، وقد ذكره هنري بوسكو مع ديوان المتنبي وديوان اخر سماه « ديوان ابن النديم » ، ولا نعرف ديوانا بهذا الاسم •

وقد ذكر بوسكو عمر الخيام وسعدي وحافظ من شعراء الفرس ، واشترك معه في ذكر الخيام اخرون •

٥ - أكبر كتاب المسرحية الفرنسية في القرن السابع عشر ثلاثة - لعلهم أكبر او اشهر كتابها الفرنسيين كلهم - وهم : كورني ، وراسين ، وموليير • اما مولير فقد جاء ثامنا - كما رأينا - واذ تجمع التراجيدي كورني وراسين فانهما يختلفان مذهبا ، والاختلاف واضح جدا في نفوس القراء الفرنسيين - وغيرهم - وقد كتب لي ان اقرأ لهما وان اشهد ، فذهب بي الاعجاب الى راسين أولا •

وقد جاء راسين في المرتبة التاسعة عشرة من الاستفتاء ، وكورني في الثامنة والعشرين •

٦ - فولتير وروسو من اكبر كتاب القرن الثامن عشر (ان لم يكونا اكبرهم) • وتبوا فولتير أعلى المكانة من عصره ، وكان لمسرحياته دوي •• ويؤلف هو وروسو اسلويين مختلفين ، وقد تجد من يجمع في اعجابه بهما الا ان « المؤلف » انك لا تقبل على الواحد اذا انسجمت مع الاخر • وكان هذا ملحوظا في الاستفتاء ، وقد جاء روسو تاسعا ، وجاء فولتير في المرتبة ثامنة والخمسين • فاز روسو بالاعترافات على ما له من كتب رنانة اخرى مثل العقد الاجتماعي وأميل •• وفاز فولتير بالحكايات على ما له من مسرحيات وفلسفة وتاريخ •• واذ احتل فولتير مرتبة اخرى من المئة لم يحتلها بهذه المسرحيات او الفلسفة وانما احتلها - وكانت هذه المرة المرتبة الرابعة والثمانين - برسائله •

٧ - لم أر حظا يذكر للقصة القصيرة وقد ورد ذكر في ذلك لگوگول، الا ان مؤولين ، كانوا ، اذا ذكروا القصة ، ذكروا منها ما كان حكاية أو قريبا منها • ومن هنا ترددت اسماء : بوكاش ، اندرسن ، برو ، هوفمان ، دوده ، غوين ، كبلنك ، پو ، مريسه • وكان المنتظر أن يذكر موباسان ، ولكنهم اذ يحسون عليه ينصون على رواياته كأنه لم يشتهر في العالم بالقصة القصيرة •

ومن كتابهم شارل لوي فليب وقد زاول الفنون ولكنه يرد مقترنا - رواياته •

وانتظرت لجيكوف مكانة بارزة بين المئة ولكن الذي حدث انه لم يكن حيا منهم وأنه اذ يذكر يقرن بمسرحياته ، وان ذكر قصاصا قرن بالحكايات • - يقرن بالقصة القصيرة الا نادرا جدا - وقد يعود هذا لقلة الاحتفال - بين المصطلحين الا ان المجموع كله لا يكاد يستحق الاهتمام ولا - على المكانة من النفوس •

٨ - لا تدخل الآثار العربية الا مرة واحدة في المئة اذ احتلت « الف ليلة ويلة » المرتبة التسعين •

٩ - تميز جان كوكتو بأنه الوحيد الذي ذكر نفسه في القائمة ، وتميز جورج سيمونان (الكاتب البلجيكي الغزير النتاج الكثير القراء) بأن ذكر في قائمته : القانون الجنائي ، القانون المدني ، الجغرافية الحديثة ، اطلس ، خارطة باريس ، دليل تلفونات باريس - انه يستعين بالدليل على اختيار أسماء شخص رواياته (البوليسية - الأدبية) •

وبعد ، فقد جرى هذا الاستفتاء عام ١٩٥٠ وواعد صاحبه ان يعيده عام ٢٠٠٠ •

ترى : أيمن ان تقوم بمثله ضمن ظروفنا وثقافتنا ... أم نتظر نتاج استفتاء باريس للعام الالفين ؟ •

١٢-٢-١٩٧٣

مرض العالمية

ليس صعبا في هذا الزمان ان تدعي وان تتكثر ، وان تمنح نفسك من العظام ما ليس لها وتنسب لاثرك من الاثر ما ليس فيه .. اما اذا كنت قد سمعت عن صفات العظماء وصفات الادب العظيم فانك تفرغ المصطلحات من دلالاتها وتنقل الاسماء الى غير مسمياتها ، واذا كان من حولك مثلك تبادلتم كذبا بكذب ورياء برياء على حساب الحقيقة وحساب القارىء الساذج - أبقى في العراق ساذج ؟ ام انها مصلحة مشتركة !؟

لم يكن الناس في الخمسينات يسون الفنادق الا باسم واحد منجنين الصفات ، أما في الستينات فتسمع عجباً وتقرأ أعجب ، فندق (...) الدولي ، وهو لا يزيد على فندق قروي ، وفندق (...) الكبير وما هو بالكبير ، لأول وما هو بالاول ، الحديث وما هو بالحديث ... ثم - وهنا ييت تقصيد - فندق (...) العالمي ! ترى كيف صار عالميا وهو محلي ؟ ومن أين جاءت هذه الصفة ؟ وما السبب في هذا البهتان ؟ لا بد ان يكون ذلك من روح العصر . ان العصر الستيني يحتل الكذب ويجوز عليه بل يطلبه ويرتاح اليه !

كيف تسمح لنفسك يا صاحب الفندق ان تسميه عالميا وانت تعلم انه ليس من العالمية في شيء ؟ ان ألتفتا ننزلق في يسر ، وعقولنا تتدهدى في نين ...

لا .. ما كان هذا يقع في العراق .

نعم .. ربما سمعنا شيئا منه خارج العراق في القاهرة أو بيروت . كنا مرة في « رحلة » وكان بائع حلويات دوار يصف حلوياته بانها عالمية فاستكرنا وسخرنا وعجبنا ، اما الان فقد الفناها حتى في العراق .

اليس في ذلك من فارق نفسي بين جيلين ؟!

كان الرجل يملك مائة دكان مجتسعة الى بعضها فيسميها سوقا - بالمفرد -
اما اليوم فيكفي ان تستأجر دكانا فتسميه اسواقا - بالجمع •

كانوا يقولون : المطبعة الفلانية ، ومطبعة فلان ، وقد يكون لفلان هذا
أكثر من مطبعة واحدة ، اما اليوم فيسبونها : المطابع الفلانية ومطابع فلان
- وان كانت مطبعة واحدة - كنت اسع أن في بيروت مطابع (٠٠٠) فلما
كتب لي أن أراها ، وجدتھا أضيق مساحة وأقل آلة من مطبعة ••

اليس في ذلك من فارق نفسي بين جيلين ؟!

كان الاديب في الخمسينات يثقف نفسه جيدا ويقرأ بالعربية وبغير
العربية ، ويطلع على الاتجاهات في العالم ويميز ما هو انساني وما هو غير
انساني ••• ويجسع هسته ويستثير قريحته فينظم القصيدة او القصيدتين •••
ويكتب القصة او القصتين •• وفيها اشياء كثيرة • ولا يجرؤ ان يقول :
اني عالمي ، واني اضيف الى حضارة العالم وادب العالم ، واني ••• واني •••
أما اليوم ••• ومنذ الستينات فما يكاد الصبي منا يكتب قصة حتى
تكون قصته هذه عالمية ، وما يكاد يقرزم قصيدة حتى تكون قصيدته عالمية
•• تتصل بافكار العالم ، وينفعل يعدد شريطا من اعلام الادب في فرنسا
وأمریکا وانكلترا •• يتصل بهم أو يتصلون به • انظر انهم يتحدثون عن
آخر المدارس الادبية واخر المذاهب الفلسفية ، ان أدبهم فلسفة وفلسفتهم
أدب ، شعرهم عقل وارادة •• وقصتهم ضياع وقلق ، ثم انهم شعراء جدا عندما
يكتبون القصة وقصاصون جدا عندما يكتبون الشعر - انهم ارفع من أن
يعنوا بالبيئة المحلية وأعلى من أن يقولوا ما يفهم ، وكلام كثير فاني أكثره
ولا أجد فيسا بقي منه جدوى ، لقد اصبحوا صناع كلام •

وليست المسألة لدى التحقيق مسألة ان الخمسينيين محليون واز
الستينيين عالميون ، فانك قد تجد عند اولئك ما هو ابعد من المحلية ، انهـ
مسألة فارق نفسي بين جيلين •

- له عوامله •

- طبعا ••

- لو انغمس خسيني في عالم الستينيين وعاش معهم وعمل على مبارزتهم والالتاج الى جوارهم ، ايقع في دعوى العالمية ؟

- يقع ويزيد •• لانه يحبل بذرة الريادة في هذه الحالة النفسية ، ويزيد لانه يريد ان يبقى في الصدارة منهم •••

- هل انت متعصب لاهل الخسين ؟

- لا ، فلمهم نواقصهم ، ولكني أردت ان يكون اهل الستين تطورا طبيعياً • فيحالت امور دون ذلك •

- هل انت متفائل ؟

- على المدى البعيد • أجل ، سنسير ونسير حتى اذا احتوانا الاعياء ادركنا اننا نبتعد عن العالمية ، وان علينا ان نبدأ كما تقضي طبيعة الاشياء ، وكما تقضي العالمية الحقيقية ، وسنشرط في القاص ان يكون قاصا ، وفي الشاعر ان يكون شاعرا •• أما العالمية فلها شروط اخرى •••

١٧-٢-١٩٧٣

الرد على النقد

نشرت في آفاق ١-٢-١٩٧٣ خاطرة بعنوان « قصة الستينات كانت صادقة » ونشر الاستاذ زهدي الداودي في آفاق ٢٣-٢-١٩٧٣ « قصة الستينات هل كانت صادقة ؟ » ، وقد قرأت الرد مرتين ، الاولى لأتبين الاساس فيه وقد رأيت الكاتب لخص هذا الاساس منذ البداية « اني أخالته الى حد ما ... » ، والثانية اعجابا بمصدره علم الكاتب بالموضوع ، واخلاصه للحقيقة ، وحرصه على بيان ما يراه في دقة واناة وادب .

وكان وما يزال - في امكاني أن أطيل في « الموضوع » ، ولكنه لا يحتل أكثر مما ورد في « الكلتين » ، ويستطيع أي قارئ ان يتبين مايسكن ان يكون تكاملا فيهما ، وتبقى تفصيلات لا تستحق ان تكون مجال أخذ ورد ولا سيما ما كان منها خارج حدود الخاطرة .

شكرت الاستاذ الداودي أكثر من مرة ، كاني وجدت فيه المثال الذي يقدم لدى الحديث على نقد النقد وكيف يكون .
- كيف يكون ؟

- هكذا يكون : ان يصدر عن علم وبأدب دون ان تسر بذهن المتصدي فكرة الرد بأي شن ، ودون تعسّل مأتاه خلاف سابق وثأر قديم وحقد ديني ، ودون قصد الى اهتبال ازل فرصة للكتابة لكي يقول : اني كتبت ، واني رددت .

لقد كتب الداودي لانه احس مؤمنا بأنه يجب ان يكتب ، وعرف واعيا كيف يكتب ، والا لما كان لنقد النقد موجب .

ان المرء منا ينقد أثرا او يرصد ظاهرة بما يراه في نفسه صحيحا وما يرى به نفسه مسؤولا ان يذيعه في الناس . وينشر هذا الذي يكتبه في جريدة

او مجلة فيقرأه من يقرأه من الناس ، فان كان على الغاية من الصواب اطمأنوا اليه ، وان كان فيه مجال الى أخذ ورد وتعليق ، وجب ان يبينوا ما خالجهم من شك وبدا لهم من رأي ، وإن كان القارئ أديباً كاتباً أعاد القراءة مدققاً فاحصاً مستعينا على رأيه بالمتابعة والمراجعة ثم يسسك بالقلم فيكتب ما عن له ووصل اليه خدمة للكاتب الاول ، وخدمة للقراء الذين لم يكونوا على علمه او لم يخالجهم ما خالجه .

نقول : الانسان عرضة للخطأ . . ومع هذا نعرض آراءنا وكأنا معصومون منزهون ، حتى اذا انبرى من ينبهنا الى صواب او يزيدنا علماً ، استشطننا غضباً وعددنا ذلك منه اهانة لنا وارقنا ليلتنا كمن مس شرفه او دنس عرضه ، ولا تسلب بعد ذلك عما نضمر من شر ونبتن من انتقام . .

يا للمغالطة والمناقضة ! متى نرتفع قليلاً عن مستوى الجاهلية الجهلاء ؟ متى نرحب من صدورنا والمسألة ليست اكثر من مناقشة بأسلوب لبق أديب ؟ متى نخرج من هذا المضيق وقد اجتازه العالم منذ قرون ؟ لقد تحضر العالم وبقينا نعاني حساسية مفرطة مفادها ضعف الثقة بالنفس ومؤداها الجهل ب مفهوم العزة والكرامة والسمعة .

ثم ، لم هذا الغرور ؟ وبماذا ؟ ايزيد اكبرنا في النقد على مبتدىء مازالت مسيرة أمامه طويلة طويلة ، وعليه ان ينطلق من الشعور بمسؤولية ابتدائية وما سياترب عليها من نهاية .

ان القعود عن نقد النقد مضر كالقعود عن النقد نفسه . واذا ينفع النقد من شيء فيبصره بخيره وشره ، فان نقد النقد ينفع الناقد ويقيه تكرار الخطأ ، وان الناقد الذي يسد عليه منافذ التنبيه وسبل الرد يخسر كثيراً ، ويكفيه خسارة ان يكشف الناس عيوبه ويبقى هو وحده جاهلاً . . ناقصاً . .

وبعد ،

فقد كتبت خاطرة رد الاستاذ الداودي عليها ، ومع اني ما زالت عند خضرتي في مجملها الا ان ما عرضه الاستاذ الداودي زاد المسألة عمقاً ومنحها

اتساعاً ، وخرج بها من الخاطرة الى البحث ، وهياً بذلك ما ينفع صاحب
الخاطرة وينفع قارئها • وكـم يسعد كاتب الخاطرة ان تستشير خاطرته القراء
وان تكون عاملاً يستحث النقاد الى الرد والتنبيه والتوضيح ليرى القراء خلال
النقاش الكريم القضية من زواياها كلها •

أجل ، القراء ، وقد نسيناهم ، لا لانهم الاصل فيما يكتب وينشر فتلك
بديهية ، ولكن فيما هم حكم له شأنه • انك عندما تكتب شيئاً وتشره فيجيء
ثان ويبين ما فيه من ابهام او نقص او خطأ فإنك وأياه تعرضان نفسيكما على
حكم قد يكون ادق من الاثنين وابصر بالمقابلة لانه ينظر القضية التي تناقش
هادئاً موضوعياً • وكان اللازم ان ندرك هذه الحقيقة مبكرين وكما هي ،
واذ ندركها نفسح المجال واسعاً لنقد النقد ، فبا كل ما يقوله معقب على نقد
يؤخذ على ظاهره وكما يريد صاحبه ، ان القراء اذكي من كاتب يستغيثهم واعلم
من ناقد يستجهلهم •

اريد ان اقول – وليلاحظ جيداً ان المسألة خرجت من حدود القصة
الستينية وما قلته فيها وما قاله الاستاذ الداودي – لم نخشى الرد ؟ لِمَ نخشى
نقد النقد ؟ ان كنا كتبنا شيئاً ونحن مخلصون وتبين لنا نقد اخر نقص وهو
مخلص فان في ذلك ما يجنبنا الاستمرار على النقص ، وان كان ما كتبناه
صحيحاً وجاء الشخص الاخر فتعمل وتسجل وماحك وغالط وأراد ان يكتب
بكل سبب أو أن يشفي غلاً او ان ينفس عن عقدة فانه يدين نفسه ويسقط
وسط المجموعة الواسعة من القراء •

وبعد ، مرة اخرى ،

لقد قرأت كلمة الاستاذ الداودي وسررت ان يكون بيننا من يرد بهذا
العلم وعلى هذا الادب •• ومضيت لامري •

وتلقاني فلان فسألني : أقرأت ؟ قلت : نعم • وتلقاني فلان وسألني :
أقرأت : قلت : نعم •• وزاد عدد الفلانيين عن المعقول ، فاحسست ان في الامر
سراً ، ونظرت الى ما وراء السؤال واستعدت ما وراء العيون فادركت جانباً

لا بأس به من السر • انهم يسألون لانهم يستغربون ان يرد فلان على فلان ،
ولانهم يريدون ان يروا اثار الاستياء في فلان من رد فلان • وقال بعضهم -
- اترد عليه ؟ فقلت : لا ، ولم ؟ لقد كان على الغاية من الاخلاص والادب ،
واتتظر اخرون السب والشتم والثورة ليلفوا هدفا في نفوسهم وليتفرجوا على
السينما مجانا ، ولكنهم اذ لم يحظوا بما طمعوا به شعروا بخيبة امالهم •

وهنا ، هنا فقط ، احسست بالواجب في ان اكتب •• ردا على اولئك
نذين لم يتعودوا الرد العالي ولم ينتظروا القبول الحسن ، وشكرا لـلاخ
زهدي لما هيا لنا من دواعي النظر وفرص الارتياح •

- اكتب ؟

- اكتب ، وراح صديق كريم يبين نيابة عن القراء أهمية الكتابة في
مثل هذا الموضوع ، ان ندرك قيمة نقد النقد ، ان نعتاده ، ان نرتقي الى
مستوى الامم المتحضرة ••

- وددت لو ان نقطة الاختلاف كانت أشد ، اذن لكان رد الداودي ابلغ ،
وكان اعتراف صاحب الخاطرة اوقع وشكره أدل •

تحية للاستاذ الداودي ، والى امثالها •

١٩٧٣-٣-٢

ثقافة الحكم ..

للرياضة البدنية سوق رائجة ، تعنى بها الامم ، وتتناقل اخبارها الصحافة والاذاعة والتلفزيون . وتتبوأ كرة القدم مكانا خاصا ، ولهذه اللعبة - كما لغيرها - حكم ، واقل ما يشترط في الحكم عمله بأصول اللعب ، الفرق وعدد اعضائها ، الاحتياط ، الخطوط ، الهدف ، الاصابة ، الخطأ ... ولا تجد حكما لا يعرف هذا ، ولا تقبل فرقة او مدرسة او امة ان يكون الحكم جاهلا بشروط اللعبة واسرارها لان ذلك عيب كبير يعود عاره على المتسابقين وعلى الحكم نفسه ، زد على ذلك ما يجبر هذا الحكم الجاهل من فوضى المقاييس واضطراب القيم .

هذه بديهية في الرياضة البدنية حتى في العراق ، ولكنها ليست بدئية في الشؤون الثقافية ، فاذ نقول : يشترط في الحكم الثقافي ان يكون عارف بالموضوع الذي يتصدر للحكم فيه كأن يقرأ السؤال جيدا ، ويقرأ جوابه جيدا ، نلتفت ، فنجد الواقع مؤلما مؤسفا .

كانت الاذاعة السعودية تقيم مسابقات ثقافية وانتدبت لهذه المهمة حكما اردنيا ما تكاد تسعه يلقي السؤال او يفسره او يعلق عليه حتى تراءى في مكانه ، انه المرء يؤدي لكل شيء حقه كأنه العالم بكل شيء : الفيزياء . الكيمياء ، الحيوان ، النبات ... ولا تسئل عن الفلسفة والجغرافية والتاريخ . والادب واللغة العربية ، والشعر العربي . انه اذ وضع نفسه هذا الموضع الدقيق عرف ما عليه من ثقافة عامة ومتابعة لما صدر ويصدر وما يجب ان يتمتع به من رقة في السلوك وادب وذوق .

ولا شك في انه كان يبذل جهدا خاصا في كل مسابقة ثقافية يجريها ، ولا فسن المستحيل ان يكون انسان على هذا العلم الحاضر ، والاستعداد واجب

وسر من اسرار مهنته ، لان ظهوره بمظهر العارف اساس في روعة المسابقة
واساس في نجاح القيادة ، ان الحكم وجه المسابقة •

كنا نعجب به في حدود ما يعجب انسان بالنجاح الطبيعي ، اما اليوم ،
وكلما جرت عندنا مسابقة ثقافية ارتفع مستوى الاعجاب بالماضي •

كدت أقول : كان اعجوبة ، فأحجمت ، ثم لما نظرت الى ما فيه الآخرون
من تقصير في مهمتهم ، واستهانة بالناس ، عدت فمنحته حقه • كان اسمه :
عسر الخطيب ، وصار من حقه علينا النص على اسمه والتنويه بذكره ، انه لم
يخطيء في مادة ولم يسيء في أدب •

أجل ، فلم يكون الآخرون منا اعجوبة ، اعجوبة صغيرة — في الأقل ! —
ماذا يعوزهم ويعوزنا ؟ اننا عندما نستمع الى المحكمين في مسابقتنا وهم
يقرأون الاسئلة في تلكؤ ويفسرون الصحيح بالخطأ نكاد نغور في الارض
خجلا ، فاذا عدنا الى مقاعدنا دفعنا الامر عنا وقلنا : لسنا مسؤولين ، فلم لم
يجهز الحكم نفسه ، بما يلزم ؟ لم أخذ على عاتقه ما ليس له ؟ ولكنه
« تبرير » ليس غير ، فكلنا مسؤول ابتداء من الحكم وانتهاء بالسامع ،
وبالعكس ذهابا وايابا ، في الصغيرة والكبيرة ، لئلا تتكرر المأساة ! أو
لنخفف من الاسى الذي نعانیه والشدة التي نقاسيها •

لقد هممت ان اكتب في الموضوع ثم احجمت • لم هذه الكتابة ؟ ما
جدواها ؟ كم تهدر من حبر ؟ فطويت الورقة ، ثم جد جديد فنشرتها • ففي
ساعة كذا من يوم كذا من شهرنا هذا من عامنا هذا ، فتح الراديو واذا
« مسابقات » ، واذا الحكم يقرأ للفريق (أ) السؤال :

قال أحمد شوقي :

يموت راعي الضأن في سريه ميتة جالينوس في طبه

ويظل يكرر احمد شوقي ، سريه ، ويسأل عن جالينوس •

العجب العجب ! • ولم العجب العجب ؟ أهو أول خطأ في تاريخنا الثقافي

المعاصر ؟ ان الحكم مثل غيره ، ومعد البرنامج مثل الحكم ، وانا وانت مثل هذا وذاك .

قال الحكم : البيت مشهور جدا ، واذا كان الامر كذلك - وهو كذلك - فلم نخطيء فيه ، ولم لا نعرف صاحبه ؟ لم لا نعرف انه ليس لاحمد شوقي وانما هو لشاعر اشهر منه ؟ لم قرأ الحكم سريه ولا معنى لسريه ؟ انك - اخي الحكم - ادنت نفسك اذ قلت ان الشاعر مشهور ، والبيت مشهور ، وان كانت الادانة حاصلة منذ البداية ، مذ وضعت نفسك في موضع لم تستعد له . ولكننا لسنا مسؤولين عن البدايات - ولا عن النهايات ، لان القضية - كما قلت - ليست مسؤولية قدر ما هي تخفيف الم وتقريع كرب .

أخي العزيز ، لم يقل احمد شوقي هذا البيت ، ولم ترد في البيت - من كان قائله - كلمة سريه . ان البيت مشهور ، وصاحبه اشهر .

انها فضيحة ، لان الغلطة في الاذاعة بقاء تخرج من يد المذيع في يسر وتصل الى العالم في يسر أيضا . تسمعها لندن ، وتسمعها تل أبيب ، فماذا يقول عدو يرانا نجهل الف باء أدبنا ؟ وماذا يقول صديق ؟ وماذا يقول المسيو بلاشير ؟

نقول : لست المسؤول الوحيد وانما انا حكم اقرأ ما كتب لي ، وقولك صحيح . ولكن الخطأ فظيع . ستقول : المسؤول الاول معد البرنامج فهو الذي نسب البيت وهو الذي كتبه ، وعذرنا يمكن ان يقبل في وجه من الوجوه . الا ان المسألة ليست مسألة دفاع وهجوم . وانما هي مسألة التروي والمراجعة والدقة والتثبت والشعور بالمسؤولية . كان جديرا بالحكم ان يعرف قدره ، وجديرا بمعد البرنامج ان يتأكد من القائل وان يتأكد من رواية البيت ، وان لا يضع تحت الباء نقطة طويلة تحولها ياء ...

هي مسؤولية الحكم ومعد البرنامج ... والفريق (أ) والفريق (ب) ، فليس من الصحيح ان يجتمع هذا العدد من المثقفين المتسابقين وليس فيهم من لم يعرف قائل البيت او من يلمح الخطأ في قراءته ، لقد كانوا يعرفون اشياء

كثيرة ، ويميزون جيدا بين اغنية لزهور حسين واغنية لهيفاء حسين ،
ويزيدون على تمييز الاغنية تمييز الصوت وثقافة خاصة في الموضوع ، اما
كن مناسبا ان تتسع ثقافتهم الى شيء من أوليات تاريخنا الادبي ؟ ام انا
عنى جهل بالاسرار •

قال الحكم : قال أحمد شوقي :

يموت راعي الضان في جهله ميتة جالينوس في طبه

قال : احمد شوقي وليس ذلك بصواب ، وقال : سريه وهي سربه ،
ووردها في هذا البيت وهي قافية للبيت الذي يليه •

الرواية الصحيحة : قال المتنبي :

يموت راعي الضان في جهله ميتة جالينوس في طبه

وربما زاد على عمره وزاد في الأمن على سربه

أجل ، ليست المسألة كشفا لمجهول او حسابا او عتابا ، وانما هي تخفيف
عن ألم وتفريج عن كرب ••

وليس غير •••

١٩٧٣-٣-٨

الرصافي بضم الراء ..

بغداد جانبان : الكرخ والرصافة • اشتهر فيها « ولي صوفي » باسم معروف الكرخي نسبة الى الكرخ • وكان السيد محمود شكري الالوسي يلقي دروسه في جامع الحيدرخانة ، فدلف الى « حلقتة » فتى لا يدري كيف دلف - اسمه معروف ، ولد في محلة القرهغول من بغداد ، واسم ابيه عبدالغني - جندرمة - •

دل الفتى على نباهة وجد فاخذ السيد الالوسي « يعتني به عناية خاصة » ويرعاه ويبيدي له اعجابه به ، ومما يروى من سيات التشجيع ان قال له : ذلك معروف الكرخي وانت معروف الرصافي فأوجد له هذه النسبة الى الرصافة وذهبت لقبا له - والرصافة بضم الراء - ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي من لا يصدق •

وصح ما توسمه الشيخ في فتاه وصار معروف الجديد أدبيا شاعرا ، لقبه الرصافي : قال الرصافي ، نظم الرصافي •• هذا شعره وهذا ديوانه ، وهذا معه وهذا عليه •• والراء تتقلب على السن العراقيين بين السماء والارض والصحة والمرض فمن ضم الى فتح ومن فتح الى كسر حتى لم تعد تدري الصحيح من الخطأ ، وربما اختفت الضمة ، وربما سادت الفتحمة وتشدق الفاتحون فاشبعوها حتى قاربت ان تستحيل الفا •

وقع في ذلك العامة والخاصة ، الاساندة والطلبة ، وليس الامر مقبولا ، لانه يدل على العبث والتحريف • ان الراء ، راء الرصافي مضمومة ، فلم لا نجتمع على لفظ الرصافي بضم الراء ؟ قد يعزى ذلك الى الاستهانة في ضبط الاشياء ، قد ، ولكن هذا ليس سببا •

ونحتفل في المناسبات بذكرى الرصافي ••

واعدت الاذاعة برنامجا مناسباً اجاد معده الاستعراض وجود في انتقاط
ما يمكن ان يقال .. ولكن العيب في الذين قدموا هذا البرنامج . اما كان
جديرا بهم ان يقرأوا ادوارهم قبل ان يتقدموا الى المذيع ؟ اما كان قميناً بهم
ان يرجعوا الى الديوان ؟ اما كان حقيقاً بهم ان يعلموا ان الرصافي بضم الراء؟
يبدو ان هذه اسئلة لا جواب لها او انها اسئلة غير واردة ، ان لم تكن
مستكرهه ، والا فسا الفرق - لدى من لا يضبط - بين ضم الراء وفتحها
وكسرها ؟ ان الرصافي هو هو على اختلاف الحركات ، ايكن ان يذهب
الظن الى غيره ونحن نحتفل بذكره ونقرأ شعره ؟!

نقرأ شعره ! وكيف قرأناه ؟ وكيف قرأنا البرنامج المعد ؟ لقد رفعنا
المنصوب ونصبنا المرفوع واحترنا في المجرور ولا سيما المضاف اليه ، فكثيرا
ما نصبنا هذا المضاف اليه اندي حقه الجر كأنتا لم ندرس الموضوع منذ
نصف الرابع الابتدائي !

أما كيف قرأنا الشعر الوارد في البرنامج .. فلا تسل ولا تلح في
السؤال .. قلنا مثلاً : « تقاذفه الدروب » بفتح الفاء كأنها آخر حرف
لعمل ، ماض مبني على الفتح ، الم يكن في انعريف الفعل الماضي : تقاذف ؟
وتقول في الجواب : بلى . فيها . ولكن الذي في بيت الرصافي فعل مضارع
حذفت منه تاء المضارعة - ويحدث ذلك في الشعر - هو الاصل : تتقاذفه
دروب ، فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة على الفاء ثم حذفت تاء
مضارعة وبقيت - بالطبع - الفاء مضمومة اي تقاذفه الدروب - بضمه
على الفاء ..

والبيت هو :

سكنت الخان في بلدي كآني أخو سفر تقاذفه الدروب
وقد ورد في قصيدة بعنوان « تجاه الريحاني ، شكرى خاصة »
وفيها يقول :

الى كم أستغيث ولا مغيث وأدعو من أراه ولا مجيب

أقمت ببلدة ملئت حقودا على فكل ما فيها مريب
أمر فتنظر الابصار شزرا الي كأنسا قد مر ذيب
وكم من أوجه تبدي ابتساما وفي طي ابتسامتها قطوب
سكنت الخان في بلدي كأنني أخو سفر تقاذفه الدروب ..

الفعل تقاذفه ، فعل مضارع اصله : تتقاذفه ، والفاء منه مضمومة على
الحالين ، وقراءته يفتح الفاء خطأ في النحو يدل على خطأ في المعنى
على أن الخطأ في المعنى يتضح على وجه غير مشرف اذ وردت في البرنامج
« عيني » بدل « عني » مما يضل من لا يعرف الاصل ولا يتذكر قصيدة
« ايقاظ الرقود » .

قال البرنامج : « اليك اليك يا بغداد عيني » . واقل ما يفهم من ظاهر
هذا القول ان الشاعر راض عن بغداد كل الرضى ، وانه يحبها - اذ قال -
غاية الحب حتى انه ليسنحها عينه او يفديها بعينه او ما اشبه ذلك . وليس
شيء من هذا واقعا في حقيقة الامر ، لقد كان الرصافي اذ نظم القصيدة
حائقا على بغداد ضائقا بحالها . لقد دعا قومه الى الاستيقاظ فسا استفاقوا ولا
استجابوا واعياه الامر حتى هتف متبرئا :

اليك اليك يا بغداد عيني فاني لست منك ولست مي
ولا يسكن ولا يعقل ان يقول امرؤ في مثل هذه الحال : اليك اليك
يا بغداد عيني ؟ لا يسكن ان يقول شاعر ولا يسكن ان يخطيء قارىء ..
ففرق كبير في المعنى بين « عني » و « عيني » وابتعدي وخذي ! ومع هذا
الفرق الكبير جاءت في الاذاعة على الوجه الخطأ التي لا يسكن ان يقع فيه احد
.. لقد جاءت « عيني » بدل « عني » .. فكان ذلك عجيبا وليس عجيبا .

- أيلام بعد ذلك امرؤ اذا استشاط غضبا ؟
- وتبسط في توضيح الخطأ ؟
- وحمد للمصادفة انه لم يسمع من البرنامج الا ذيله ؟

إذا تحولت العمامة الى سدارة !

للمهرجانات الادبية العراقية سمات كثيرة ، منها انها تدعو الشخص الواحد أكثر من مرة خلال سنة واحدة لصلة مباشرة بالمهرجان ولغير صلة وفي ذلك مساوئ ومحسن ، اما المساوئ فلننا بصدها ، واما المحاسن فأن يتعرف الاشقاء العرب على شقيق لهم فيحسنوا الحديث عنه ويتعلموا اقل ما يمكن ان يعلم أخ من اخيه تعويضا عن فساد سابق في النفوس ، وفي السياسة وفي الثقافة •

وكان من هذه المحاسن ان دعي الى مهرجان ابي تمام ادباء بينهم من كانوا كبارا بنظر شبابنا ••

وبعد اشهر معدودات اي في الاسبوع الاول من نيسان ١٩٧٢ قام المرشد الثاني ، فدعي الادباء الذين دعوا أمس . وأصدرت « مجلة الاداب » البيروتية ملفا خاصا بالمرشد ثم اسندت « نقد » الملف الى الاستاذ سامي خشبة ، ولكن الاستاذ سامي خشبة اراد ان يدل على الاستاذ خشبة فرأى لزاما عليه أن يكون أكثر من ناقد ، فكان من ذلك ان قال :

« المرشد ، كان سوقا للجمال . سفن الصحراء ، منذ تأسست البصرة الاسلامية بعد الفتح العربي ، ومع الجمال يأتي البدو الفصحاء ••• كان العرب يذهبون الى المرشد من عدن ومصر والعراق والجزيرة وايران ويبحثون عن لغتهم الاصلية التي كانت على وشك الانقراض مع هجرة العرب والقبائل الى البلدان المفتوحة وابتعادهم عن البادية » •

وقد فسر الاستاذ سامي خشبة الجمال بسفن الصحراء • فما السبب في ذلك ؟ أهو بيان العلم ام زيادة الايضاح ام الاعراب عن الخيال ؟ وأورد البصرة الاسلامية ••• فهل هناك بصرة غير اسلامية تأسست قبل الفتح ؟

وأورد الكاتب ان العرب يذهبون - أي يأتون - الى المريد من مصر والشام الخ ... فمن جاء من مصر الى المريد ؟ وما الدليل وما المصدر ؟ ثم لم يأتي العرب من الجزيرة الى المريد يبحثون عن لغتهم الاصيلة اذا كان الذين يأتون من الجزيرة هم من البدو الفصحاء ؟

وقال الاستاذ سامي خشبة فيما قال :

« ان في المريد عبر العصور ، تألق علماء اللغة وفروعها المختلفة الى جانب الشعراء المبدعين ، وتألق علماء الموسيقى الى جانب الموسيقيين والمغنين ، وتألق الفلاسفة واصحاب المنطق وعلماء الرياضة .. ومن مجموع هذه العلوم الثلاثة الشعر والموسيقى والمنطق والرياضة تكون عقل الخليل بن احمد الفراهيدي مثلما تكونت مدرسة « البصريين » في علوم اللغة ، وهي التي كانت واحدة من اشهر مدرستين - الى جانب مدرسة الكوفة - في هذه العلوم ، وهذه الاخيرة في العراق ... »

كلام في مجمله يقوم على المبالغة والتضخيم وفقدان الحس التاريخي ، ولا يعتمد مصدرا او يستند الى دليل ، فمن قال عن المريد كل هذا ؟ وأين تقرأه ؟ كم هم علماء الموسيقى الذين تألقوا في المريد ؟ وكم هم الموسيقيون والمغنون والفلاسفة والمناطق ؟ لو كانت المسألة على هذا « الشخن » لوجد المؤلفون عن « المريد » ما اخرجوا فيه سلسلة من المجلدات : ولما ضاق الامر بالمختصين عن أن يؤلفوا كتبيا واحدا عنه ؟ ولعل اصدق ما ورد في كلام الكاتب ان الكوفة تقع في العراق كأن المسألة من الخفاء بحيث تستدعي هذا الاكتشاف الجغرافي الخطير !

وقال الاستاذ سامي خشبة : اشياء اخرى كلها طريفة ، ولعله كان يقصد بها التمهيد الى صلب نظريته فكان ان قال :

« كنت حريصا على أن افهم لماذا يصفق الجمهور الذي تتكون اغلبيته الساحقة من الشباب ، لشاعر يلقي قصيدة تقليدية عمودية موضوعها عذابات

الحسين ... بينا الشاعر عجوز اعمى تجاوز المائة ، يضع على رأسه «فاروقية»
سوداء علامة الحزن على ابن بنت رسول الله ... »

ولا نريد ان نسأل الاستاذ سامي خشبة كيف قدرت ابن الخامسة
والستين بأكثر من مئة ؟ ولم حرمت على الاعمى ان يكون شاعرا ؟ وكيف؟
ولم ؟ ... لانه يصدر عن حالة تملي عليه ان يخلق لها الادلة ولأننا هنا بصدد
القضية الفاروقية .

أجل ، وقد أدى الحرص الشديد بالناقد الكريم الى تقصي الاسباب ،
وأقل ما يقتضي ذلك الحرص ان يستعين صاحبه بن يعرف على ما لا يعرف
... والاستاذ سامي خشبة يرى السدارة في المربد ، ولم تكن هذه المرة
الاولى ، فلقد رآها - على أقل تقدير - في مهرجان ابي تمام لان السدارة
نفسها كانت حاضرة هناك ، وليكن . لقد رآها ... فاستببط لها اسما
هو الفاروقية ، ولا ندري لم اختار لها هذا الاسم . وكان المعقول ان يلتفت
الى أقرب عراقي الى جواره ويسأله :

ماذا تسمون هذه السوداء المستطيلة التي على رأس فلان ؟
- نسميها سدارة .

وينتهي الامر ولا موجب للابداع في التسمية . وكان المعقول ان يربط
اسمها بملك عراقي - اذا رأى ربطها بملك - فيقول مثلا : الفيصلية ، والا
فما علاقتنا بفاروق لنسمي لباس الرأس بأسمه ؟

ثم ان الباحث المستقصي للاسباب اراد ان يغور باستنباطه الى اعماق
التاريخ ، فهذه الاستقراء والاستنتاج الى سبب لا صحة له .

لقد قال ان السدارة السوداء هي « علامة الحزن على ابن بنت رسول
الله » ولم يسأل نفسه عن 'العلاقة' ، ومن لم يسأل نفسه لا نسأله نحن ،
وما قيمة ذلك وقد ذهب بالاستبساط المنطقي الى حدود الابتكار حتى قال :
(ان الفاروقية السوداء ، شعار الحزن على الحسين ، تطور عصري للعمامة
السوداء » ...

عجيب ! من قال لك هذا ؟ وكيف اهتديت اليه ؟ تأكد ايها الشقيق الكريم ان المسألة لاتمناها لانها تتصل بالمربد ، ولا لانها تتعلق بالعمامة التي تحولت الى فاروقية ، ولا بالاسباب التي يمكن ان تكون وراء الاسباب ، وانما هي تهمنا لانها تدل - مرة اخرى - على اننا ما زلنا بعيدين عن أن نعرف حدودنا، بعيدين عن ان نستوعب سبل العلم ، فالذي رواه لنا الشباب ان الاستاذ سامي خشبة ناقد للمسرح ، قللنا : ليكن ، وما أحوجنا الى ذلك ، أما أن يأتي ناقد للمسرح ويتدخل في التاريخ والاجتماع فذلك هو المهم ذو الدلالة .. واذا سمح الاستاذ سامي خشبة لنفسه بان يتدخل فيستنبط ويستنتج ، أما كان مناسبا ان يسأل سائق السيارة عن السدارة وعامل المطعم عن العمامة السوداء ! واذا كانت السدارة السوداء قد تطورت عن العمامة السوداء فلم صارت سدارة الشاعر سوداء مع أن أصلها عمامة بيضاء ؟ لم لم تتطور العمامة البيضاء إلى سدارة بيضاء ؟ وأسئلة أخرى تجمع بين الطرافة والألم .

اذا كان الناقد المسرحي منا يسمح لنفسه بامثال هذه الرؤيا الابداعية فيما نعرف ، فكيف نأتمنه في احكامه واخباره عما لا نعرف من شؤون المسرح الالمانى والسوفيتي والاسكندنافي ؟ ان الخلق لا يتجزأ ، والعقلية واحدة، والمنهج هنا كالمنهج هناك ..

- مر على ذلك عام ، فما الذي ذكرك به ؟

- مرور عام ، وذكر ان نفعت الذكرى .

- نفعت !!

١٩٧٣-٤-٥

مجلة المسرح والسينما

في العراق مجلة باسم « المسرح والسينما » تصدر دوريا ملحقه بمجلة « الاذاعة والتلفزيون » ظهر عددها الاول في تشرين الثاني من عام ١٩٧٠ ، وعددها المزدوج (السابع والثامن) في آذار ١٩٧٠ فكأنها تظهر مرة واحدة في كل ثلاثة اشهر ونصف شهر ، واستغرق ما بين العددين الاخيرين ما يقرب من عام - ولا بأس ، ولكننا كنا نفضل ان تصدر مستقلة لان تبعيتها على هذه الصورة تبدو غير طبيعية ، ولم تصدر ملحقه مع امكان استقلالها ومع ما يمكن ان يهيء لها الاستقلال من قوة جديدة ؟ وكنا نفضل ان يكون ظهورها في مواعيد منتظمة ، كأن تكون فصلية ترى النور كل ثلاثة اشهر ينتظرها القارئ في وقت معين - ولا تنظام المواعيد دلالة على دقة العمل وأثر في دواعي الانتشار .

الاعداد الصادرة جيدة ، حسنة التيوب والاخراج ، فيها مسائل شرقية وغربية ، موضوعة حينا ومترجمة أحيانا ومذيلة بنص غالبا . . . ولكننا نطمح بأعداد أكثر جودة وأكثر تنوعا ، وللطمع ما يسوغه ، لان امكان الاتيان بالاحسن حاصل ، وعوامله كائنة ، وفي البلد من شؤون المسرح والسينما ما يبعث عن الثقة والتفاؤل .

تصدر مجلة « المسرح والسينما » عن مجلة « الاذاعة والتلفزيون » فلماذا ؟ الذي يبدو طبيعيا ان يتولاها قسما المسرح والسينما . بل ليكن التوزيع الاداري ما يكون ، ليكن المسرح مستقلا والسينما مستقلة ، وليكونا جزءين من مؤسسة واحدة ذات قسمين او اربعة اقسام ، لان المسألة ليست دارية قدر ماهي فنية ، وقدر ما هي مجلة مسرح وسينما تصدر في العراق . وليكن بعد ذلك المسرح والسينما اينما يكونان .

ولا شك في أن اللجنة القائمة قد رعت المجلة منذ ولادتها وهيأت لها

مادة واقلاما ، وهي مشكورة دون ريب ، وكل ما في الامر ان القارىء يطمع بالاجود ، والاجود يقتضي ان يشترك في الاشراف المباشر على المجلة اعضاء عملهم المسرح والسينما ، وما بنا من حاجة الى بحث طويل لنجد هؤلاء الاعضاء فهم في المسرح والسينما ومعهد الفنون الجميلة واكاديمية الفنون .. وإذاً .. فما أنسب أن نضيف الى اللجنة القائمة اعضاء جددنا نختارهم من ذوي الاهتمام والاختصاص والحرص على وجود شيء اسمه مجلة المسرح والسينما ، ونخصص لهم - بالطبع - من المكافأة المالية ما يساوي الجهد المبذول لتكون المجلة على صلة مباشرة بما يدور في عالم المسرح والسينما في العراق وفي البلاد العربية وفي العالم كله ، فتوصل هذا الذي يدور الى القارىء في حينه وعلى وجه يطمئن اليه ويجد فيه اجوبة عن اسئلته ، فاذا وجده مرة سأل عن المجلة ثانية واهتم بها وانتظر صدورها فاذا نحقق ذلك للمجلة كانت ذات سلطان ونفوذ وبلغت الغاية التي قامت من اجلها .

ثم ان هذا القارىء يجد - عندئذ - دافعا الى ان يقترح على المجلة فتح الباب الفلاني والباب الفلاني ، ويجد مسوغا ان يشترط في الحساب - وحساب القراء دليل على اهمية المجلة ، وعامل في توافر عنصر البقاء والتطور من الحسن الى الاحسن ..

يبدو لناظر الى المجلة كما هي الان كأن انفصاما بينها وبين المختصين ، واذا تتطلع فيها تفتقد فلانا وفلانا من عملهم الاخراج او النقد أو التمثيل .. ويسكننا ان نعاتبهم على غيابهم ولكننا لا نستطيع ان نحاسبهم ، فقد يقدمون اعدارا ظاهرها يدعو الى القبول ، ولا طريق الى سد ابواب الأعدار هذه أيسر من اشراكهم - بوسيلة اخرى - في التحرير والاشراف على التحرير .

اجل ، توسع مجلتنا من لجنتها على أساس علمي ، وتدعو المهتمين بالمسرح والسينما من كل ميدان ومن كل مكان لتتشاور واياهم في أفضل السبل الى رفع مستوى المجلة الى اعلى مما هي فيه ، والبلوغ بها درجة تجمع بين المحلية والعالمية ... وتشجعهم على الاقتراح والعمل مغنويا وماديا .

ونيس هذا اقتراحا خياليا ، فاقل ما في واقعيته اننا نملك عددا محترما من المختصين والمهتمين وان هذا العدد لو اخذ المجلة مأخذ الجد وشعر انه مسؤول عنها هيا لنا المجلة التي نصبو اليها او المجلة التي تمثل امكاناتنا في أقل تقدير •

ولا أشك في ان المجلة دعت المختصين الى الكتابة ولم يستجيبوا ، ولكن الدعوة وحدها لا تكفي • فلا بد من ربط مصير الكاتب العراقي بالمجلة ووضعه ازاء المسؤولية وجها لوجه •

ان الكاتب العراقي الجيد يجمع ثلاث صفات هي العلم والكسل والاحساس الشديد بالكرامة ولا بد للمجلة التي تريد ان تستثير كوامنه ان تأخذ هذه الامور في حسابها •

انك تنظر في هذا العدد المزدوج فلا ترى الاقلام التي يجب أن تراها •• وترى اقلاما من حقها ان تكون لانها تملأ جوانب لا بد منها للمجلة وعليها من علامات الاخلاص للمرح والسينما ما عليها ، وهي تمثل عادة الاقلام التي تطفح عليها المادة فتبحث عن طريق لتصريفها ، وكان احسن ما فيها ان وقفت عند الترجمة او التلخيص ، ولسنا في غنى عن الترجمة والتلخيص •• ولكننا نريد - مع ذلك وقبل ذلك ، الاقلام المختصة التي يعيش اربابها في عالم المسرح والسينما ، ولا يتنفسون غير هوائه • اما الاقلام غير المختصة التي تتحدث - في هذا العدد او غيره - كأنها مختصة فيحسن بالمجلة ان تتخذ قرارا حاسما بشأنها •

لقد عرضت في العراق خلال عام ٧٢-٧٣ عشرات وعشرات الافلام ، بينها عالمي الرائع وبينها التجاري الرخيص ، وعرضت في الشهر الذي صدرت فيه مجلة افلام من النوعين ، فاين اثر ذلك في المجلة ؟ وعرض التلفزيون العراقي عشرات الافلام العالمية والعربية فأين موقف المجلة منها وماذا قدمت لقارئها بصددها ؟ وهناك افلام عالمية لم تصل الى العراق ويود القارىء العراقي ان يطلع عليها وان يعرف عنها فأين يجد ضالته ان لم يجدها في مجلة « السينما »

أين الدليل على ان المجلة متصلة مباشرة بما يجري في عالم السينما ، ومشتركة في أمات المجلات ؟ ثم ايكفي من أمر « الظامئون » ندوة « ونص » ؟

وأمر المسرح أمر السينما ودونه ، ولنا في العراق مسرح محترم وفرق محترمة ، وقد قدمت هذه الفرق مسرحيات ، فاين نجد مادة عما جرى في العراق خلال عام اذا لم نجده في عدد سنوي من مجلة « المسرح » التي تصدر في العراق ثم اين نجد الحديث عن (الطوفان) لعادل كاظم والينبوع لنورالدين فارس .. وطائر الحب وفندق الغرباء والطائر الخشبي وحفلة سمر وضيمر المتكلم وغيرها وغيرها من جيد ورديء ؟ أجل ... القارىء يريد ان يعرف كل شيء ليكون على هدى .

وصدرت مسرحيات مترجمة وموضوعة فأين صداها في مجلة (المسرح) ... وكان من القضايا المهمة التي برزت واضحة قضية التعريق ، وقد كان فيما كان دون جوان ونفوس والبيك والسائق . أفيمكن ان يصدر عدد سنوي يخلو مما يجب ان يكون فيه من امر هذه الظاهرة . لقد خرج العراق يبحث عن النصوص ما بين اليابان وايران والقرن السابع عشر والعشرين ، والكلاسيكية والواقعية الاشتراكية ، فأين صدى ذلك في مجلة « المسرح » ثم أين صدى « مهرجان دمشق » ؟

ان الحديث عن قضايا المسرح والسينما في العالم نافع ، ولكنه يكون انفع لو جاء منهجيا وتولاه المختصون ، وانه ، بالغاً ما بلغ ، لا يستدعي نسيان المسرح العراقي .

ان من يقرأ مجلة « المسرح » يسائل : أما في العراق من مسرح ؟ وينتهي الى النفي .

لا ... ان لدينا مسرحاً ، ولدينا ما هو جدير بالاهتمام واننا لو ابرزناه في مجلتنا لاوصلنا اليك الحقيقة ، وخدمنا انفسنا وهياًنا مادة للتاريخ .
وبعد ...

فقد فخرت المجلة بانها نالت مكاناً يدعو الى الاعتزاز والثقة وان رسائل

كثيرة ترد اليها من المغرب .. والمانيا الديمقراطية ... وفرنسا . وما لنا في ذلك ادنى شك وانا لنعتز به اعتزاز المجلة به ، ولولا الثقة لما طمعنا بالاحسن والاكمل ، ولما ألححنا على وجوب العناية بالجانب العراقي فيما هو كائن وما يجب أن يكون ، فيما هو جيد وما هو رديء .

اننا اذ نطمع ان نرى « المسرح والسينما » اكثر استقلالا وانتظاما ، وأكثر تنوعا وعراقية نحس بان لطمعنا ما يسوغه وباننا نطلب ممكنا ، وفي البلد من شؤون المسرح والسينما ما يبعث على التفاؤل .. وسيأتي يوم نرى فيه مجلة للمسرح ومجلة للسينما .

١٢-٤-١٩٧٣

ولدت الدار الوطنية للنشر والتوزيع

في أوانها . . .

في العراق كتاب جيد ، وجيد جدا ، في كثير من نواحي المعرفة : البحث والتحقيق والشعر والقصة والنقد . . وقد شهد بذلك من اطلع عليه من أخواننا العرب ، ومن اطلع عليه من المستشرقين والباحثين في العالم .

يعاني المؤلف العراقي الغصص منذ تفكيره بالتأليف حتى عودة كتابه اليه خائبا فيبحث له عن مكان . وقد يعيد الكرة وقد ينكص على عقبيه .

ويزداد « الهواة » على مر الزمن ويزداد التأليف وتتشعب مناحيه ، ويدرس منا من يدرس في الخارج فيعود ومعه كتاب او كتابان للماجستير او الدكتوراه بل اننا انشأنا اقساماً للماجستير انبثقت عن رسائل نادرة قليلة النظر ، وها نحن اولاء نشيء اقساماً للدكتوراه تتفتح عما قريب عن مفاخر جديدة . .

وقد يجد المؤلف من يعينه ماليا ويخفف عنه بعض العبء ، ولكن المشكلة الكبرى تبقى قائمة على رأسه : التوزيع .

كيف يوصل كتابه الى القارئ ؟ ان المكتبات المحلية لا تكاد تشتري شيئا ، ومسكين هذا المؤلف كم يعاني من مشبطات واهانة احيانا ! واذا اشترت المكتبة المحلية فلا يزيد ما تشتريه على عدد محدود تودعه زاوية من الزوايا ، وقلما استرجع مؤلف ماله كاملا او نقدا .

ان المكتبات لا تحتفظ بالكتاب العراقي ، والشارع لا يعرضه - اذا عرضه - اطول مما يعرض مجلة اسبوعية او نصف شهرية . وقد يطلبه طالب فيبحث عنه فلا يجده .

لابد - اذا - من ايجاد مركز دائم العرض للكتاب العراقي على وجهه دائم ، ولابد من ان يضمن هذا المركز للمؤلف ماء وجهه وقليلًا من المال الذي يشعر معه بما يشجعه على المتابعة ويبعثه على المثابرة ويحثه نحو الاحسن والاحسن .

ان مركزا واحدا في بغداد لا يكفي ، فلا بد من ان يكون في كل محافظة -وقضاء مهم - مركز لعرض الكتاب العراقي وبيعه . اننا لا ندري لم نوزع الكتب كلها في نواحي القطر كله ولا نوزع الكتاب العراقي في العراق !

وهذا لا يكفي .. لاننا يجب ان نوصل كتابنا الى الاقطار العربية من الخليج الى المحيط فلا بد من مركز في القاهرة ومركز في بيروت .. والكويت .. وتونس .. يعرض الكتاب العراقي في هذه المراكز فيسعى اليه من يهيمه أمره ، ومن يهيمه الاطلاع على احدث المؤلفات .

اننا هنا في العراق نعلم من شؤون الكتاب العربي الشيء الكثير ونقتني منه الكثير الكثير وليس لنا في ذلك منة على اخواننا لاننا نريد ان نتعلم ، وفضل القاهرة - مثلا - علينا لا ينكر ولا سيما في زمن لم يكن لنا فيه كتاب يذكر أو مؤلف يعد .. اما وقد تطورت الامور وصار لبغداد ما لا يقل عما للقاهرة او بيروت فمن حقنا ان نوصل ثمرات افلامنا الى اخواننا ، لا للادلال عليهم أو الفخر ، وانما لننفع مثلما ننتفع ولنوطد الصلة وليعرفونا كما نعرفهم، ولنجنبهم تكرار جهد بذلناه .

أجل ، اننا تفخر باطلاعنا على الكتاب العربي واقتنائنا اياه ، بل ان علينا ان نطلع على ما لم نطلع عليه منه ، ولا شك في ان الكتاب رسول أمين ووسيلة من وسائل الوحدة لا يستهان بها .

وكما نوصل كتابنا الى الاقطار العربية ، نوصله الى العالم ، فهناك من يهيمه هذا البحث او ذاك ، ومن يريد ان يقتني هذا الديوان وهذه القصة .. والمسرحية .. والمجلة .. فمن واجبنا تيسير المهمة وتقصير الطريق ..

ولنا في الاقتصاد والاجتماع والقانون والعلم الصرف ما لا بد من ايصاله لمن ينتفع به ..

وهنا .. هنا تتضح ضرورة ميلاد دار وطنية للنشر والتوزيع ، والا فماذا نتظر ؟ وما الذى يحول دون تحقيق هذه الضرورة ؟ ما الذى يؤخرنا ؟ انحن متأخرون الى هذه الدرجة !؟

الكتاب العراقي جيد ومطلوم ، والمؤلف العراقي جيد ومغمور فالى متى ؟ وكيف الخلاص ؟ ولم التواني ؟ ولا يكاد يجتمع مؤلفان عراقيان حتى يجرحهما الحديث الى هذه الموضوعات فيتبادلا الشكوى والاسى وقد يكفر احدهما ، وقد يسعى الاخر الى ان يجد منافذ الى الامل ، فليس معقولا ان تبقى حالة سيئة كما هي ، وليس من المعقول الا يشق الكتاب العراقي طريقه ولا ينال حقه والمؤلفون في تزايد والادباء في تكاثر ومنهم من اجتازت سمعته حدود بلاده ومنهم من فرض وجوده على من لم يرد له وجودا .. بل ان من الناس من يطلب الكتاب العراقي في مظانه فلا يجده ..

ان دور التوزيع التجارية لا تعباً بالكتاب العراقي تأمرا او تجاره او جهلا .. ولقى الذين جربوا ان يطبعوا خارج العراق الامرين ، ولو تحدث الناس الذين طبعوا عن طريق احدى المكتبات اللبنانية لرووا عجبا عما لقوا من سوء المعاملة وفساد الذمة وفداحة الابتزاز واقل ما يروى ان صاحبها يأخذ كتابك ويأخذ معه قدرا من الليرات ويطبعه ويوزعه ويبيعه وتبقى انت المؤلف غريبا جدا عن مالك وفكرك وتكتب اليه الرسالة تلو الرسالة فلا يجيبك وتقصده الى مكتبته فلا تراه ولا يحدثك موظفوه الا بما يؤلمك ويسوءك وأنت بعد ذلك عرضة للمطالبة كأنك المجرم في القضية !! حتى دعا داع منا الى نظام « القائسة السوداء » نضع عليها من يسيء لنا ويستهين بنا !

لم نطبع عند من لا يريد ان نطبع عنده ؟ لم نحترم من لا يريد ان يحترمنا ؟ لم نتعامل مع من لا يحسن التعامل ؟ لا بد من ان نكون على غاية الاضطرار

الى ركوب هذا المركب الصعب • وقد كنا كذلك • فهل من المعقول ان تدوم هذه الحال ؟ ..

ذهبت مرة الى دار العلم للملايين ببيروت وقصدت الاستاذ بهيج شعبان - وهو أديب يدير الدار مع الاستاذ منير بعلبكي - وهو أديب ايضا - • فقلت : لدى الكتاب الفلاني وفضلت ان اقصدكم قبل ان اقصد غيركم ..

فكان الجواب - جافا متعاليا مع صفة اخرى - : لا ، لا نطبع حتى لو اعطينا التكاليف كلها • لا نطبع • فشكرت حسن الضيافة • وخرجت • وعرضت كتابا على دار الثقافة في بيروت فأحالته الى خيرها فأقره ، ووضعت شروطا فوافقت عليها لاني اريد ان اطبع كتابي بكل ثمن ، ثم وضعت شروطا اخرى انقصت فيها العدد والمكافأة فوافقت لاني اريد ان اطبع • ثم وضعت شروطا اخرى فوافقت ، وبين الشروط والشروط عام او بعض عام وزادت في تأخير الطبع ، ولجت .. حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وكان اكبر ربح لدي ان استرجعت مخطوطتي •

ولكل مؤلف عراقي قصص وقصص كأن لم يكن العراق سوقا للقاهرة أو بيروت او كان الكتاب العراقي من الرداءة على مستوى ما تقذفنا به مطابع اخواننا الكرام ! ..

أمن المعقول ان يدوم وضع على هذه الحال ؟ لو كان الكتاب العراقي سيئا لدام • لو لم يكن للعراق كيان لدام • فما العمل اذا ؟

لقد سجل المؤلف العراقي مثالا منقطع النظير في المثابرة على التأليف ، فهو يؤلف دون ان ينتبه اليه احد او يهتم به احد • • ويجمع نسخه كما هي من الشارع مع زيادة ملحوظة في الوسخ ويعود ادراجه يبحث لها عن ملجأ غير أمين • • وما يكاد يخف الحق حتى يستأنف ، وكان من ثمرات الاستئناف والمثابرة هذا الكيان من الكتب الذي يجمع بين الكمية والكيفية ،

هذا المقدار الذي يقوم حجة لمن اراد الحجة والدليل لمن يبحث عن الدليل •
واذ يصل الامر درجة حادة ، ويبدو انه قد آن الاوان للعمل النجدي
وللتجربة التي لا بد منها في خدمة الكتاب العراقي ورعاية المؤلف العراقي ،
تولد الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان • ومع ان الدار في بداية
بدايتها ، فان ما شرعت تخفف به عن كاهل المؤلفين وما تعد به من خطط
ومشروعات •• يبعثان على التفاؤل •

ولا شك في ان الدار الوطنية تعي ضخامة المهمة الملقة على عاتقها ، الا
ان المؤلف العراقي - بدافع مما عانى - يذهب الى ابعد مما تذهب اليه •
ان اقل ما يطلبه هذا المؤلف ان تكون الدار على مستوى مسؤوليتها
وان تثبت للذين كانوا في شك من امر الكتاب العراقي خطأ وسأوسهم وسوء
معتقدهم •
وبقدر ما تتحمل الدار الوطنية من مسؤولية يتحمل المؤلف العراقي
نفسه •

١٩-٤-١٩٧٣

فرق بين أن تدعي الجديد . . . وان تقدر عليه !

ليس فينا من يحب الموت ، وليس فينا من يقف إعجابه عند أمور مضت وانقضت . . ثم ليس فينا من لا يود ان يكون عظيما ، كبيرا ، يشار اليه بالبنان ويطبّع التاريخ بطابعه فيعترف له الناس بفضل السبق مع التجويد والابداع .

وقد يعجب بعضنا بعظام نخرة ويحسب نفسه فاضلا في ذلك ، كريسا ، حكيما . قد . ولا موجب الى التعليل لان الامر يوشك ان يكون من صفات الانسان . وتمر بضرب من البشر ، في عصر من العصور ، حالات من الفتور يكاد يتوقف فيها الفكر ويشل الذكاء ويضوى الابداع ، كأن الناس فيها أموات في الاموات ، وما بقي منها حيا يتشبث بالعظام ويتعلق بنتاج الاقدمين .

وقد تنام الامة ، على هذا ، قرنا او قرنين او ستة قرون ، ولكنها لا بد من ان تصحو يوما على دوي يقض مضاجعها ويهز كيائها فيكون ايدانا بجديد تتضافر اسبابه وتتساند عوامله فيصبح مطلبا يريده الاكثرون ، ويعترف بالحاجة اليه الاكثرون .

نحن ، اذا ، في عصر جديد ، ولهذا العصر مقتضياته ومفهوماته . انه يريد كذا في المسكن والمأكل ، وكذا في السياسة والاجتماع ، وكذا في الفن والادب . انه يريد . ولكن المسألة تبقى فيمن يحقق هذه الامنية . يستطيع ذلك كل من طلبه ؟ يستطيعه انتهازي له حاسة قوية في الشم دون ان تكون له القدرة على الابداع ؟ يستطيعه انسان كثير الطماح . كثير الحب لنفسه ، كثير التفكير في أن يدعى مجددا ؟!

ان كل ما في الجو يدعو الى الجديد ويرهص له . وفكر فلان وفلان مليا في الامر ، واطالا التفكير واختلسا ما للآخرين وتبنيا ما لم يجزؤ

الآخرون على التصريح به • ترى ماذا يريد الناس اليوم ؟ لقد ملوا القديم وخلصهم جديد غيرهم • فلم لا نهتبل الفرصة ؟ قد نكون فاقدى المادة التي توصلنا الى الجديد المنتظر ، ولكننا نستطيع ان نتمتع بمكانة المجدد الحقيقي . كان نستولي على لقبه ونستحوذ على مجده • وليكن بعد ذلك ما يكون ! وماذا يكون ؟ اننا رابحان على كل حال ، والدنيا تؤخذ غالبا ، وسيبقى لنا فضل التبكير والسبق والريادة ، وليس هذا بالقليل •

درس فلان وفلان الموقف جيدا ، وجسا نبض الناس بحذق وعرفا من اين تؤكل الكتف ، فشمرا وهما يعلمان ان العيش فرص ، وراحا يدعيان التجديد ويجردان القديم من كل فضيلة ويرسمان للجديد صورا ليست بذات دلالة ، لانها لو كانت ذات دلالة لفهمت ونوقشت وفضحت . ولو كانت ذات اساس لدرس الأساس وبان الزيف •• بل إن العصر الجديد يطلب الابهام ويدعو الى الاغماض • الم يبهم الغرب ؟ الم يغمض ؟ الم يصعب فهم رانبو على كلودل ؟ بل ان العصر من الجهل بكنهه الجديد بحيث بات يطلب من يخدعه بهذا الجديد ويرتاح كثيرا للمصطلحات الفلسفية التي يجهلها ، ويهيم بالاسماء التي اثارت الضجيج في بلادها •

انها مسألة حاجة عصر ورغبة في استغلال الحاجة • وتقوم هذه الرغبة ، اول ما تقوم ، على خبث عميق ، وتسم ، اول ما تسم ، بشعوذة رهيبة • ويحدث - لسوء الحظ - ان تنجح مثل هذه الرغبة ، ولكن الذي يحدث بعد ذلك - لحسن الحظ - ان الرغبة وحدها لا تفعل شيئا وان حبل الشعوذة لا يستد طويلا ، فيأتي يوم ينظر الناس في حالهم وفي هذا الذي يقدم اليهم على انه جديد ، فيرون انه سقط وتشويه ، وانه عقبة تؤخر من ميلاد الجديد المنتظر ••

يفتح الباب على مصراعيه ويخرج منه القادر على الجديد ، الصادق فيه ، المؤهل له •• فيميز الناس - حينئذ - بين جديد وجديد ، فتطوى الصفحات المشوهة السابقة وكأن لم تكن ، ويرى الناس في الجديد الجديد ما يحول دون

ليست اللغة العربية صعبة !

اما انا يجب ان تتعلمها جيدا ، فذلك ما لا نقاش فيه ، لانها حياتنا ، ولتكن ، بعد ذلك ، سهلة أو صعبة وعار ان نراها صعبة وان تقعد بنا الهمم في الوقت الذي تكون لنا مطامح لا تحد ، ودعوات قومية وانسانية لا ترد ، وعار ان تقعد بنا الهمم عن ضبطها في الوقت الذي صبغت فيه الامم الاخرى لغات اصعب ، وأوجدت لحياتها الجديدة لغات من العدم .

أجل ، وليس في الامر جدال ...

أما أنها صعبة ، فليست صعبة . وتعال معي وحدثني عن الصعب فيها ، بل تعال معي لنحصى أبواب اغلاطنا ونحن نتحدث او نخطب او نكتب ..
انا نصب الفاعل ونأتي بجمع المذكر السالم الفاعل بالياء والنون ونرفع خبر كان ، ونفتح هزة ان بعد مقول القول ..

هذه - وامثالها - هي الاحوال الغالبة في اغلاطنا ، وهي متكررة ، ولا يندى لنا جبين اذ تقع فيها ، وكاد الخطأ يصير قاعدة . ولو كنا نغار على انفسنا - ولا أقول على لغتنا - لخجلنا اشد الخجل ، ولبعثنا الخجل الى تلافى الموقف كما تتلافى الحالات الاخرى التي تؤدي بنا الى الجوع والعري ، ولعلنا الخجل الحذر ، كما نحذر انواع العار الاخرى مما يتصل بالعرض والناموس .

ولكننا لم نخجل ، ومن لم يخجل استوت لديه الاشياء ، ومات فيه الاحساس ، ونضب ماء الحياة ..

أجل ، ان اغلاطنا متكررة ، وهي لا تتعدى - في أخطرها - نصب ما حقه الرفع ورفع ما حقه النصب او الجر او الجزم .. والمسألة تدعو غير ، ان الاستغراب . كيف ؟ كيف يا قوم تخطئون في لغتكم هذا الغلط الدحش .

الالتفات الى الماضي القريب ، واذا التفتوا فبمقدار ما يقتضي الهزء وتدعو
السخرية • ويكفي أهل الماضي المشوه هذه العزلة التي يعانونها ، فما هم
من القديم وما هم من الجديد وما هم من الرواد ، انهم من سقط المتاع ،
وويل لهم ان كانوا في الاحياء ، ولعنة عليهم وعلى من جازت عليه كذبتهم ،
ان كانوا في الاموات - وفي ذلك عبرة لمن اعتبر •

- للكاتب والقارئ ••

- للقارئ والكاتب ••

١٩٧٣-٥-٣

انظروا الينا كيف نلفظ لغتنا وكيف نكتب بلغتنا ، بل انظروا الينا كيف نستعمل لغتكم وكيف نكتب بلغتكم • انا لا نصب فاعلا ولا نرفع خبرا لكان • انا لنعجب اذ نراكم تخطئون ، ويبلغ بنا العجب احيانا حد الضحك بكم والسخرية منكم • لا • لا • كونا احرص على لغتكم منا ، وكونوا أعرف بها منا ••

الاعلاط محدودة ومتكررة ، وهذا يسهل مهمة من يتصدى الى حصر الداء ووصف الدواء •• ان ٩٠٪ بل ٩٥٪ بل ٩٩٪ من اخطائنا لا تتعدى نصب ما حقه أن يرفع وجر ما حقه ان ينصب •• ومسائل تتصل بذلك من العدد والمعدود والحال والمنادى ، اضحى وأمسى ، وليس ، ولعل ••

أما الباقي فهو من باب الشاذ وما اختلف فيه النحويون وتباينت به اللهجات منذ البداية ، وهو في جيلته ليس بذي بال ، ولا بأس في أن نضحي به - مؤقتا - حرصا على الاصل ، بل انه مما يمكن العودة اليه بعد ان نوطد لاساس ونقيم البناء وتعدى مراحل التعليم الابتدائي والثانوي •

ويدخل في هذه النسبة الباقية الضئيلة مسائل كثيرة جدا ، سخيفة جدا ، لا روح لها ولا حاجة اليها . دخلت كتب النحو القديمة عندما صار نحو غاية في نفسه فكان ، فيما كان ، الاعراب التقديري للتعذر واعراب نبيات واعراب حبذا ولا حبذا وما اجمل الساء وأجمل بها . ومتفرعات ضم الصرف في الاعلال والابدال والنسب الى جاد المولى والجميل التي لها محل من الاعراب والجميل التي لا محل لها من الاعراب •

لقد حصرنا مواطن الخطأ وحصرنا المهم ولم يبق ، بعد ذلك ، الا ان نعنى بأمرنا مخلصين قادرين •• فنحصر جهدنا في النحو العسلي ، ونوفر الوقت لنستغله كما يقتضي المنطق والعقل والكرم في العناية الخاصة بترفعات والمنصوبات والمجزومات والمجرورات في حدود ما يدخل منها في لاستعمال اليومي لدى القراءة والكتابة •••

وليس هذا صعبا ، لا على المعلم ولا على التلميذ ، وتقل الصعوبة

وتتلاشى اذا اعددت المعلم في ضوء هذا المنطلق فخرجته وهو حريص على اللغة ، عارف بأهمها ، مخلص لها ، يتألم لدى سماع الخطأ في بسائط القواعد العملية ، وزودته علما بالمادة والطريقة يصلح بهما هذا الذي آلمه وقوعه ثم زودته كتابا يقوم على هذا الاساس من الاخلاص للغة وتحديد حاجتنا منها . وينأى عن الخلط وتسويد الصفحات بالشاذ والميت والمستحيل الوقوع وم صار - في النحو - لعبا عقليا ورياضة لعضلات الذهن البطر ...

أجل ، أيها الاخوان وأيتها الاخوات ، ليست اللغة العربية صعبة . وليست اصعب من غيرها ، ولكننا لسنا جادين فيها ، ولم نأت مشكلتها من أقصر طرقها ولم نعالجها بأنسب أدويتها .

لقد استهنا باللغة لاننا لم نعرف قدرها ، ولاننا لا نعرف اقدار الاشياء . فضعفنا فيها الى حدود الخزي ، وزاد الضعف وزاد واستشرى .

- ترى الى اين تصل بنا الحال ؟

- قد يتفائل المرء في الجواب فينظر الى المسألة من حيث جواهرها فيراها سهلة العلاج ، وقد يتشاءم اذ يرى ما نحن فيه من ترد ، فلا يرى غير الظلام الدامس والليل الذي لا يعقبه نهار .

وبعد ...

فقد ذهبت ذات مساء الى طبيب وبعد ان سأل عن الاسم والعمر .. سأل عن المهنة ، وما كاد يسمع الجواب حتى القى بالقلم وقال : لم لا يعرف الشباب اللغة العربية ؟ لم لا يعرف خريجو قسم اللغة العربية اللغة العربية ؟ فكانت اسئلة مفاجئة ، اتنا في قسم اللغة العربية نتحدث عن الضعف باللغة العربية ، وعن الطلبة والكتب والمناهج ، اما ان يصل الامر الى الاطباء ، فان ذلك يعني ان الفضيحة قد اخترقت الاسوار وان علينا ان ندرك مسؤوليتنا على وجه جديد .

وعذرا أيها الطبيب الغيور .. ولن انسى لك فضل احراجي غاية الاحراج ،

وقد كان حديثنا منصبا على التلاميذ وحدهم ، على كسلهم وتمردهم غير المشروع ، وعلى عدم شعورهم بالمسؤولية ..

وصحيح ان التلاميذ مسؤولون .. ولكنهم لا يتحصلون الا جزءا من المسؤولية ، وانا بجانب الصواب ان بدأنا المحكسة بهم ، بل انني أخشى أن يكون لديهم من اسباب فضحنا ما ليس لدينا من اسباب الدفاع عن انفسنا .. اننا لم نحسن تدريسهم ولم نضع لهم المنهج السليم ولم نؤلف لهم الكتاب الصالح ولم ندرّبهم التدريب الصحيح ...

أجل ، سيدي الطيب .. أكتب اليك اليوم لاقول لك اننا مسؤولون أيضا .. وهذا اقل ما يمكن الاعتراف به ..

- وماذا لديكم غير الاعتراف ؟

- لا شيء ! ولا تواتينا الجرأة على مثل هذا الاعتراف الا في حالات نادرة ، فاقبله قبل ان تطمسه المغالطة ... والمكابرة ..

١٩٧٣-٥-١٠

من ميم ميسان . . . الى همزة ي رأس!

قال ياقوت الحوي في معجم البلدان : « ميسان بالفتح . . . كورة واسعة كثيرة النخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . . . وكان أمير المؤمنين عسر بن الخطاب رضي الله عنه : لما فنت ميسان في أيامه ولاه النعمان بن عدي . . . وأراد النعمان امرأته على الخروج الى ميسان فابت عليه فكتب النعمان الى زوجته :

الاهل أتى الحسناء أن حليها بيسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غتتي دهاقين قرية وصناعة تجشو على حرف ميم
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

ولا تسقني بالاصغر المثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمني في الجوسق المتهدم

وفي كتب البلدان والفتوح واللغة والادب تفصيلات عن ميسان لمن طلب التوسع ، وسيجد طالب التوسع هذا - فيما سيجد - مرضعا آخر باسم: دستيسان . وقد يبدو له ان ميسان فارسية الاصل او معربة ، وقد . . .

اما نحن ، فيهنأ - هنا - النص على فتح الميم ، واننا لم نر في القدماء من ضبط ميسان بغير الفتح . . . ومر الزمن واندثرت ميسان ولم تبق من الاسم على الارض بقية ، ولم يعد يعرف الكلمة الا عدد قليل جدا ممن شغله التاريخ او التردد على معجم البلدان . . . واذا اطلقت ميسان على محافظة العمارة لم يعزز الاطلاق بالسبب الموجب ، ولم يسأل احد عما يسكن ان يكون للنقطة من دلالة في التاريخ او الجغرافية كأن السؤال ضرب من الاهتمام او الفضول .

وما كدنا نخرج الكلمة من القبر حتى بدأنا نعبث بها ، كأن القاعدة
ندينا التكسير ، والا فليس في ميسان ، بفتح الميم ، من ثقل حتى نهرب منه
الى الكسر . واذا كان ثقل ، أما كان المعقول ان نزين السنتنا بصحة اللفظ
ونعود آذانا حسن الالتقاط ؟ ان اللفظة جديدة علينا ، ونطقت - أول ما
نطقت - سليمة بفتح الميم ثم لم يلبث الباطل ان شرع يفعل مفعوله فاعوجت
لألسن ووهنت الفكوك .. وأسهم المذيعون والمذيعات في الكسر ، وراح
الخطر يزداد يوما بعد يوم .

- ترى ، ايمكن رد الفائت وتدارك الامر ؟

- ممكن ، وإلاّ اصاب ميسان ما اصاب لفظ « السعودية » .

- وما ذاك ؟

- ذاك - وكنت احسبك تدري - ان المسلكة العربية السعودية نسبة الى
سعود ، جد مؤسسها ، وسعود - كما هو معلوم - بضم السين . وحدث
ن احدى الاذاعات انفلتتها بفتح السين . ولتلفظها ! أكتب علينا تبني أخطاء
آخرين ؟

ولا ادري أية اذاعة بدأت فتح السين ، لكنني سمعتها - أول ما سمعتها -
من « صوت العرب » وأولع المذيع العراقي - في حين من الزمن - بتقليد
يميله المصري حتى في فتح الباء من « العربية » ، ومن فتح باء العربية
ستظاب فتح سين السعودية . وهكذا توالى تقليد الخطأ حتى صار قاعدة .

- ترى أيمكن رد الفائت وتدارك الأمر ؟

- ممكن ، ولكن الداء قد استفحل ، وأخشى انك قبل ان تصلح سين
سعودية تكون عين « العراقية » قد بلغت من الفتح اقصاه ، فان رياح
الاذاعة تنذر بفتح هذه العين . ولا تسئل عن السبب ، لان الاشياء تجري
- هنا من دون اسباب وجهة ، ولان جدليتنا من غير منطق . وأخشى انك
نفس أن تصلح عين العران يدرك السيل فلا تلوذ من فتح ميم «عزيزي المستمع»

بشيء ، أجل «لا انا أدري ولا المنجم يدري» ، السر في ان يفتح المذيعون
- والمذيعات على وجه الخصوص - تاء المستمع • اجل اخي القارئ •• فما
تكاد تصد ضربة حتى تنهال عليك ضربات وما تكاد تنتبه الى مرض حتى
تشتبك عليك أمراض ••

وبقدر ما تكون المسألة مسألة عجز واعتباطية وجهل وخلل نفسي
 واجتماعي وخلقي وعلمي •• تكون مسألة كثرة هذا الضرب من الخطأ وسرعة
توالده حتى لتصعب عليك المتابعة ••• والا فمن كان يدخل في حسابه ان
يلفظ المذيع العراقي - أو المذيع العراقية - الفعل المضارع للفعل : رأس :
يرئس ، بكسر الهزة ؟ لقد غبر علينا في العراق أكثر من اربعة عشر قرنا
ونحن نقول ، رأس يرأس بفتح الهزة - وهو الصحيح - فما بالنا ، وبين
عشية وضحاها صرنا نقول : رأس يرئس ؟!

- ما بالنا ؟!

- السبب المباشر ، ان الاذاعة اللبنانية تقول : يرئس بكسر الهزة
- وهو خطأ - ومجلة «الموعد» تكتب : يرئس بكسر الهزة - وهو خطأ •-

- ابلغ بنا الحال ان نأخذ لغتنا من مجلة الموعد ؟!

- بلغ ، وعن مجلة الشبكة • وهذا هو السبب المباشر كما قلت ،
ولسنا بصدد الاسباب غير المباشرة •

- لماذا ؟

- لأنه •••

شيء في الجو

كان من أوائل ما راعني في باريس : الكتب ، كثرة ما يصدر ، تنوعه .. سهولة علمك بالجديد . ويكفي ان تسير في هذا الحي الذي يسمونه الحي اللاتيني واقترن في أذهان الشرقيين بألف علاقة وعلاقة لتطلع على ما صدر اليوم او ما سيصدر قريبا .. في القصة والشعر والبحث والنقد .. وثقافة المعرفة الاخرى .. ولا يكلفك ذلك أكثر من وقفات قصار عند هذه الواجهة او تلك من واجهات المكتبات لترى في مكان بارز منها هذه القصة لهذا الكاتب وذلك الديوان لذلك الشاعر ، وهذا فاز بالجائزة الفلاية وهذا عاد بعد انقطاع . وليست هذه الوقفات ضريبة وانما هي نزهة ، وليست وقتا ضائعا وانما هي مدرسة ذات طابع خاص ، وكأنك اذ تنتهي من شارع سن ميشيل انتهيت من درس ادبي ممتع عنوانه « صدر حديثا » . لقد عرفنا الحي اللاتيني بتعريفات متعددة ونسبنا ان نقول : انه مجموعة مكتبات .

لقد راعني ذلك مع اني لم اته من الصحراء . فلقد عشت في بغداد وعشت في القاهرة ، ولكن ما في باريس من الكتب وتنوعها وفن الاعلان عنها يجعلك تؤمن بانك قادم من الصحراء .

وكما تغريك باريس بالكتاب الجديد تغريك بالكتاب القديم المستعمل ما تهيب من طرائق العرض ورخص الثمن ، ولا تقصر في ذلك المكتبات مهمة الكبيرة ، فهي تنصص له جناحا من اجنتها او حزاما على امتدادها مبوبة اياه تبويبا علميا . وكم من علم من اعلام الادب كان حلما من احلامك وكتاب من كتبه لم تسمع منه بغير الاسم ... عرض هنا ، في الحي اللاتيني على شكل يدعوك اليه بناديا ومعاتبا ان تعال : اني العقد الاجتماعي لروسو ، نبي كانديد لفولتير ، انبي الرسائل الفارسية لموتسكيو ، الاب غوريو لبازاك ... هيغو ، صاند ، لامارتين .. بخمسين فلسا ، بعشرين ، بعشرة ...

فتكاد تشهق لما ترى وتسمع ... وتصيح ان تعال يا فلان من ابناء وطنك
وانظر العلم والادب والفن ... لعلك تشعر بالخجل ، فطامن من كبريائك
وتقل من زيفك وتبدأ سيقا جديدا ، لعملك !

هذا في الحي اللاتيني ولا تسل عما ارتفع على جانبي نهر السين .
واتشر في الحارات والازقة ...

وتستعد للدخول الى السوربون ، هذا دليل الجامعة ، وهذا منهج العام
المقبل مطبوع بصفحاته واساتذته ومصادره ، وهذا منهج خاص ، لدروس
تنقلها الاذاعة مباشرة ، وتدخل فترى كيف يفتح الاستاذ دروسه بدروس
عن مصادر مادته مينا ما للمصدر وطبيعته من قيمة ودلالة ، وترى استادا
كبيرا - طبعا كبيرا فلا يكون الاستاذ هناك صغيرا - لا يدرس في طول
العام الا كتابا واحدا او مرحلة من حياة اديب او اتجاهها من ادب ، وانه
يلقى في الساعة الواحدة من المادة ما يعدل كتابا وما لا تلقى في عام والمسألة
قبل ذلك مسألة الاعداد الطويل والعرض الرصين والمنهج المتين والفكر
النير ..

وتقول عندئذ : لا ، ليس عبثا ما قيل عن السوربون وما يقال .
ثم تطلع على الجرائد الادبية ، المجلات ، المتاحف ، المسارح ، البرامج
الاذاعية ، السفارات الادبية ، الاسواق الادبية ، وما الى ذلك فتحس بطعم
الحياة وتستلئ بالتفاؤل لأنك لا تطلع الا على المستع النافع الذي يذكرك بالحضارة
.. ولكن مسألة الحضارة مفروغ منها ، ولم تأت باريس لتكتشف ان
الكتاب والجامعة والادب فيها تدل على الحضارة ، وانما جئت لتزود ما لم
يتهيأ لك على البعد ولتقتبس ما يسكن ان يسهم في بناء نهضة بلادك ويعمل
على اشاعة الحياة في مواتها ..

وها انت ذا ، من حيث تدري ولا تدري .. تمتلئ « بالمشاريع » ..
هذا نافع . لم لا يكون لدينا مثله ؟ هذا ممكن التطوير ، هذا سهل لم غفلنا
عنه ، هذا أولى بنا .. في المكتبات والمناهج والبحث والجامعة والتأليف

والصحافة • وكل خاطرة تمر بك - من هذا النوع - تملؤك نشاطا وثقة وتصميما ، ولا يعترض طريقك - أي طريق خيالك - خور او فتور او تردد • فلم تقل هذا مستحيل ، وهذا لا يكون ، ولم تفكر بفرق بين مجتمع ومجتمع وعالم وعالم وجو وجو • ولم الافكار المثبطة ؟ ومن اين تأتي وقد سدت حياة على الموت كل سبيل ؟! وكل شيء هنا يدل على قيمة ما انت فيه او عليه من اهتمام ادبي •

ولم تحس بادننى حاجة الى تثبيت هذه المشاريع في دفتر او على ورقة ، لانها حية في نفسك لكثرة ما الفتها في حياتك اليومية واقتنعت بسلامتها وصحتها وامكان تطبيقها غدا • اذا ما عدت الى وطنك العزيز • ولكنك - ولابد من قول الحقيقة كاملة - كنت تلجأ الى الورق عندما تلح عليك حاجة ماسة الى التفاصيل • لقد اطمأنت نفسك الى المشروع والى امكان تحقيقه • ولم يبق عليك الا ان ترسم الخطة الكاملة باجزائها • ولم تكن نعل ذلك خوفا من نسيان الاجزاء وانما تفعله لتخفف من هذا الضغط - ي يلح عليك لامتلائك بهذه التفاصيل ولم يبق عليك الا ان تبدأ خطوة العملية •

وهكذا •• تستلئ بالمشاريع شفهية وتحريرية مصحوبة بثقة لا تجد في تطبيقها وفي الخدمة التي يجب ان تؤديها - عن طريقها - الى وطنك •• وتعود •••

وتغرق في عالم كرهه من المراجعات مبتدئة بالشاعر وعدم الحكومية منية بوقفة غير قصيرة الى جوار كاتب الطابعة •• ومبتدئة ثانية بنماذج حجية غريبة من البشر ••

وتعزي نفسك بانها سحابة صيف عن قريب تقشع وتأخذ المياه مجاريها، •• تكاد تسجل المباشرة حتى تستأنف الحياة والمشاريع النافعة •• ولكنك تسجل المباشرة وتداول وتدخل في معومات لا تنتهي من اشياء لا قيمة لها ••

ولا تكاد تنتهي خطوة مرة حتى تبتدىء خطوة أمر ، وتمر السنة الاولى والثانية والثالثة ... وانت في دوامة من تفاهة تبلغ شدتها انك لا تحس معها بالتفاهة او ان تريك في هذا التفاهة قانون الحياة ، ولم لا يكون قانونا وعليه تقوم حياتك ومعيشتك وعلاقاتك بالآخرين .. وحتى مجدك أحيانا !

– لا ، وماذا ؟ ولم سافرت ولم عدت ؟ واين المشاريع ؟

كانت لي مشاريع ، وعلي ان اكون اقوى من الضعف . أجل ، ولكن أين هي المشاريع ؟ اين هي اسمائها ؟ اين عنواناتها ؟ تبحث وتنقب فلا تجد أثرا . لقد تبخرت ولم تترك أي أثر من ماء ، وتخف الى اوراقك التي سجلت عليها ما دعتك الحاجة الملحة الى تسجيله من خطط مفصلة فتعثر هنا وهناك على عدد منها بين الاوراق التي ادخرتها والكتب التي اقتنتتها ولم تجد ضرورة الى قراءتها . تنظر الى هذه الورقة فتراها صفراء وتنظر الى الثانية فتراها كالحة والى الثالثة فاذا هي ميتة .. انها ليست مشاريع ولكنها أجداث ... لقد كانت مشاريع يوم كانت في بلاد المشاريع اما هنا فلا تحمل أي معنى ، حتى معنى الطلل المحيل !

وتترك الاوراق تتناثر على مشيئة الرياح وتنطوي على أسي ، هو أسي من فقد عزيزا ، ويزداد اساك لانك فقدت عزيزك قبل الميلاد ، ويخف الاسى لان الجو حولك لا يدعك تشعر انه عزيز .

– كان ذلك منذ نحو من ربع قرن .. فهل تغيرت الحال ؟

– لنسأل القادمين الجدد .

– انتكر عامل الزمن ؟!

– لا ، ولكن ..

٥ حزيران والأدب العراقي

ثم كان من امر الستينات ما كان

— ماذا كان ؟

— ما اتسم به الشعر من اغماض يقرب من اللعب ومن لعب كاد ينفي شرط الموهبة • ويقولون لك انه شعر ملتزم • وتقول لهم ماذا يلتزم ؟ فيقولون •• النضية • وتقول اين هي القضية فلا ترضيك اجوبتهم ولا ترضيهم اسئلتك •• فانت بعيد جدا عن هذا الذي يسمونه جديدا جدا •

وهنا تكف عن السؤال فلا ترى موجبا لأن تقول أنى لك هذا ؟ أو تقول : لم النثر اذا كان الشعر هو المقصود ؟

— والقصة ؟

— تهويمات تبلغ حد الخنفشارية وضياح وقيء وحشيش مجاني وهي في ذلك كالشعر تتبع التطور العالمي وتسبقه ولم يقل زيد أين انا من كامو ••• ولم يقل عمرو — اذا لم يرد ان يكون وجوديا — ماذا قرأت ل آلان روب غرييه •

وصحيح ان ظروفًا قاسية مرت واشاعت في النفوس من الظلمة ما جعلنا رضا خصبة «للقرف» ولكن اما كان المطلوب ان نكون أقوى قليلا مما كنا ؟ ثم لتكن الحال ما تكون السنا مطالبين بالجودة ؟ وصحيح اننا كتبنا صفحات لا بأس بها في ضوء الظرف والفن المتبنى ولكن الجيد قليل • وغلب المفضل على الصادق والمدعى على الاصيل وطغت « المودة » على الواقع ، فازدوج بينك عالم القصة مع عالم الشعر وسارا يتسابقان في البعد عن الجمهور عدهسا عن الفن الصحيح • وسلم من هذه الوهدة قليلون اتكأوا على رصيد من الثقة بالفكر البناء او حماهم خجلهم من ان يظهروا على غير ما كانوا •••

كان أدباء الستينات راضين عن انفسهم ابان الستينات • وانهم منحوا
انفسهم من الالهية ما لم يحسوا معها بضير ، ولم يسأل احدهم احدهم عن
قيمة ما يفعل او ينبهه على ثقافة مايكتب ، وقد شغلهم عن ذلك تسابق في
الاردأ وتنافس في التقليد • ودفعهم الى المضي قدما الفراغ وغياب الرادع
وخلو الدار •

ثم ان هؤلاء الادباء كانوا يعانون العزلة والعطالة والصراع بين ان
يعملوا شيئا وبين انهم لا يستطيعون ان يعملوا شيئا •
والمسألة تطول ، ولسنا بصدد اسبابها الظاهرة بقدر ما نحن بصدد
اسباب اضمحلالها • وقد تلقى النهاية ضوءا على البداية •

— قد ؟

— فما كادت العشرة السادسة تقترب من نهايتها حتى بدأت الظاهرة
تخف ، واذ بدأت تخف صعب على أهلها التبرؤ منها أول الامر فئسروا عن
ساعد الدفاع عنها لانها ركن من مجدهم ولانهم مسؤولون عنها ... وهنا ؛
لا تسمع الا التلكؤ والتناقض ، ولكن استمرار النقاش اكسبهم مهارة خاصة
وبرز بينهم من تميز بالسفسطة وبرع في التبرير حتى لقد بلغت بهم الحال ان
اضفوا على ادبهم معاني النضال مستعينين بما تهيأ لهم من بسطة يستطيعون
بها النفع والضرر ... وهذا ما يمكن ان يفسر ما نشره بعد الحال الجديدة
من شعر او قصص لا يختلف عما كانوا ينشرونه قبلها ، وقد تصدوا الى
الاستمرار ولكن القلم لم يعد يسير ، وان واتي مرة ومرتين فانجس عن قصة
مقرفة او قصيدة مغمضة فانه لم يوات في كل المرات •

لقد صار الاديب موظفا او انه صار — في اقل تقدير — ذا مورد محترم
يأتيه من اكثر من جهة : من وظيفته الرسمية — وهي تحصيل حاصل — ومن
ذات اليمين وذات الشمال ...

لم يعد ، إذا ، ممكنا ان يكون وجوديا او أدونيسيا صادقا او كاذبا ،
لانه لا يجد في نفسه ذلك الضيق بالحياة والبرم بالعيش ولا يجد من الوقت

ما كان يجده ايام العطالة ثم انه يعمل تحت شعارات من التقدمية والماركسية العلية والاشتراكية .. والعامل والفلاح وعليه ان يرضى هذه الشعارات والا خسر كثيرا ، ويستطيع في أقل ما يستطيع عمله السكوت او التحول من الادب الانشائي الى الادب التعليمي ، من القصيدة والقصة الى التشريع والتنظير ...

أجل ، هذا ما يترأى لي سببا مباشرا لا ضحلال الوجودية والادونيسية على أبواب السبعين . اما اذا سألت الادباء انفسهم ممن كانوا يزاولون « القرف » ويتعاطون « الغموض » فانهم يتعدون بك عن السبب المباشر - بعد دخولهم مرحلة الاعتراف برداءة حالهم السابقة - الى اشياء متضاربة اطرفها ه حزيان .. انه الخامس من حزيان .. وتسع بعد ذلك خطبا رنانة طنانة عن ه حزيان وما يقظ في الانسان العربي من عملة وما اثار في نفس الاديب العراقي من الم واحساس بالاثم وتدبر للامر ونقد ذاتي ... لقد كان الناقوس الذي نبه النيام وانذر بالخطر .. كأنهم وجدوا في ه حزيان سببا وجيها للاعتذار ، وعاملا يرفع من شأنهم ويهيء لهم مكانا من النضال .

ليكن ... اما انا فقد نظرت طويلا في الامر ، في ه حزيان وما قبل ه حزيان فبا رأيت لقضية فلسطين - في جبلتها - أثرا مهسا في الادب المبدع . لقد اصبحت فلسطين موضوعا ولكنها لم تصبح ضميرا ...

ثم اين كنا قبل ه حزيان ؟ انه لمن البلادة ان يقول اديب ان الخامس من حزيان فاجأه فأيقظه . ان الضمير الحي كان يرى ه حزيان مانلا في خطب والشعارات والانظمة والعالة .. في العرب قبل ان يكون في غيرهم .. وفي الادباء اذا أردنا الا تتخلي عن المسؤولية .

من الغباء المركب الا نكون قد رأينا ه حزيان قبل ه حزيان ، ومن لاثم المضاعف ان قعدنا عن تسجيل المغالطة الكبرى في حينها .

لقد جئت العراق بعد عام من حزيان فرأيت الامور كما هي غسوسا

وقرنا .. وناقشت في الظاهر طويلا بعد حزيران فما ورد حزيران على لسان
ثم لم يلبث القوم ان اكتشفوه ، فلو كان حقا فلم غاب هذه المدة الطويلة ؛
ثم اين نحن من التوبة وقد مرت اعوام .. فيها ايلول ونيسان ومايس -
واخشي ان اعدد الشهور الميلادية الاثنى عشر واستعير من الهجرية اثني
عشر اخرى .

كم اتمنى ان نربط الظواهر بأسبابها

- وانا كذلك ...

١٩٧٣-٥-٣١

آداب المقابلة الصحفية

في البلد صحافة ضيقة المدى ولكنها تسعى الى ان تكون سجلا للحركة الفكرية - وهذا جميل ..

ويشتغل في هذه الصحافة عدد لا بأس به من الشباب ، ومنهم من يهوى عمله حتى ليغلبه الهوى على ما سواه . انه صحافي والا فلا - وهذا جميل قليل ..

ولكن الصحافة لم تشر جيدا الى قدرة على تحقيق ما تصبو اليه - وقد تصل يوما ..

ومن الشباب من يلجأ الى الصحافة ارتزاقا وسعيا وراء مورد يعينه على العيش من اجل هدف اخر ، ومنهم من يهوى في الصحافة امورا خارجة عن الحقيقة في العمل الصحفي ، كالدخول والخروج ، والاتصال والتعرف ، والحفلات والندوات - وهؤلاء وأولئك كثيرون ..

وليكن الامر ما يكون ، ولتكن الاسباب الى ذلك ما تكون .. انما المهم بأيّ انسان « يختار » لنفسه - طوعا او كرها - عملا ان يزود نفسه ما يهيئ له نجاحا في هذا العمل ، وان .. وان ..

ولم يتحقق هذا الغرض ، في الاغلب الاعم ، لان الانسان منا يكتفي بالهدف القريب دون تفكير في تهيئة الأدوات وفي ضمان الجودة والاستمرار ، تنصر في النظر وفساد في المفهوم .

يعجب عددا لا بأس به من الشباب - او ممن تعدى قليلا طور الشباب - ان يخرجوا من وراء مكاتبهم . ومن هؤلاء من يخرج عن طريق التلغون فقط وقد تكون لهذا اسبابه العاجلة ، الا انه - اذا جد الجد - وسيلة عجيبة . واذا يرد ذكر التلغون ، يرد الدافع الى الخروج من وراء المكاتب : الا وهو

السبق الصحفي وأخذ المادة من معدنها وتنويع هذه المادة شكلا وفكر -
ولنترك التلفون مستقرا ..

ولنقل ان هذا الشاب الناهض يريد ان يتصل بالاستاذ الفلاني ليحضر
منه على علم معين بسو موضوع معين او حركة معينة * فماذا يحدث ؟

يحدث ان هذا الصحفي الناهض لا يحس بأية مسؤولية ، كأن كل عنه
ان « يجلب » حبرا يريقه على ورق فيجري في الانهر ويفرق الاعددة * -
كيف ؟ وماذا ؟ فليس بالمهم .. وقد يأتيك هذا الصحفي متهاككا خائفا -
مستهلكا ، على الغاية من التواضع والتصاغر - وهذا غير مقبول او معنور -
وقد يأتيك منتفخ الوداج بسلطان صاحبة الجلالة فيبدو وكأنه متفضل و -
المسؤول مسؤول ازاءه وازاء الجريدة التي حولت نقصه الى كبرياء - و -
أسوأ ما في اخلاق الصحفي *

لا ... لا ، يا اخي ، ان الشرط البديهي في الصحفي - الذي يتصر -
بالناس - التواضع الطبيعي والقصد الشريف * وتذكر دائما انك صاحب
الحاجة ، وليكن الذي ازاءك - بعد ذلك - من يكون : استاذ او شاعر
او فيلسوفا .. او عاملا او فلاحا ، انه مهم دون شك ، والسبب بسيط
جدا في الدلالة على اهميته ، وهو انك سعت اليه مشيا على القدم ..

والمسألة من البدهاة بـكان ، والصحفي من أحوج الناس الى النعموة
النابعة من مزاج ناعم ، واللباقة المتبقة عن تربية لبقة *

ثم انك قررت ان تقصد فلانا لتكسب مادة لجريدتك * فماذا اعددت
للسوقف ؟ هل قررت ان تصل في الموعد المتفق عليه ؟ مجهزا بما يكفل لهنت
النجاح ؟ او انك تترك الامور كما هي وكما تأتي ، كأن المقابلة الصحفية ضرر
من التلقائية المطلقة ، وكأنها لا تشترط بصاحبها معرفة القراءة والكتابة في
أضعف الايمان *

أخي العزيز ، تحية واحتراما ، وبعد ، فهناك اعداد عام في كل ميدان

السياسة ، الاجتساع ، التاريخ ، العلم الصرف .. الماضي والحاضر ، الشرق والغرب .. وينبثق من هذا الاعداد العام اعداد خاص في ميدان واحد من هذه الميادين ، وينبثق عن هذا الاعداد الخاص اعداد اخص ..

لا بد للصحفي من مكتبة عامرة بالعام والخاص ، ومن ثقافة حسنة بالعام والخاص .. انك ستسأل بصدد الحركة الفلانية فلانا من الناس ، وانه لمن البلادة ان تنطلق من ادارة جريدتك صغرا عن الحركة وعن فلان ، لا لأن الأدب يقتضي العلم ، ولكن لأن الغاية التي خرجت لها تقتضي هذا العلم .. اي انك ستكسب أكثر وستفيد أكثر وتعود بصيد سمين ، وانه لمن البلادة كذلك ان تكتفي من الصيد بانك استنطقت فلانا عن المسألة الفلانية ، فليس ذلك بشيء ، لان المهم العمق والجدة والتفرد .. وهنا هنا السبق المؤزر رأيت كيف تتحد الوسيلة والغاية والطريقة والهدف . ان السبق الحقيقي لا يأتي عبثا ، فماذا اعددت ؟

– وماذا اعد ؟

– انك تريد ان تسأل عن المادية .. او المثالية ، او العروض ، او لشعر الحر ، او الالياذة ، او المعلقات .. واول ما يشترط فيك – بعد شروط الاخلاقية في السلوك – ان تلم بالموضوع الذي ستسأل عنه ، ولا بأس في ان يكون الاعداد الخاص عاما تعرف به شيئا عن موضوعك في جوهره وتاريخه واعلامه لكي تسأل عما هو في صميم القضية مبتعدا عما هو شائع ذائع ، واذا راك المسؤول عارفا بالموضوع فانه يزداد احتراما لك ، وهتما بك وعناية باسئلتك .

– ثم ماذا تعرف عن فلان المسؤول ؟

– انه فلان ، دائرته كذا ، تلفونه كيت ..

– هذا اتفه ما يمكن ان يعلم ، لان المهم ان تعرف الخطوط العامة في نفسه وفكره ، والمراحل الاساسية في تاريخه وتطوره .. ما نشر من بحوث ومقالات .. او نظم من شعر .. او كتب من قصة ..

تلم بهذا ، وفي الامام العام ما قد يكفي لانه لا يريد ان يكلفك المستحيل ، انك تلم بمقدار ما يهيء لك النجاح العلمي في المهمة •

واذ يبدأ بالاجابة •• تكتب في ثقة وامانة لئلا تجور على الحقيقة وتحسن الرجل ما لم يكن من علمه أو رأيه فتوصل الى القارىء ما لم يقم على أسس •• أجل ، ان اي تصرف في نصوص الاجابة هو خيانة لمن تقوم وسيط بينهما • واذا كان لا بد من شيء من التصرف كالحذف والتلخيص فليكن ذلك عن علم المسؤول ورضاه • اما ما يجري - احيانا - في بعض الصحف العربية - من تحريف مقصود وتزويد يرمى الى الاثارة واحداث الضجة •• وبيع اكبر عدد من النسخ •• فذلك من الحقارة ما لسا بصده من قريب أو بعيد •• ولا تصلح هذه الصحف ان تكون صحفا فضلا عن ان تكون قدوة !

- ثم ماذا ؟

- ••• ثم ان الادب يقتضي ان تنشر هذا الذي تحصل عليه في اسرع وقت لئلا يفقد قوته الآنية فيبدو الرجل وكأنه يتحدث على غير موجب « ويتحمس » لغير مناسبة •• ويقتضي ان توصل الى فلان الذي حرصت على مقابله ، استاذا كان او شاعرا •• او عاملا ، او فلاحا ، نسخة - أو أكثر - من الجريدة او المجلة التي تعمل فيها وحصلت لها على الاجابة المطلوبة. لاذ، علاقتك بالمسؤول ليست علاقة سوقية رخيصة تنتهي بعد الحصول على الصفقة التجارية ، انها علاقة « روحية •• » ثم ، لا يبعد ان تحتاج اليه مرة اخرى - او مرات - فيما يجد من موضوعات ويبرز من قضايا •• رأيت مرة اخرى ارتباط الوسيلة بالغاية وان ليست المقابلة مصيدة ينتهي مفعولها بمجرد ان تطبق ؟!

- ان هذا الادب ، حتى في خطره العامة ، ما لم يفكر به او نقدره

قدره •

- الغلط لا يقاس عليه •

– ان تحقيقه صعب ، وصعب جدا ••

– لو كان صعبا جدا كالذى يحدث في المقابلات التي تعرض الصحفي الى الموت ، لدعوتك الى التضحية او حدثك عنها ، واذ لم يكن على تلك الدرجة فمن حق قائل ان يقول : ومن أجبرك ، إذاً ، على أن تكون صحفيا ؟ ليست الصحافة ارتزاقا فقط ، وليست رغبة فقط ، وانما هي خدمة الحقيقة من طريق الهواية بلياقة ولباقة ، وما عدا ذلك باطل على باطل ، ولا يشرفك ولا يشرفنا •

وبعد ••

فقد كان العرب يضعون آدابا لكل شيء ، ومن ذلك آداب البحث والمناظرة •• ويقصدون بالاداب هنا ما نقصده اليوم من المنهج والطريقة وما يتصل بذلك من علم وعقل ، وما يسبقه ويلحقه من كرم الخلق وصدق النية وعفة الهدف وطيب السيرة وحسن التأني •• يمكن ان تأخذ هذه عنهم ونزجها بما يجب ان تأخذه عن الغرب في الفن الصحفي وفن المقابلة الصحفية بوجه ادق – والفن هنا – يعني الادب ، والادب يعني الاخلاق والمنهج ، والمنهج يعني ركنية المتحدين : الوسيلة والغاية – رأيت ؟ ولنتعاون •

١٢-٧-١٩٧٣

Σ

الصحيفة قبل نصف قرن !

اذ قامت الحرب العالمية الاولى ، عاد من المانية شاب شهد هناك اشياء جديدة ، وقرأ وأسهم واتصل اتصالا مباشرا بالفكر التقدمي وكان متحمسا بهذه الافكار .

وكان طبيعيا ان يبحث عن اصدقاء ، وان يكون لهؤلاء الاصدقاء من خلق التمرد والاحساس الوطني ما يجعلهم يجدون فيه الاخ الذي كانوا يبحثون عنه والمصدر الذي يزودهم ما يتعطشون اليه - وقد وجدهم ووجدوه .

كان اسمه حسين الرحال وقد اصبح نواة التف حولها عدد من الشباب مثال : عوني بكر صدقي ، عبدالله جدوع ، مصطفى علي ، سليم فتاح ، محسود احمد ، ممن كانوا الطليعة التقدمية - قبل ان يوجد الاسم .

ويتصل النقاش وتبادل الرأي والاطلاع ويصبح الاصلاح الجذري شغلهم الشاغل . ولم يبق امرهم مجهولا فقد تحدثوا هنا ونشروا هناك ولم يسلموا من مضايقة او سخرية . وكان طبيعيا ان يفكروا في اداة لبث رأيي السليم ومحاربة التقليد السقيم ، فلا بد من جريدة او مجلة خاصة بهم وان يعملوا جادين لتوفير المال ، وطلال النقاش عن اسم مناسب لهذه اداة حتى رأوا ان يكتفوا باسطة الاسماء فقر قرار حسين الرحال ومصطفى عني على اسم : الصحيفة .

وفي عزمهم ان يطول عمر هذه الاداة المعبرة عن افكارهم المؤدية الى اصلاح المرتجى ، وليكن بعد ذلك ما يكون فقد وطنوا انفسهم على اسوأ الاحوال مستدين القوة من رأيهم وشبابهم منتظرين التشجيع من «الاحرار المهذبين» .

ورأوا ان يكون مقر الجريدة - مؤقتا - المطبعة العصرية حيث سيطلع
العدد الاول • وصدرت الصحيفة : مجلة ادبية علمية اجتماعية • نصف
شهرية ، العدد الاول ، ثلاث آتات ، ١٦ صفحة حجم نصف جريدة : الاحد
١ جمادي الاول ١٣٤٣ ، الموافق ٢٨ كانون الاول ١٩٢٤ ، المدير : حسين
الرحال ، المحرر : مصطفى علي •

الجريدة او المجلة كما سماها اصحابها ذات رسالة تلتزم مقارعة ما لا
تراه صوابا وبث ما تعتقده حقا في اصلاح الحال والتطور قدما ولهذا فهي
تتسقط ما يناسبها من اقوال المفكرين لترين صدرها • واختارت لعددتها الاول
اناتول فرانس ، نسمى « مفسدين » كل من نشأت افكارهم على غير الصورة
التي نشأت عليها افكارنا ، و « عديمي الاخلاق » من ليس لهم اخلاقنا •
ندعو « غير معتقدين » من لا يعتقد عقائدنا ، غير ملتفتين الى ان لهم معتقدات
أخرى •

والقول ذو دلالة على ما هم فيه من عزم ومن مجابهة القوى المعادية
ومصادمتها ، بل ان المجلة لتعلن رأيها صراحة ، من دون تلفع بأناتول فرانس ،
منذ السطور الاولى من افتتاحيتها •

« تتقدم الصحيفة اليوم الى ميدان الصحافة لتقوم بما تستطيع القيام به
من الواجب تجاه هذه الامة الكريمة التي اتخذت رقيها واسعادها مثلها
الاعلى في هذه الحياة ، تصدع بما تراه حقا ، وتقول ما تعتقده صوابا ، وربما
شدت عن طريق سلكتها الصحف من قبلها فيما اذا اقتضى الحال لها ان
تشذ ، ستفرغ جهدها لتحقيق آمالها غير مبالية بما تعترضها من العقبات ،
منسهلة ومذلة ما يصادفها من المصاعب ، غير مكترثة بما يتقوله البعض
وما يتذرعون به للوقوف في سبيلها » •

وأول قاعدة يقف عليها الرأي الجديد هي التطور ، كل شيء ، يتطور
نحو الاحسن ولا بد من طلب التطور لبلادنا ولا بد من هز السكون ، ومن
هنا كانت المقالة الرئيسة بعد الافتتاحية بعنوان « التطور ناموس عام » ••

« كانت الفلسفة القديمة تعتقد بالاستقرار في كل شيء ، فتصوغ نظريات تعني أنها صحيحة في كل وقت وزمان ، ولا تزال تشاهد تأثير هذه الفلسفة على الأفكار السائدة في هذه البلاد فان معظمنا لا يزال يعتقد بالاستقرار لا في الامور الطبيعية فقط بل في الامور الاجتماعية ايضا ، في العادات والافكار ونظم .. وينتج من هذا اننا نعتقد ان اخلاقنا وعاداتنا القومية (كما نؤمن) وانظمتنا وطرز معيشتنا وقوانيننا ليست تابعة للتطور ..

وهذا اعتقاد غير صحيح طبعا ، اذ ان نظرة سطحية تلقى على تاريخ الانواع تثبت لنا ان هذه العناصر ليست ثابتة لا تتبدل .. »

وأهم عنصر مشلول في المجتمع هو المرأة ، وأهم ما شل المرأة الحجاب ، وكانت عقيدة أهل الصحافة في ضرورة السفور لا تتزعزع ، وهي من أكثر ما جلب عليهم البلاء ، وربما كانت السبب المباشر الذي نبههم الى ضرورة ان تكون لهم مجلة خاصة بهم ، فاذ دعوا الى السفور في الجرائد الاخرى وقامت الرجعية ضدهم أوعزت الحكومة بسد ابواب الجرائد في وجوههم وفتحتها واسعة في وجه اعدائهم . وكان « محمد سليم » يوالي - في جريدة العراق - حلقات الكتابة في « حالة المرأة الاجتماعية وطرق اصلاحها » واذ امتنعت الجريدة عن نشر ما يوصله اليها نقل الى « الصحافة » خاتمة سلسلته .

« ... يا اسيادي المعارضين اسحوا لي بأن أقول كلمتي هذه وهي : ان تطور المرأة واكتسابها حقوقها وامتيازاتها المغصوبة لكي تحتل محلهما المناسب من الجمعية العربية أمر مهم ولازم يحتم على كل وطني السعي في تعجيله وتسهيله ... »

فأول التدابير وأهمها ... كشف الحجاب تلك العقبة الكؤود التي تحول دون القيام بكل عمل او اصلاح جدي ، فالمرأة المتحجبة لا نستطيع ان تتطور وتكتسب موقعها الاجتماعي ...

لست ببال بسخطكم يا سادتي الرجعيين ذوي الاجتماعات المتواليبة ومشوقي بعض الاوباش من الناس الـ ضربنا او اهانتنا ! » .

وما كاد ينزل محمد سليم عن المنبر حتى صعد مصطفى علي .

« ... على قاعدة الخصومة الشريفة واحترام المبادئ دخلنا المعركة الادبية الاجتماعية التي دارت بيننا وبين الحجابيين الذين كانوا هم المذكين لنيرانها والمثيرين لعجاجتها .. وقد تذرعوا لذلك بذرائع شتى فتارة بخطبهم أيام الجمعيات في مساجدهم وطورا بالتجأهم الى الافتاء بتفكيرنا على منابر الوعظ واخرى بتحريض شذاذ القوم على ضربنا واهانتنا وقد نفذوا ذلك بأحد الشبان ، فقد كمن له البعض وضربوه ضربا مبرحا حتى اصبح طريح الفراش رهن المستشفى .. »

– ما كاد ينزل مصطفى علي حتى صعد عوني بكر صدقي .

« كانت الضجة العنيفة التي قامت بيننا وبين الحجابيين ضربة قوية على العوائد القديمة في هذه البلاد ، شعر منها المحافظون – لأول مرة – بانهيأ بانيانهم الادبي البالي فقامت قائمتهم بين مرعد ومزبد .. »

وتولى محمود احمد المدرس الحديث عن الحركة الادبية :

« لكل عصر اداب ، ولكل جيل ادباء ، هم زعماء الحركة الفكرية فيه .. العراق .. قطر يتحفز للنهوض .. الحركة الادبية فيه .. مشوشة مضطربة لم تنل بعد حثتها من الرسوخ .. ولئن كان في الامر عامل حقيقي لنا هو الا اهل ادبائنا – على قلتهم – وجسودهم على الارث الرث القديم .. »

وكتب حسين الرحال مقالة اخرى في ميدان التطور ، وكتب مصطفى علي (م . ع) مقالة اخرى في ميدان السفور .

وبدأت الاستعدادات للعدد الثاني ، وبدا ان لا بد من مقر خاص لادارة الجريدة يضم شغل الشباب ويجمع شأن الكتاب فكان ان استأجروا غرفة في الشارع العام (الرشيد) مقابلة لسينما الوطني ، وكان اوانهم قد تميز و « عقائدهم » قد عرفت وسبب لهم ذلك عنتا وتعليقات وسخرية . كانوا يقصدون الى الاصلاح الجذري في القضاء على التنايز الطبقي وفي

تنوير الذين خدعتهم الخرافات من كل نوع ... ويتوقون الى ان يحتل العراق مكانه من السعادة .

صدر العدد الثاني واختاروا لمكان الشعار من مجلتهم قولاً لهائنه :
« اينما ينشر كبير آراءه تنبأ رؤوس خبيثة تحاول اخماد صوته وتسعى في التكيل به » ..

وقولاً لنيته : « ليس للبشرية اذن صاغية لنعمة جديدة » . وساروا في الطريق التي بدأوها من التطور والتجديد وربما ذهبوا بالصراحة بعيداً عن هذا ..

وقد آمنوا بالهدم أساساً للبناء على لسان مصطفى علي :

« ... تقويض الماضي لنشيد لنا بناء قويا لانه هو العقبة في سبيلنا .. اذا .. نقضل التقويض لنشيد ما هو أرسى واثقن ولا نليل الى الترميم » ..

وتتصدر العدد الثالث كلمة لسن سيمون تعلن الصراع بين القديم والجديد : « ان العصر الذهبي ليس في الماضي كما يدعون بل هو في المستقبل ... » ويتضمن هذا العدد مقالة غير موقعة مصدرة بكلمة لفؤاد باشا : « يجب علينا ان نقبس كل شيء جديد ونافع » . وفي المقالة : « للقديم والجديد بين ظهرائنا صراع هائل ... سيظهر الثاني على خصه كما ظهر في نعصور الخوالي ... »

واذا كانت مثل هذه الدعوة قائمة لدى غير هذه الفئة من شباب الصحيفة فان هذه الفئة تتسم بالحساسية وبلوغ الحال لديها مبلغ العقيدة وربط مجبوع الامور باحدث ما وصل اليه العلم والفكر وبالعامل الاقتصادي حتى قد محمد سليم في مقال له بعنوان « الشعور المِلِّي - الاقتصاد المِلِّي » ستعرض فيه ما حدث في فرنسا ... « العامل الاساسي والمهم في ايجاد ذلك الانقلاب والباعث لحصوله لم يكن العلوم والاداب المذكورة وحدها بل هناك عاملا اخر اهم بكثير من تلك العوامل : ذلك هو تغير التنظيم الاقتصادي بتطور طرق الانتاج ... »

في العدد الرابع كتب (ن . ل) « اخلاق الاقطاعات » وقال : « ... أول شيء يجدر بنا ان نعلمه هو ان نجلب انظار القوم الى أن آداب الاكثرية هي التي يجب أن تحترم ... »

ويعود (ن . ل .) في العدد السادس متسائلا : « هل هناك عروق ممتازة » ؟

وتتوقف الصحيفة عند هذا العدد قبل ان يبلغ عمرها الشهر الثالث فقد تضافرت عوامل عديدة للاجهاز عليها والاطاحة بها ، فأغلق الشباب غرفته وودعوا احلامهم ولم تعيش مجلتهم العسر الذي انتظروه لها ولم يحققوا به الاصلاح الذي ارادوه لوطنهم في الفكر والاجتماع والادب والسياسة - وان لم يقربوا لفظة السياسة مباشرة - . ولكن جهدهم لم يذهب من غير ثرة واراءهم لم تكن على غير صلة فساهم الحلقة في بناء العراق الحديث ولم يكن قيام مثلهم بدعا في التاريخ كما لم يكن توقف صحيفتهم بدعا كذلك ...

وحاول بعضهم ان يمد في عمر الصحيفة فبذل الجهد في ذلك ولكنه ما كاد يستأنف الاصدار في ١٣ مايس ١٩٢٧ حتى استأنف التوقف بعد العدد الثاني ، ولم يكن لعدديه هذين ما للاعداد الستة الاولى من قوة ودلالة . حتى كأنهما لم يصدرا او كأن الاولى الا يصدرا وقد غاب في هذين العددين اسم حسين الرحال ومصطفى علي غيابا تاما ، ولم يكتب فيها محمد سليم وعوني بكر شيئا ذا بال ، وصال محمود احمد وجمال على غير أهمية تذكر .

اجل ، ماتت الصحيفة بعد العدد السادس وما كان لمثلها وفي الظروف المحيطة ان يعيش اكثر مما عاشت .. ولكن ذكرها ستبقى بمقدار ما حلت بالمستقبل وبمقدار ما يذكر الحاضر بها ، فليس سهلا ان تصدر « الصحيفة » في ٢٨-١١-١٩٣٤ ، وليس سهلا ان تقارب عمرها ثلاثة الاشهر .

سائلي عما يؤرقني ..

الجواهري عين ثرة تبدو غريبة في عالمنا .. وقد مرت أعوام دون ان تبجس قريحته ، فقال الكارهون : انتهى ! وقال المعجبون جدا ! واأسفاه ! وقال المعجبون فقط : انتظروا ..

وكانت العوامل تعتمل في نفسه من أقصى التفاهة التي تبدو عظيمة الى أقصى العظمة التي تبدو تافهة .. من الحاجة الى المال الذي يحل به مشكلاته اليومية الى الشعور بالعدم الذي يزيد الظلام ظلما .. ولو كان في براغ لكان في غنى عن مثل هذه المجابهة المكشرة عن انيابها العصل .. ولكن اين هي براغ !! ثم اسباب اخرى أكثر مباشرة ، نعرفها او يخليل الينا اننا نعرفها ، وينكرها او يحسب انه ينكرها ..

وتتلبد سساؤه وتزعزع ارضه ويضرب السالب بالموجب فيبلغ الشحن حدا رهيبا .. فيأرق ، كما ارق قبل عشر سنين ، وكأن لم يكن خلال هذه السنين ما كان من تاريخ حافل ، وما قيسة التاريخ لديه والتشاؤم عميق الجذور في نفسه ، وما يكاد ينام الظاهر حتى يستيقظ ما في الباطن ، وما يكاد الباطن يطفئ على براغ او بغداد حتى يبدو إزاء نفسه عاريا كما كان في النجف يعاني الحاجة والحرمان وضياح الفضل وعقد التقاليد والاعراف ويعالج ذلك بالعناد مرة وبالثورة مرة .. وانه لنفي هم عظيم كبر عن السؤال والجواب :

سائلي عما يؤرقني لا تسأل عني .. ولا تلم

حار ريعان الشمس ضحى وتمشى الثلج في الضرم

الشيخوخة ، الموت ، أن الجواهري الشاب ابدًا ، محب الحياة حتى تقشر ، يرى الحقيقة ازاءه سافرة : لقد شخت أيها البتار ، لقد ارهقت أيها لاعصار ، ولست أكثر من قشة يجرفها السيل العرم - يا للفظاعة !! الجواهري نبش بالنور ، مبصر الحب في عالم الضفادع ، ينظر اليوم - ولمرة ليست لأولى ، ولعلها الاخيرة - فيرى المرارة تنتصب بانتصار الظلمتين : ظلمة النفس

وظلثة العدم - اين كان عن الوجودية ، واين كانت الوجودية عنه ؟!

الجواهري الذي يفخر - ويطول فخره - بأنه صريح ، جريء ، يطنن اليوم الى انه ليس كذلك ، انه ليس جبارا ازاء الحقيقة الرهيبة انه يمثل دور الجبار ويظهر بمظهر القوي • ان هذا التبسم الذي تراه فتفسره بالعنفوان ان هو الا وسيلة الاعصار الذي طوي قهرا على الجسم • انه لون من الرياء يلجأ اليه من يريد ان يكون صريحا فلا يكون ، وهو ضرب من الضعف يلوذ من يريد ان يبدو متساسكا ، وهنا سر للارق الطويل يفتح عن سر أعرق • انه يارق اذا نام الناس ، انه في شغل شاغل عما يقال عنه ، وعما يقوله هو عن نفسه اذا اراد أن يحدث الناس بما يريدون ان يحدثهم به ، والا •• فما أوحش عالمه وما اقسى ما يعاني من اشباح هي واقعه الذي لا يعرفه احد سواه :

أنسا لي جنان من حجر ان يصبه الليل ينقسم
فاذا ما اطبقا أخذا تحت ظل الصارم الخدم
لوييء •• موحش دنس بالأفاعي الرقط مزدحم
وانبرت تلتف حولهما غابة مكتظة الاجم
ومن اين تأتية هذه الصور الرهيبة المفعمة بالحيرة النابضة بالاصالة لو لم يكن جنناه من حجر على الوجه الحقيقي ، وهو المرء الذي يعيش في الارق أكثر مما يعيش في الصحو ، ويجد نفسه في البؤس أكثر مما يجدها في النعيم ، فان وجدها في صحو او نعيم فقل ان هذين من ذينك !
- خيرا ، أبا فرات ، ماذا ؟ ولماذا ؟

- بل قل شرا ، فقد طغى الماء ودعا كل شيء الى الاعتراف بالضعف ••• انا الجواهري الأباء الشامخ ، انا اعرف بسر البلوى منك ، وان كنت قد عرفت قدرتي مبكرا فلقد زادت هذه المعرفة على مر الايام ، واذ بلغت الذروة وجدتي ازاء الحاجة وجهها لوجه ، ووجدت الحاجة تغلبني :

انا غير المرء تقرؤه من خلال الوجه والكلم

بسمات فجأة حجبت في قلبها غير مبتسم
تأكل الحاجات ضارية اكلة الجوعان من شمسي

أ يكون هذا ؟ اتلومني بعد هذا ؟ اما ترى كيف تقسم الحظوظ في المجتمع ؟ انه لامر عظيم وعقوق ما بعده من عقوق !! ولا تعجب اذا رأيتني - وأنا الجواهري الذي دان له سلطان الحرف وانسجم في كلمه جبروت الفكر ... انا ، ولابد من الصراحة - اذا لم يبق ازاء المرء غير الصراحة - انا اقصر من ان اجد ما يقوى على الاعراب عما يعتل في نفسي من حاجة ، وعما اجد في المجتمع من عاهة .. وليس العيب في ، فالامر جلبي لدي ، وانسا في الاداة ، وما يحيط بالاداة اذا اسفرت الحقيقة عن جوهرها ، اجل ، واني :

لم اجد في العود من وتر واحد يقوى على نغمي
- كأن البيت سطر من النثر لجأت اليه اذ داهك عسر الصراحة أو خشيت ان تتدخل الارادة في قصد القصيدة . والا فالفنان الكبير يستطيع أن يزيد في العود وترا جديدا يودعه نغمه الجديد ، وقد زدت هذا الونر منذ « سائلي .. » ورحت تساقيه النغم المناسب ، ولكل قصيدة عصماء وترها الخاص بها . ولعلك اذ بلغت :

شاء هم الناس احبـه فوق همي ان يـلا ث دمي
وأحاسيس انبشها كاتباش الدود في الرمم ..
شعرت بأن شيئا من الصحو يتسرب الى أرقك ، وأحسست بالخارج يدس أنفه .. حتى خالجتك الشك في أن تبقى الصراحة على نقائها .

ثم لم يلبث عنقوان الظلام ان سد الشغرات فعاد سيل الشعر الى مجراه بعيدا عن الترقب والتوجس .. فصفت الذي تريد ان تقوله باللباقة التي يبقى معها الشعر سحرا .. ولم ؟ صحيح انك في مؤلف الضائق بسا حملت نفسك من هموم الناس ، ولكنك معتر بهذا الحمل ، ولولا هذا الاعتزاز لما كنت في قلق لما ينتابك مما ينتاب سائر الناس فلا يقلقون ، كأنك اكبر منهم ، وكأنك تعلم ان الناس هؤلاء يعدونك كبيرا ويريدون لك ان تبقى كبيرا ...

وهنا . هنا المشكلة ، لماذا وانت منهم ؟ لماذا ، وانت تريد ان تعيش
كما يعيشون وتخطيء كما يخطئون ؟ وتزدحم الاسئلة دتنسى مفخرة « شاء
هم الناس » - كأنها طارئة - وتوغل في « واحاسيس انبشها » ولا تجد
وسيلة غير الاعتراف :

أنا يا من رحت تجهلني عبد مكذوب من الهمم
ولكنه اعتراف الانتقام ، حتى اذا قارب ان يكون ندما لان ، وليس
الاحتجاج فيه مسوح الرياضيات ، وشف المجد الخالد عن الحاجة العابرة
وتكشف الدائم عن اليومي :

يا حبيبي والى قمم بين مرجو ومفتهم
حاجة ريت فما امتنعت عشت منها اتقه القسم
وحويجات هتفت بها فسددن السمع بالصمم
وانزوت في النفس ثالثة بعدت شأوا فلم تثرم
لم ؟ أنا الجواهري احرم الاشياء ؟ لم لا يتهيا لي منها ما يتهيا لغيري ؟
تقول : انك شاعر نضال . واقول : احرام على شاعر النضال ان يعطي مناه ،
ان يعطي حقه في الحياة ، ان ينال ثمرة للنضال كما نال الآخرون من ناضل
منهم ومن لم يناضل فان كان نعيم فأين حظى منه ، وان كان نضال فاين
ارضيته ؟؟

وهنا . . هنا ، على بساطة المطلب ووضوحه ، يتعقد الامر ويصعب فهم
الجواهري على الناس ، فالناس يريدون من الشاعر ان يكون كذا وان يفعل
كذا . . ولا يتصورون انه انسان ايضا يريد ان يكون كذا وان يفعل كذا . .
- واذا ، فإذا يسكن ان تكون الحويجات ، بل الحاجة الثالثة ؟

- قد تكون سعادة البشر جميعا ، وقد تكون سعادة العرب وسعادة
العراق ، وقد عودنا الشاعر ان يطلب ذلك لانه شاعر للناس . . ويمكن ان
تكون اضيق نطاقا ، وان تكون شخصية ابتداء من المنصب والراتب العالي

والعيش الرخي وانهاء بعدد محدود من الدنانير يحل ازمة عابرة ويفرج كربا
ملما .. بان يلوذ ببراغ التي طالما انسته همومه وابعدهته عن ان يقف ازاء
صغائر الحياة وجها لوجه - من يدري ؟ وفي الايات ما يحتمل هذا او ذاك
... واشياء في نفس صاحبها .. ايقظته على عالم موحش من اوهامه الخداعة
وردته الى مجتمع كان هو من « اسلابه »

واذا كان الجواهري نسيب المتنبي ، وقال المتنبي :

وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
ان يستوي في الطبقة الشاعر والمتشاعر ، العظيم والخصيس ، فان حاله
اشد ، لانه في مجتمع - وبعد الف سنة - « يجلد العقبان بالرخم » وكأنه
يقترّب بذلك من السبب المباشر ولكنه لا يذكره لتفاهته اذا قيس بعظم الحال
التي هو عليها :

سائلي عما يؤرفني أنا من عبادة الصنم
وهنا يكون الشاعر قد قال كل شيء ، وتكون الموجة قد اقتربت من
الطرف الاخر للهوة ، وهو كالاول : شيخوخة وموت ، ولواذ بالبقية الباقية
من الفضل ، وهرب من النهاية بكل وسيلة ..
وبين هذا وذاك بيت يبلغ من البساطة ان تخاله سطرًا من النثر ، ويبلغ
من التعقيد ان تعجز عن لم اقطاره !

انا جئت الصبح مخترما علم ان الليل مخترمي
وهو يفسر ما صدر - أو يصدر - عن الجواهري من جد وعث ، وقوة
وضعف ، واقدام واحجام وماركسية واييقورية ورحلتي الصيف والشتاء
بين بغداد وبراغ ... ان الجواهري يفعل ما يفعل بما يفسره بالريسيس . لانه
يعرف أن العمر محدود ، وان الموت حق ، وقد كبرت الحال عن لائم او
خضم أو حكم ... وعن ان يأبه للستهم المشتط المفحش ..
اذا كان معنى الاخترام ان يأخذني الموت سريعا ، فلاخترم قبل ان
أخترم ، ولاأخذ سريعا قبل ان أأخذ سريعا .

لخص الجواهري بهذا البيت حاضره ، وربما لخص حياته كلها .
وكأنه لخص الحياة اذ لخصها ، وعرض ما يؤرق الانسان اذ عرض ما يؤرقه
... وتبقى المسألة - بعد ذلك - نسبا وظروفا تستدعي الظهور حيناً والخفاء
حيناً ، وتهيج الاعصاب مرة وتخدرها مرة - فلتكن حرباً على عوامل الفساد .
ولنبن عالماً مورقاً ، فالقبح يغري بالجمال بسقدار ما يغري الجمال بالفبح -
وقد تهيأ للجواهري ان يرى الحالين ، خيالا وحقيقة ، فكان ذلك من اسرار
ثورته .

١٩٦٣-٦-٢١

القصيدة منشورة في مجلة الاقلام

العدد الاول/السنة التاسعة

بغداد عاصمة من غير مكتبة وطنية !

خطت بغداد في امور كثيرة خطوات حضارية ، ويكفي ان صار فيها مضارب وصار مؤلفون .. اما القراء فهم من مفاخرها ، ومفاخر العراق .. ومن الممكن جدا زيادة عددهم اضعاغا ، وواجب جدا خدمة هذا العدد ، فخدمتهم خدمة البلد فكريا والنهوض به الى المستوى اللائق به .. الى جوار ما بلغته البشرية في مشارق الارض ومغاربها ..

وفي كل عاصمة من عواصم الدنيا المتحضرة وشبه المتحضرة مكتبة وطنية (عامة) ضخمة تضم الملايين من الكتب والالوف من الجرائد والمجلات والدوريات .. والمخطوطات . منسقة ، مجلدة ، ميسرة للطلاب مضمونة الموارد الدائسة الثرة مالا وكتابا ..

- فهل في بغداد التي تطمح الى ان تكون متحضرة ، او تطمح ، في أقل تقدير ، الى ان تصل الحاضر بالماضي وتزيد ، مكتبة ضخمة تضم الملايين ، مضمونة الموارد الدائسة ؟

- لا ..

- لماذا ؟

- هذا هو الذي يحار فيه العقل ، ومصدر الحيرة اننا منذ أكثر من نصف قرن نعمل على نشر الادب والعلم والثقافة ، ندعو وندعى .. ومع ذلك نقصر تقصيرا فادحا بأس من 'الاسس العلمية التي لا يناقش فيها عاقل مخلص .

منذ أكثر من نصف قرن شعر افراد من أدباء البلد ومثقفيه - وكانوا قلة - بضرورة قيام مكتبة عامة في بغداد ، واردفوا الشعور بالتنفيذ فاجتسعوا وتبرعوا واقتنوا ، فكانت نواة صالحة .. كان اللازم ان تنمو وتثمر وتزدهر

ولكن اللازم لم يحصل ، بل انك ترجع اليوم تبحث عن النواة فلا تجدها
- والاسباب معروفة جدا ، وانها من الوضوح بحيث تزيد الحائر حيرة
وتزعزع ايمان المهتدي ..

ولذا ، فاني اعيد السؤال عليك : لماذا ؟ فلقد عجزت عن الجواب ؟
وستعجز انت !

- اخشى أن تكون في البلد مكتبة وطنية وانت لا تدري ؟

- خشيتك هذه تزيد مدى القساوة . ويسكن ان تدفع الشك باليقين ،
وتقصد الى مبنى يحمل اسم المكتبة الوطنية ، وتدخل وتشاهد الحال بعينك
وتعالجه بفكرك .. ولا بأس في ان تذهب الى المدير وتسأله ، فقد يختصر
الطريق عليك ويقول لك أن هذا « الحوش » الذي دخلت اليه ليس مكتبة ،
وربما استغرب سؤالك كأنك لست من أهل هذه البلاد ولم تستدل من البناية
وحدها على غياب المكتبة !

ان الكتب القديمة مزقة ، المفقود اكثر من الموجود ، الباقي لا خير فيه ،
لا ميزانية للمكتبة ، انها تعتمد الهدايا ، منذ كذا وكذا من السنين لم تشتتر
كتبا ولم تصرف لنا قائمة وحقائق اخرى يشتغل لها الرأس شيئا !

منذ أكثر من نصف قرن وبغداد من غير مكتبة وطنية وبلغت الحال من
الاهمال اقصى ما تبلغ ، وليس معقولا ان يخفى الامر على احد ، اما يكفي
ان اللوحة التي تحمل اسم المكتبة الوطنية مجازا تقوم على واجهة بيت شيد
للمسكن ، انتقلت اليه كما ينتقل الرجل الذي لا يملك دارا بعقد للايجار
والاستئجار ، لقد شيدت بارييس - مثلا - مكتبتها الوطنية - في القرن السابع
عشر ، وهي الى الان قائمة .. استوعبت الملايين التي امتلكتها على مر السنين
.. - فاين نحن من القرن السابع عشر ؟ ولم لا نبدأ منه لكي نصل بعد ثلاثة
قرون الى مستوى القرن العشرين .

واذ يبلغ الامر هذه الدرجة .. لم يبق عذر لمعتذر ولا يسكن ان
يتوانى عن علاجه طالب اصلاح ..

وهكذا •• كان قرار سليم بتشديد بناية جديدة خاصة بالمكتبة الوطنية،
على أحدث طراز ، وبسعة تستوعب عددا كبيرا من الكتب والمجلات •
سدها - ولابد من ان يؤخذ التوسع خلال القرون المقبلة بنظر الاعتبار - ساحة
حديثة ، ويشدها اساس متين - أو هكذا يجب ان يكون - اعد ليطبق ادوارا
ضافية كلما دعت الضرورة ••

تلك هي قائمة اراء وزارة الدفاع بين شارعي الرشيد والجمهورية ،
انعمل في التشييد مستمر ، وقد اتخذ البناء هيكله واقترب من صورته
النهائية •

وهذا جميل وحسن وسار وباعث على التفاؤل ، ولكنه جزء من كل ،
والا ففي بغداد بنايات كثيرة مشيدة - أو في طريق التشييد - يمكن ان تمر بها
واقول لك : انظر هذا البناء الضخم ، انه يعد للمكتبة الوطنية ، وتداخلك
البهجة مؤقتا وتمضي في طريقك •

ان قيام هيكل البناء يجب ان يقرن بعمل عاجل ، والا بقيت بغداد من
دون مكتبة نصف قرن اخر ، أو اكثر ، بل ان البناء الضخم الخاوي الوفاض
سيفضح الامر ، ويفتح اضارته ويعرضه لمن لم يكن منتبها اليه •

وهذا العمل العاجل - وأرجو ان نكون قد استبقناه واعدنا له العدة ،
فكان له مكان خاص من نظام المكتبات ، ومكان خاص من الميزانية العامة
وعائدات النفط وخطة التنمية ••

العمل العاجل •• ان نهى منذ الآن الروح الذي يمازج الجسد ، والمخ
الذي يسأل الجمجمة والقلب الذي يحيي الققص الصدري •• حتى اذا انتهى
البناء كان كل شيء على اتم استعداد وما على الشعب الا ان يرتاد المبنى الجديد
في ظل اللوحة الجديدة وازاءه ملايين الكتب والاف الجرائد والمجلات •••
والمخطوطات ومصورات المخططات والمطبوعات النادرة ••• من كل نوع
وفي كل لغة وفرع من فروع المعرفة الانسانية ••• كما يجب ان يكون الشأن

في مكتبة وطنية في عاصمة ناهضة تطمح ان تعوض عن نوم عسيق وخيانات
تاريخية وتلكؤ غير مشروع وجهل مارسه عالمون ...

العمل العاجل : الجد والسهر والمثابرة على اقتناء الكتب والاشترائك
بالمجلات .. من البلاد العربية كلها ... اليس عيبا ان تخلو بغداد من صحيفة
تصدر في السودان وكتاب يصدر في الرباط ومخطوطة عربية في تونس؟! ،
ومن العالم كله .. اليس غريبا ان تدخل جرائدنا ومجلاتنا وكتبنا المكتبات
الوطنية في العالم .. ولا تدخل مكتبتنا جرائد العالم وكتبه وصور مخطوطاتنا
لديه !

العمل العاجل ، ان يخصص مبلغ محترم وتؤمر لجنة بصرفه عاجلا على
أقتناء الكتب والمجلات والمخطوطات ... ولها ان تحصل على ذلك بالاساليب
الطبيعية العاجلة .. تطلب ، نسافر ، تعلن ... ويأتي على رأس الاعلان ،
الاستعداد التام لشراء المكتبات الخاصة باي ثمن ، ففي هذه المكتبات الخاصة
ما يستحيل ان تجده في مكان اخر ، من مخطوطة شينة ، ومطبوعة نادرة ومجلة
صدرت يوما ما ولم يسلك اعدادها حتى صاحبها او ورثته الشرعي ... ان
المكتبات الخاصة وحدها تعوض - في حدود واسعة - عما فات ، انها مكتبات
علماء أو هواة عرفوا ما يقتنون - ولا قيمة للسأل إزاء كنوز المعرفة ..

العمل العاجل ، ان تخصص منذ الان قاعة - بل قاعات - تكون كخلايا
النحل تعد العمل في طلب الكتاب واستيراده وتجليده وتصنيفه : هذه الغرفة
خاصة بالفلسفة وفروعها ، وهذا بالدواوين .. وتلك بالمجلات العلمية الخ الخ
حتى اذا تم البناء ، انتقلت اليه الكتب من هنا وهناك في سرعة وانتظام ..
ويؤذن في الناس ان ادخلوها بسلام آمنين ، فيها كتب قيمة ...

اما المكتبة الحالية فتترك حيث هي ، مكتبة حي الوزيرية شأن مكتبة
الاعظمية والكاظمية ... وما يجب ان تكون عليه الحال في احياء بغداد
الاخري ... ومدن العراق واريافه بعد عناية خاصة وجد واخلاص وتقدير
للموقف وايمان بالعلم ...

يدخل الباحث في الاجتماع فيجد ضالته ، والباحث في الفضاء فيجد
نشدته ... والساعي الى تحقيق كتاب قديم فيسد حاجته ... كل شيء لكل
شيء ... ميسر ومسهل •

ان في البلد خمس جامعات ... فلم لا تعد المكتبة الوطنية جامعة سادسة ؟
وقد يستطيع ان يستغني عن جامعة من هذه الجامعات الخمس - وهي في
طريقها الى ان تكون ستا - ولكنه لا يستغني - لدى الدقة - عن المكتبة الوطنية
الصحيحة •

- فهل فعلنا ذلك ؟

- لا أدري ...

- ان كنا فعلنا فخير على خير ولتعتبر هذه الدعوى «لاغية» ، والا فعلينا ان
نشرع منذ الان ، وليس في الامر استحالة او صعوبة ، وما هو أكثر من تخصيص
المال اللازم واناطة الامر بيد عارفي معنى الكتاب وفضله ... واذا كان ولا بد
فسؤال لمكتبة الكونكرس وسؤال لمكتبة لنين ، أن كيف هيأتم - يا جماعة -
هذه الملايين من الكتب مما مر ببال أو لا يمر ؟ فليس عارا ان نقيّد من تجارب
آخرين !

اننا نطمح الى ان نبلغ اعلى المستويات ... وإن وراءنا من التراث المكتبي
ما لم يكن لامة من امم العالم ، منذ بابل واشور ... وبغداد وقرطبة ...
جل ، والا فاخشى ان تمر اكثر من خمسين سنة اخرى تكون فيها النهاية
كالبداية ويظل المبنى الضخم من غير كتب ... اخشى ، وارجو ان اكون
مخطئا •

٢٦-١١-١٩٧٤

« المقالة » و « الرثاء »

نرجع الى أقدم المقالات في تاريخ النوع الادبي فنجد في جذرها « الذات ، ذات الكاتب - متوغلة في القلب والعصب ، ولتر النور بعد ذلك ، عن طريق الذهن او العين على الوجه الذي تختاره ... ثم لا بد من شرط القصر واستكمال مدى الانفعال وعالم الخاطر في عدد محدود جدا من الصفحات . وتخف الحال - خلال ذلك - أو تعنف ، تمتد او تقصر تأخذ طابعا من القصص حيناً ومن الرسم حيناً ... وتقترب من القصيدة الوجدانية في أغلب الاحيان أو كلها . فاذا جفت خرجت عن حدود النوع واذا طالت خرجت كذلك . وليس صحيحاً ولا معقولاً ما أراد لها العقاد ان تكون كتاباً ملخصاً ، ان الكتاب الملخص او الملخص الذي يمكن ان يكون كتاباً ليس من المقالة في شيء ، وان كان ، فهو من المقالة التعليمية وليس من المقالة الفنية التي صار النوع بها نوعاً ...

لقد مرت منذ القرن السادس عشر ، منذ موتيني في مد وجزر ، وكانت الصحافة عاملاً رئيساً في اقامة مجدها وتأصيل كيانها ... ثم وردت الى الشرق العربي الحديث فيما ورد عن الغرب من أنواع ادبية ونظريات ونظرات . وازدهرت حيناً ، وكانت مجلة « الرسالة » أنموذج المجلة التي اقترن اسمها بالمقالة واقتترنت المقالة باسمها ... وصار للمقالة في الادب العربي الحديث مكان مرموق يؤهلها الى أن تدرس دراسة أدبية مستقصاة تثبت التطور والسمات ، وعوامل السعادة فيها او الشقاء ... مع وقفات خاصة جداً لدى أعلامها .

ويسير الزمن ، واذا الغالب على المقالة بل الطاغى مفهوم العقاد ، وتستحيل ضرباً تعليمياً فقط ، ليس له من الادب الا ما يجب ان يكون لكل شيء مكتوب ، فلسفياً كان أم علماً صرفاً : سلامة اللغة وتماسك الفكر ووضوح الفكرة

وايصال الرأي أو المعرفة الى عقول الآخرين كما يوصل الاستاذ مادته الى طلابه
في قاعة الدرس •

قد يكون العامل المباشر في ذلك عامل العصر ، عامل السرعة والحاجة
المباشرة وضيق الوقت الذي يحول دون قليل من التأني وقليل من الماء
والرواء ، فالكاتب يريد ان يوصل مادة او فكرة ، والقارئ يريد ان يتلقى مادة
أو فكرة ... انه العصر المأزوم الذي لا يقوم على أسس حضارية انسانية ،
مفرقا الفرد من ابنائه بحاجاته الحيوانية ومشكلاته التافهة ...

وعوامل اخرى ...

وكتب العراق ، منذ العشرينات ولدى قيام صحافته ، مقالات كثيرة
تظهرها نظرة سريعة الى جرائده ومجلاته : العراق ، الاستقلال ، صوت
الاهالي ...

ولكن مقالاته لم ترق - في جملتها - الى المستوى الفني الذي بلغته
المقالة المصرية او المقالة اللبنانية - المهجرية فهي اما ان تكون صحابة واما
ان تكون عقلية ... لاسباب منها ما يعود الى المفهوم الفني للنوع ، ومنها
ما يعود الى ان الذين زاولوا النوع لم يكونوا ادباء انشاء في صلب مواهبهم
وأغراضهم ، أي لم يكونوا شعراء ... ولا غرو ان كان الجواهري بينهم
كاتب مقالة الى جوار كونه الجواهري الشاعر ...

ولا نعدم ومضات ... وكادت - يوما - ان تستحيل السياسة مقالة
فنية ، ولكنها لم تستكمل شروط النمو والديومة ...

ودخلت في الستينات - على وجه الخصوص - عوالم شعر الستينات
وقصصه ومفهوم أقلامه من التهويم والاغماض حتى كادت تصوير فنية فقط
وليس كينوتها كذلك مدحا لها او حياة ..

واليوم ...

وتعود اليوم تستعرض ما بقى في ذهنك من خير المقالات العراقية المعاصرة
مناسبة من مناسبات الرثاء • مناسبة ما نشر يوسف الصائغ وهاشم الطعان

في شاذل طاقة ، من مقالات لها الشرائط اللازمة في قاعدة النوع الادبي :
الانفعال من دون عويل ، التصوير من دون جفاف ، التألق اللفظي من دون
مبالغة ... الحوار كأنه المناجاة ... ثم التماسك من غير تسلسل منطقي ،
حذف الفضول ومسح الالتواء اللذين لا تقرأها هندسة الذوق .

تقول هذا لانك قرأت مقالات اخرى في الحادث نفسه فوجدتها صحافة
أكثر منها شعورا ، وواجبا مهنيا أكثر منها انبثاقا عن الذات ونبعاً عن
الالفه .

وفرق بين مقال صحاب tapageur ومقال أليف intime
ويبدو ان لا بد - هنا - من اللفظتين الاجنبيتين ، وأن الالفه وما يتبعها من
همس وحنين ورقة عصرية شرط في المقالة الناجحة .

تعود ...

- فما الذي بقي في صندوقك يا ذاكرة ؟
- مقالات كتبت في حسين مردان ، منها مقالة ليوسف الصائغ ...
- يعنى في الرثاء وشرط الالفه ؟
- وماذا قبل ؟
- مقالات كتبت في مصطفى جواد ومنها مقالة ليوسف الصائغ ..
- يعنى في الرثاء وشرط الالفه ؟
- في الرثاء وشرط الالفه ... ولم لا تزيد شرط الشعاعية التي لم تسلك
طريق القصيدة ؟

- أزيد ...

- وماذا ؟...

- مقالات كتبت في ذكرى بدر شاكر السياب ، منها ما كتبه رشدي
العامل ومنها ما كتبه نزار عباس - وكلاهما شاعر يزاول الاول الشعر قصيدا
ويزاوله الثاني قصة ...

ويغيب عبدالمجيد الوندأوي وتكتب مقالات منها واحدة لرشدي ..

ولو لم يُدرِ سعدي يوسف كلمته على أساس الخطبة والايصال الشفهي لجاءت
مقالة أيضا ...

هذا الذي في ذاكرة واحدة ، ويمكن أن يكون نفسه وزيادة في ذاكرات
أخريات ، وهو يؤكد تفوق المقالة العراقية في ميدان الرثاء ، وانه اذ يدل
على هذا ، يستجمع للتجويد عناصر المقالة الخاصة التي يمكن ان تكون عامة :
الانفعال من دون عويل ... والشاعرية التي هذبتها حضارة الفكر والفن .

ويبدو ان المسألة ليست عراقية ، فانك اذ تسائل نفسك عن مقالتين بقيتا
في ذاكرتك من المقالة العربية الحديثة لعلمين من اعلامها ، يأتيك الجواب
انهما : « الدفين الصغير » للسفلوطي و « ولدي » للزيات ، ولو راجعتم
قصائد الرثاء العربي القديم برزت ازاءك قصيدة ابن الرومي في ولده وقصيدة
الطغرائي في زوجته ... وعلى الاثنتين طابع من المقالة الفنية .

– لقد ضيقت مجال المقالة اذ حصرتها – او ربطتها – بالرثاء !

– لا ... وليس قاعدة ، ولا ما هو كائن دائما او ما يجب أن يكون
... ولكنه ظاهرة قائمة فيما نحن فيه ، وقد جهزنا بسبات للسقالة الناجحة ،
يسكن نقلها من الحزن الى الفرح ، ومن الانقباض الى الانبساط ، ومن المجتمع
الى الطبيعة ، الاصل واحد ، وتبقى المسألة مسألة تهيو ومسألة فرحة غامرة
تعدل – كما وكيفا – الترحة الطاغية ... ولا يستحيل أن تنتهي هذه الحال ،
فهي رهن بسجتمع يوحى بالنشوة .. واننا لشدة مالقينا من بؤس وحرمان
وجذب تطير بنا أقل بسمة كالبيداء تهش لقطرات من المطر ... ولا أدل على
ذلك من مقالتين أدبيتين نشرتا حديثا جدا واحدة لفائز الزبيدي – وهو
شاعر أيضا – وقد حضر احتفالات بالعيد المئة والخمسين لشاعر انسان فاستطال
عره معجبا متعجبا ، وثانية لرشدي – رشدي أيضا – وقد امتلأ ثراء وغبطة
ندى قراءة كتاب فاته أن يقرأه في حينه .

لم تعد المسألة – اذا – مسألة رثاء ... بقدر ما هي مسألة شاعرية تتخذ
مقالة نافذة ...

البصير مؤلفاً

ما بين ٢٤ حزيران ١٨٩٥ وفجر ١٩ تشرين الاول ١٩٧٤ حياة حافلة بمعاني العمل والقول ، والدراسة والتدريس ، والخلق المتين والوطنية التي لم يكدرها ضر من اضرار الدنيا ... والتأليف والنشر ... والفكر المخلص ..

وقد زاول التأليف وهو شيخ ، فاصدر مجموعة من شعره (وثرده) سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) باسم (المختصر) ومجموعة سنة ١٩٢٢ باسم (الشذرات) . واذ خاض ثورة العشرين وعرف اسرارها وخبر احوالها حفظ ذلك للاجيال منارا وعلى الزمان دليلا فالف المصدر الاولي الاصيل لها : « تاريخ القضية العراقية » - صدر في جزئين بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ - فلقى من النجاح ما هو أهل له - كان يظهر على هيئة ملازم يعاد طبع الملزمة الواحدة من الملازم الاولي مرارا .

ثم اصدر سنة ١٩٢٥ مسرحية قصيرة بعنوان « دولة الدخلاء » ومجموعة من الكلمات والمقالات سماها « النفثات » في جزئين .

ولم ينقطع عن الكتابة .. واختير للتدريس في جامعة ال البيت يلقي محاضرات في الادب العربي ، وتكون لديه - بهذه المناسبة ومناسبة ما كان يصدر من كتب في الموضوع يختلف معها في الرأي مثل كتاب الدكتور طه حسين عن « الشعر الجاهلي » ... - كتاب خاص عن الشعر الجاهلي .. فكر ان يكون موضوع رسالة للدكتوراه اذ اختمرت في ذهنه فكرة الدراسة العالية ..

وينشر خلال ذلك في الجرائد والمجلات .. ويسهم في التأليف المدرسي .. ثم قاربت فكرة الدراسة العالية بتحقيق ، واقام في مصر - قليلا - في موضع اكرام وتكريم .. يتصل ويناقش .. ويتلقى مباديء اللغة الفرنسية ..

رحل بعد ذلك الى فرنسا يحمل معه مادة وفكراً عن الشعر الجاهلي ولكن المستشرقين كانوا - آنذاك - على قبة ضلالية في انكار الشعر الجاهلي، وكانت قيادتهم في القمة من معاداة الوثنين الذين اشتغلوا بالسياسة لخدمة وطنهم حرباً على الاستعمار .. فتوى الفكرة وراح يبحث عن موضوع « فرنسي » وجده فيما لا يخطر على بال . بسا في ذلك بان القارئ الفرنسي او الباحث الفرنسي .. لان كورني شاعر مسرحي كبير ، اما ان يتقدم طالب ليدرس « غنائية كورني » فتلك التفتاة تحبل مسؤوليتها . وقد تحملها ونجح وطبع الكتاب في مونبليه سنة ١٩٣٧ باللغة الفرنسية وظل كذلك ، ويبدو انه سيبقى ، فلم يكن في رأي مؤلفه ان يترجم الى العربية لان القاعدة التي قام عليها هي اشعار كورني ، وهي لا تعرف تمام المعرفة الا بلغتها الفرنسية .

وعاد ... وعين استاذاً للادب العربي بدار المعلمين العالية وانصرف الى المراجعة والدرس .. والمحاضرة في الاذاعة بين الحين والحين ، والكتابة في هذه الجريدة او تلك المجلة .. وترجم للامرتين قصيدتين وشرع يترجم « جريسة سلفستر بونار » و « أميل » ولكنه توقف . ولاسيما عندما رأي ان وزارة المعارف غير جادة في تبني المشروع .

ان ما يشغله هو واجبه الاول في تهيئة المادة لطلابه . ولكنه - وقد عرف معنى التأليف العلمي والبحث الاكاديمي ، ولما عرف عنه من قوة الارادة والشعب من الشهرة - قرر التأني ، في التأليف ، والتريث . وليقل ازاء ذلك الذين يختلقون الزلات ما يقولون ، ان المهم ان تؤلف كتاباً ترتضيه فيه شخصيتك وفيه فكرك وتقدم للقارئ جديداً اصيلاً وليس المهم ان تلقي في السوق كتاباً ني كتاب .

كان يعد المحاضرة ويلقيها ويعيد التأمل في مادتها وفكرتها ويعيد اللقاءها ستة بعد سنة .. واذ شرع بالطبع . شرع يطبع - أولاً - محاضراته في الاذاعة عن « الشعر الجاهلي » فصدرت سنة ١٩٣٩ ومحاضراته عن « نهضة العراق لادبية في القرن التاسع عشر » فصدرت سنة ١٩٤٦ .

وبداً - بعد ذلك - طبع دروسه بدار المعلمين العالية - فصدر « عصر القرآن » سنة ١٩٤٧ و « الموشح في الاندلس وفي المشرق » سنة ١٩٤٨ و « في الادب العباسي » سنة ١٩٤٩ •

وتتميز هذه الكتب بالاصالة في الرأي والامانة في النقل والاقتصاد في الكلام • ولو هئىء لها ان تخرج عن دار المعلمين لكان لها شأن آخر - وقد لمسنا اطرافاً من هذا الشأن عندما وصلت الى باحث منصف او مستشرق نزيه •

وصحيح ان « عصر القرآن » و « في الادب العباسي » اعيد طبعهما سنة ١٩٥٥ ولكن هذا لم يوسع الدائرة ، فقد بقيت حيث هي من حدود دار المعلمين العالية ••• ولن تبقى كذلك فلا بد من ان تأخذ الحقيقة مجراها وتبلغ مداها •

وكان يتم عمله في دار المعلمين العالية بنشر مقالات بحث ذات صلة مباشرة فهي مرة عن ابن هانيء ومرة عن ابن زيدون ••• واخرى في الرد على أحمد أمين •• واخرى عن عبدالمحسن الكاظمي •• وينشر الى جوارها مقالات توجيهية يضمنها شطراً من خبراته التي كونت اراءه • واجتمع لديه - من ذلك - قدر صالح اعده للنشر واختار له - ولما سبق ان كتبه قبل هذا التاريخ أو خطب به - اسم « سوانح » •

وكان اهتمامه يتعدى دار المعلمين العالية الى الوطن والامة والعالم •• متأملاً فيما يلاقى او يسع ، وتكون لديه الاذاعة فقرة مهمة جداً من منهج حياته اليومي ، وتكون مادتها مادة مهمة لاثارة الفكر والمناقشة •• والحكم •

ويستخلص من كل حادثة هزاة وخبر مثير حكماً يركزها في كلمات معدودات •• وكان يفعل هذا منذ أيامه الاولى وقبل ان تكون فرنسا في حياته وتكون دار المعلمين العالية •• وقد بوب الذي صح لديه واعده للنشر باسم « خطرات » •

أما شعره ، فقد اجتمع منه لديه ما يؤلف ديوانين ، اعدهما للنشر لدى أول مناسبة ، وكتب لاحدهما مقدمة عن حياته بعنوان (الرجل المجهول) وكأنه استشعر حيفا واحس ان الذين يعرفون حاضره لا يعرفون ماضيه .

سمى هذا الديوان « زبد الامواج » وهو يضم شعره في شتى المناسبات الخاصة والعامة . اما ما قاله في ثورة العشرين فيؤلف وحده ديوانا هو ضرب من التاريخ لها وقد اعدده للنشر باسم ذي دلالة : البركان .

وبقى بانتظار فرص الطبع ... ونشر في أول فرصة (أي في سنة ١٩٥٢) الجزء الاول من « خطرات » وفي الثانية (أي في سنة ١٩٥٩) البركان ، وفي الثالثة (سنة ١٩٦٧) الجزء الاول من « سوانح » .

وظل ، وهو يفكر في طبع المعد للطبع ، يأمل اعادة طبع ما نفذت نسخته من مؤلفاته ، وقد تهيأ له ان يعيد « في الادب العباسي » في طبعة ثالثة سنة ١٩٧٠ ولم ينتهيا ان يعيد طبع « عصر القرآن » أو « تاريخ القضية العراقية » .. وهو يلمس الحاجة الى ذلك .. لقد باتت « القضية العراقية » مصدرا نادرا جدا ومن الناس من اغار عليها ومنهم من يهيم بطبعها ، ثم إن في كثير من هذا الذي يصدر على انه تاريخ للثورة العراقية خطأ كثيرا ومجانبة للواقع كبيرة ... وربما دخلها ما لم يكن في يوم ما فيها ..

وكان مطمئنا ان « البركان » خرج خالياً من الخطأ ، فقد كان يقف على التصحيح الاول .. الا انه هاله ذات يوم وهو يراجع احدى قصائده ما لحقه من خطأ مرة في الوزن ومرة في تغيير كلمات ومرة في تبديل معنى ... هاله وارقه ولعله اصلح ذلك في نسخته الخاصة .. لقد جعلته الحال يتسنى اعادة الطبع سليما .. حفظا لحقوقه الادبية - في الاقل .

اما الخطرات فقد ازداد عددها فصرف التفكير عن طبع جزء ثان لما صدر منها وقر القرار على توحيد ما نشر وما لم ينشر وما استجد في كتاب جديد ، واعد الكتاب هذا في اخر صورته ، وكان اقصى امانى المؤلف ان يقدمه سريعا

للطبع ولكن غلاء الاجور وغلاء الورق حالا دون ذلك لقد كان في اخر ايامه يولي « خطرات » اهتماما خاصا وكأنها اعز ما لديه •

ورجاء كثيرون ان يكتب مذكراته ، فحياته حافلة ، وعلمه غزير وقلمه أمين •• ولكنه لا يستجيب •• واذا كثر الطلب رأى حلا وسطا ، فيه ما يرضي الطالبين ويجنبه ما يريد ان يتجنبه ••• وشرع يكتب فعلا في موضوع « من أنا » واكبر الظن انه فارق الدنيا وهو في اول المشروع ••• وقد رأينا اطرافها من اهمية الرجل في تاريخ العراق في المقابلة التلفزيونية المعروفة •• ويسكن ان نرى اطرافا اخرى في الحديث المسهب الذي ادلى به الى الاذاعة •

اما الذي اخذه معه من علم وتجربة ومحفوظ فلا يسكن ان يعوض ، لانه مضى مع حافظته الخارقة ، وذاكرته العجيبة ••• وفكره المخلص •

٢٨-١٠-١٩٧٤

طبعت وزارة الاعلام - بعد وفاته
الجزء الثاني من « سوانح »
وجمعت بين البركان وزبد الأمواج
في ديوان واحد •

حماسة الشبيبي . . رسالة وتطبيق

(١)

في مطلع العصر الحديث ، ولإطلاع لبنان ومصر على الفكر الغربي أدبا وفلسفة وثورة ، ولما كانت عليه الاوطان العربية من هوان والامة العربية من تمزق ، ولما كان عليه الاجنبي من جشع واستبداد وبهتان لذلك كله ولا مثاله ، تنبّهت الشبيبي العربية وتيقظت ، ونظرت مليا فرأت ان عليها واجبا محتما ان تخدم الوطن والامة ، وان تنقذ المجتمع العربي من الاستغلال والتأخر ، وان تهيب لهذه الامة المكانة اللائقة بها - ونسا الشعور وتأملت الجمعيات وصدرت الصحف . وكان على دأب فيه شرف وصدق واستعداد للتضحية ، وشملت هذه الروح ميادين شتى كان الشعر في طليعتها .

وكان - فيما كان - لهذه الامة الراكدة التي شرعت تنفض غبار الزمن شعر ، وشعر كثير ، هو من أبرز سمات حضارتها ان لم يكن أبرزها ، وتنظر في هذا الشعر وما آل اليه ، فتعجب ، انه استحال صناعة لفظية وتكسبا رخيصة في كلام موزون مقتضى ، والشاعر يعترف بهوان مقامه قبل ان يهينه الآخرون .

هذا هو الغالب ، وان وجدت هنا وهناك ، وهنا في العراق على وجه الخصوص من القصائد ما ارتفع عن مستوى اللعب اللفظي وما لم يهدف الى أخذ المال من أي يعطيه .

ولكن هذا شيء ، وما يجب أن يكون عليه الشعر الحديث شيء . وقد صار من مهمات الفكر الادبي او النقد الادبي محاربة الصناعة اللفظية والدعوة الى فصاحة الموروث ومئاته ، وكان للعراق في هذا أكثر من حظ . وهو اذ تلقى الدعوة من خارجه ، فان في داخله مادة لم تنهيا للاخرين ، وحسبه هذه الكوكبة من شعراء القرن التاسع عشر وفيهم الجبوبي والسيد حيدر

ممن لم يكن للاقطار العربية مثلهم شاعرية وديباجة واكتنازا للارث ، وهؤلاء الشعراء موصولو الحبل بهيار والشريف الرضي ... والمتنبى وكبار شعراء العصر العباسي .

وألف هؤلاء الشباب أن يربطوا شعرهم بوال او خليفة او خديوي ... وهي الفة فيها قسط موروث ، فلم يعرف شعر القرن التاسع عشر هذا الارتباط المباشر بالحكم .

وهذا حسن . ولكن المطلوب من الشعر الحديث أكثر منه ، أن يسهم مباشرة في فضح الطغيان وفي ايقاظ النيام وفي رسم الهدف الى الحياة الكريمة .

وتلقف الشباب هذا الهدف ، ولم يناقشوا فيه ، بل انهم وجدوا به معنى للشعر ينقذه من نظرة استحسنت في استصغاره واستصغار شأنه وشأن حيلته ... وليسخط ، بعد ذلك ، من يسخط ممن الفوا الاشياء ميتة وانتفعوا بذلك الموت من ادباء ورجال سياسة وأصحاب اموال .

ويكنفي أن تقرأ في أي ديوان حديث وفي أي مجموعة ومختارات لترى انجانب الوضع القومي غالبا فيه يتسم بالحدة والقوة والصدق . وكان لا بد لشاعر من ان يخوض فيه . أو في شأن من شؤونه والا استشعر الخيانة في نفسه . تلك كانت مهمة الشباب اليقظ المتنور المتجدد ، وهي مهمة شريفة ولا بد منها قبل الانتقال الى مهمات أخرى ، والمهمة — في الشكل الذي كانت عليه — جديدة على مجبوع الشعر العربي الذي أخذ منه المديح والثناء والهجاء في طول تاريخه مأخذاً لم يسمح الا بنفثات تخرج صادقة عن دائرة التكسب ثم انه لم يسمح لغالب هذه النفثات بالبقاء .

المديح ، صار تمجيذا للمجيد من تاريخ الامة العربية ، وتمجيذا للنوحدة والاستقلال والعلم ؛ الرثاء ، صار ذكرى حزينة لماض مجيد ، وألما لحاضر غير مجيد ؛ الهجاء صار ذما للسلطان ولمن كان على شاكلته من غير العتائبين ؛ وقد يختلط الهجاء بما آل اليه الرثاء فيسجل تقريرا للغافلين ، ويسجل التقرير استنهاضا تملأ الحسرة منه الكلمات الحادة والتعابير النفاذة .

وتقول من أين لك هذا ؟

- وأستطيع أن أدلك على أكثر من مصدر وأكثر من ديوان • ولكني أدلك على أقرب مصدر ثقة اخذت عنه وآخر مصدر بين يدي ، الا وهو ديوان الشيباني •

فتفتح هذا الديوان ، فتقع على المقدمة التي كتبها له صاحبه ، فتقرأ فيما تقرأ :

« تألفت هذه المجموعة الشعرية خلال مدة لا تقل عن الثلاثين سنة كان الشطر الاول منها حافلا بالحوادث الجسيمة ، اتجه الناس فيه اتجاهها جديدا لم يسبق له مثيل ، ومالوا الى الاهتمام بظواهر التقدم والرقى على اختلافها ، وذلك بسجرد اعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦م - ١٩٠٨م ، وقد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة الى مجاراة الامم الناهضة ، الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال ، وحاول الادب أن يثل الحياة ، وذلك في مختلف صورها الضاحكة والبكية ، وشتى مظاهرها المشرقة او الداخية ... »

ان كتابة هذه السطور وصفا لتاريخ صار ماضيا قد خفف من الحقيقة، لان الحال كانت أقوى واشد مما وردت في هذه السطور ، وانك لو اجد دلائل القوة والشدة في شعر الشاعر نفسه ، والشعر الذي قيل في المناسبة نوعى لابعاد الظرف من الذاكرة •

الشاعر الحديث اذن ، لم يعد الشاعر القديم ، تابعا وهامشيا مرتزقا لا يحس الاحداث الا خلال الدينار والشخصية التي تهيم له الدينار ، انه عضو فعال في مجتمعه ، انه ييني كما ييني الآخرون ، بل انه من هؤلاء الآخرين وفي مقدمتهم ، انه هو الذي يرسم الهدف ، والهدف ينبثق من نفسه من أجل الآخرين ، من أجل الوطن والامة ، في هذين الشطرين ،

وفي شطر أوسع هو الوقوف الى جانب المظلوم انى كان . وفي وجه الظالم
من يكون ...

هذا جديد ، واذا وجد منه شيء في القديم فهو قليل ولدى أفراد محدودين
لم يكونوا عادة الشعراء الكبار في زمانهم :

للشاعر رسالة ..

وهذا جديد جدا ، اللفظة جديدة على تأريخنا الادبي ، واذا تقول :
رسالة ، تعني اللفظة لديك ، الشرف والتضحية وخدمة المجموع المضطهد
ومقارعة المستبد الظالم ، تقولها باعتزاز واطمئنان ووضوح وايمان فانت
تعرف جيدا الامور .

وتسأل نفسك عما تكون عليه هذه الرسالة من أبعاد ؟ وتذكر الوطنية
والقومية ، وتذكر عسف العشانيين والانكليز ، وتذكر تأخر قومك وتقدم
غيرهم ، وتستحضر ما صار ماضيا وترى ما سيقع مستقبلا .

والامر صحيح ، وهو الذي وقع ، لم يكن غيره في مطلع العصر
الحديث ، ولا شك في أنك لم تقترضه افتراضا وانما تشربته في قراءة
الشعر الحديث أو نظرة الى أقرب مصدر ثقة بين يديك الان ، الا وهو
ديوان الشبيبي .

وتسأل عن مدى اسهام الشاعر في تحقيق الهدف ؟

وترجع بالطبع الى طبيعة عمله ، فانك توزع المهام متصلة بطبيعة
اصحابها ومن مجموع المهام والطبائع يتألف الكل المنتظر ، فالحرب لرجل
الحرب ، والادارة لرجل الادارة ، والسياسة لرجل السياسة والشاعر امرؤ
يقوم وجوده على الكلمة ، وهو وجود ليس بالنادر وليس بالقليل ، ولكلمة فعلها
وسحرها في كل ركن من أركان الهدف العام ، وأصحاب المهام يتفقون غاية
ويلتقون في الخطوط العامة .

وهذا ما احس به شعراؤنا في العصر الحديث وهم يعتقدون من الشاعر
القديم ويرون لانفسهم كيانا جديدا وأن لكيانهم رسالة .

قال الشيبسي : « كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم تفكر تارة في رسم اهدافنا ، وطورا في الوسائل التي توصلنا اليها • ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات ، وتفلح في كفه المساعي ، ويتيسر النهوض بالبلاد ، كما كان في مقدمة العقوبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود وفقدان الشعور بالواجب ، خصوصا لدى المسؤولين وعدم اكرائهم او مبالاتهم بالاطار ، فضطرب النفوس ، وتثور الارواح المتمردة ، وتتضاعف الهواجس والآلام ، ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القلب المלאن •

ولا ريب ان رسالة الشاعر فيما نحن فيه لا تعدو صفة الدواء بعد تشخيص الداء ، ولا تعدل عن استخراج العظة البالغة من سنن الاجتماع وعبر التاريخ ولا تتعدى الاشادة بقيم الفضائل ومكارم الاخلاق ، فاذا كانت نشاعر جولة في وجه من وجوه الاصلاح ، أو ناحية من نواحي الخير ، واذا ومضت في فنه شعلة تنير السبل الحالكة ، أو علت صرخة تثير العزائم الخاملة ، أو سرت نفحة تحيي الرمم البالية ، فقد أدى الرسالة ، وهي هدفه الاقصى وفيها عوض عن كل فائت لمن عشق فنه ، أو أخلص لمثله الاعلى •• »

أشهد أن هذا كلام جديد ، وجديد جدا على الادب العربي ، وهو خلاصة ما آل اليه الشعر الحديث في أحدث ما له وفيما يهدف اليه ، وتصعب على غير الشيبسي ان يوجزه هذا الايجاز البليغ ويقدمه هذا التقديم الذي يمنح كل لفظة قوة خاصة هي قوة الصدق والمعانة والتجربة ، هذه تجربة التي تجعل السطور وثيقة اصيلة وشاهدا لا يبارى •

ولو لم يقل الشيبسي هذا في مقدمة الديوان لقاله الديوان نفسه ، يدركته وأنت تقرأ الديوان فترى الشيبسي فيه يشخص الداء ويصف الدواء ويعرض وجوه الاصلاح ويستثير الهمم ويقارع الخصوم ويفضح الخراب ويعري الاعداء ••• كل ذلك في صدق وحماسة ••• وتأنق في الديباجة ••• أجل ، وقد دل الشيبسي على ايمان نادر في قضية ، وتفنن في شعره

وقلما أحس الآخرون بضرورة الفن لاستكمال عناصر الرسالة كما يوحى اليك به شعره ، وكما تطالعك به ديباجته التي مزج فيها الاتفعال بحظ من العقل ، والعفوية بنسبة من الإرادة •

ولنقرأ الديوان فهو خير دليل على العصر والشاعر ، وسنرى ان الشاعر ذهب في رسالته الى أبعد مما ذكر فقد كان الاصلاح ثورة ، واستولت الرسالة على دقائق حياته وامتزج عمومها بخصوصه فظهرت مرة شكاة وأسى ، ومرة فرحاً وأملاً • • ومرات عملاً •

أجل ، فما كانت رسالة الشبيبي الشاعر قولاً فقط ، ولك ان تنظر اشتراكه الفعلي في الحركات والمؤتمرات ولو علمت خبر سفره من العراق الى الحجاز الى الشام وما لقي خلال ذلك وعانى لعرفت ان لرسالة الشاعر أمداً أبعد من الحدود التي رسمها وحدثنا عنها بعد حين من زمانها •

ان الرسالة اذ وردت من خارج العراق اليه لفظاً او معنى ، فانه منحها من القوة ما لم يمنحها قطر آخر ، وان العراق اذ تلقاها وسع دلالتها النقدية في مجال خاص من مجالي النشاط الانساني هو الشعر الى موقف خلقي وجعلها جزءاً من خلق المرء قال الشعر أم انقطع عنه ، فكانت انعكاساً متبادلاً متمازجاً بين القول والعسل ، وكانت مطالبة نقدية لمزج القول بالعسل •

وهذا ما يقوله الشعر العراقي الحديث ، ويقولوه أقرب مصدر ثقة لينا في هذه الساعة ، الا وهو الشبيبي وديوان الشبيبي - فلنقرأ ديوان الشبيبي •

- ٢ -

ألا إن الشبيبي رائد كريم في الوطنية والقومية • وقد كلفته ريادته اثنا باهظة استعذبها وهو ينظر الى الامل في أن تتخلص هذه البلاد وهذه الامة من الاجنبي والجهل والظلم والخراب والفقر وتكون كيانا يعيد جميل الماضي ويزيد عليه جميل الحاضر : واستعذبها وهو يتلىء بالألم لما عليه

هذه البلاد وهذه الامة من تمزق وتفرق وخسول ، ولما يظهر بين عدد من ابنائها من نفاق أو خيانة ، ولما يفتعله الادعياء من مواد السوء جشعا وانانية وخدمة للعدو ، واستهانة بالصميم من كيان الوطن والامة •

وقد اقتصر غالب الجهد على الوطن والامة استجابة للحاجة الملحة والظرف المحيط والزمن المبكر ، والا فانك - أيها السائل أو المتسائل - لتلح بين الحين والحين الثقافة بعيدة الى ما يجب ان تسهم به هذه الامة في بناء الحضارة والى ان نكون كالغرب واحسن من الغرب اذ يعتدي • واذا امتلك الوطن زمام نفسه وملكت الامة سيادتها مضت في بناء الكيان الانساني القائم على الاخاء والتعاون •

وكان مع الشيبسي صحب كرام قدموا من الخدمات ما كان صادقا نبلا ، وما بقي أساسا تقوم عليه الدعوات المناظرة وظل شعاعا يضيء للأجيال التالية •

ان كثيرا من الجيد في حاضرتنا يتصل ثمره ببذور الرواد ، ومن جيدهم ما طواه النسيان أو التناسي ... فمن الوفاء أن نعترف للأبناء بالفضل وان نذكرهم اذ تكون مناسبة •

كان من هذا الشباب المستنير الذي يريد الخير لبلاده وامته ، ويرى في السعي اليه واجبا من أهم الواجبات ، وكثيرا ما كانت المسألة الوطنية والقومية واحدة ، وكان عدو العراق وعدو العرب واحدا ... في الداخل أو في الخارج ، في الجهل والطمع والخلاف ، وفي آل عشان ودول الغرب •

كان يافعا حين ثار أحرار الاتراك وفرضوا الدستور ، ففرح فرحا شديدا مع قومه العرب، لما وضعوا على ذلك من آمال، وحزن معهم اشد الحزن عندما خيب الدستور الآمال •

وها هو ذا يتأمل الوطن ، وينظر ويسمع ، فلا يقع الا على ما يستثير الكوامن ويحز في النفوس : الذل ، الظلم ، الخراب ، البغي ، الجهل ، التباغض ، الحزازات ...

الى مـ أجوبـ القطر سال جهالة وسال تقاليدا وفاض خرابا
عاش الاكثرون من ابناؤه في بؤس ، ولم يحصل الفلاح من ماء دجلة
ما يروي الغليل ، وراح الاقلون في غنى يملؤهم غرورا وخيلاء وباطلا ،
فينظرون الى الفقير محتقرين مستهينين منكرين • ويرى الشاعر الحر ذلك
فيستشيط غضبا وغيظاً وانتصارا للحق ، ويهدد بما سيقع ، متوليا الاجابة
عن لا يستطيع الاجابة :

... يقولون : من هو هذا الفقير فهل قال قائلهم : من أنا ؟
ويستعذبون عذاب المقل جزاء على غير ما قد جنى

★ ★ ★

ولا بد للحق من ثورة رويدا فامّا لكم أو لنا
ولا تأمنوا أن يروغ الزمان ويظهر ما لم يكن مبطنا
فكم كان ما لم يخل كائنا وأمكن ما لا يرى ممكنا
حدث ذلك قبيل الحرب العالمية الاولى ، وكانت الحال تتجسم لدى
الشاعر كلما تقدم الزمن • واذا بدأت طلائع هذه الحرب ، كان يتجول في
البلاد فيزداد علمه بالخراب وبأسباب الخراب ، ويزداد بحثه عن سبيل
الخلاص :

ألا مدرك هذي البلاد وأهلها فقد لقيت من جور ساستها جهدا
تفرغ أيدينا لتسلأ جيها وتنهكنا جورا لنشبعها حمدا
شرائع سنتها الجماعة غيرة على الفرد ، أشقين الجماعة والفردا
ويتضح السبب العشائي في تأخر البلد يوما بعد يوم ، ويتضح أكثر
من ذلك ان بني عثمان لا يذكرون للبلد فضلا ولا يرعون حرمة ، بل انهم
لينكرونها ويعذبونها ويقتلون :

... عند المغانم لا ندعى ويفدحنا من المغارم ثقل ليس يحتمل
أين الرهين بأموال لنا ذهبت ومن يقيد باخوان لنا قتلوا!

اما شهيد معلّى فوق مشنقة أو موثق بحبال الأسر معتقل
وكان هذا مسوغا للثورة على العثمانيين والاطاحة بهم •

وما يلقاه العراق من الادعاء لا يقل خطرا عما يلقاه من الاجانب :

تعسف قوم بالعراق وساووا على وطن - ماسيم - يوما بأثمان
هم احتقبوا الاوزار يقتربونها وقالوا : جنى عمدا وما هو بالجاني
هم استعجلوا اللذات ينتهبونها وهم بدلوا بالجواهر العرض الفاني
وقد تنكر الحر العراقي أرضه فينأى ، ليدنو منه من ليس بالداني

وها هو ذا الغرب يزحف نحو الشرق ، ويزحف مثلاً بالانكليز نحو
العراق ، وعلى الوطني الحر ان يواصل الجهاد ويسعى الى الاستقلال •

وتتسق مشاعر الشبيبي الوطنية في هذا اتساقا كبيرا مع مشاعر القومية
حتى لكأنهما أمر واحد ، وانهما كذلك ، وقد قرن همه العراقي بهمه العربي
وسعيه الوطني بسعيه القومي يتألم ويستنهض ، يتابع ما يجري شادا يده على
يد اخوانه أنى كانوا في ليبيا او في الشام ، في مواجهة العثمانيين والايطاليين
والفرنسيين : يتألم للجهل والخراب والخضوع ، ويبارك المتيقظين ، ويفضح
حاييل الاعداء ... ويرثي الشهداء :

يا أمتي لا تحزني أو فاحزني حزن النفوس الشم زاد مضاءها
ان الضمائر والقلوب اذا دجت دخل الاسى أعماقها فأضاءها

وابتليت الشام بالفرنسيين ... ومثلها الاقطار الاخرى •

واذن • فالغرب سر في مصاب الشرق ، وان حضارة هذا الغرب ليست
في حقيقتها حضارة •

أدرك الشاعر ذلك مبكرا وفي أكثر من مناسبة ، ألم يقل عندما هجمت
يطاليا على برقة العربية :

انا دعونا العصر عصر تقهقر فليدع عصر تقدم وتجدد
ماذا يرجى من وراء حضارة عمي البصير بها وضل المهتدي

أقل ما ينتظر هذه الحضارة الاعتداء على الآمنين ، وأقل من ذلك
أن يعتدي المستغل منهم على المستغل منهم :

يعيش سعيد مفرد بين معشر شقي ، وحي واحد بين أموات

★ ★ ★

يظنون هذا العصر هداية وأجدر لو ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت حقائق ، الا أنها كالخرافات

★ ★ ★

وأكذب عصر ما تشدق أهله — على ظلمهم — بالعدل أو بالمساواة
ذئاب وشاء ، لا الذئاب رواجع عن الغي ، أو تعدوا على زمر الشاة
ولا تدوم للغرب سطوته ، ولا يظل الشرق مكتوف الايدي :
يا ساسة المغرب المستشرق اقتسوا فالشرق نهب ، وما في الشرق أنثا
وان وجدتم سكونا في مناكبه ترقبوا ان عقبى الامر زلزال
أجل ، فلو كان الغرب متحضرا حقا ، وطابقت أفعاله أقواله لكان للشرق
نصيرا ، ولاستغل أفكاره واختراعاته في رقي البشر •

ومع هذا ، ولهذا ، فلا ولن يبقى الشرق حيث هو ، ولن يبقى العرب
حيث هم من الاستكانة والتأخر ، فلا بد من زلزال يبدل الاحوال •••

ويقع الزلزال ، وتثور الاوطان ، وتحصل على ما تحصل من الاستقلال •

ولكن ألم المشاعر يبقى عميقا ، عميقا — هذه المرة — متصلا بألمه القديم
بأبناء قومه الذين وقفوا ضد الإصلاح وبالادعاء في بلاده ممن لا يهمهم
من البلد شيء ، قائما — هذه المرة — على ما يفعله الوطن الواحد بنفسه من كذب
وبهتان وطمع وخيانة •• وهو ألم شديد ، شديد لا يسلك معه شاعر وطني
الا أن ينظم النونية :

فتنة الناس - وقينا الفتنة - باطل الحمد ومكذوب الثنا

★ ★ ★

الى أن يقول :

خسرت صفقتكم من معشر شروا العار وباعوا الوطناً...
ويبقى الشبيبي - مع هذا - ذلك الشبيبي الذي تؤلف لديه القضية
الوطنية والقضية القومية أمراً واحداً ، والاقطار المنفرقة وحدة :

انتي ذاك العراقي الذي ذكر (الشام) وناجي (اليمن)
انتي اعتد (نجدا) روضتي وأرى جنة عدني (عدنا)...

كتب المقال لمناسبة مرور عشر سنوات
على وفاة الشيخ محمد رضا الشبيبي ،
وقد ألقى القسم الثاني من دار الاذاعة ،
ونشر الأول في جريدة الجمهورية
(١-١٢-١٩٧٥) ، وجمع القسمان وأعيد
نشرهما في الملف الخاص بالذكرى من
مجلة « الرابطة » - السنة الثانية ،
العدد السادس ، كانون الثاني ١٩٧٦ •

تدليس في نشر الكتب

لا بد للظاهرة من ان تؤرخ ، وقد يزعم التاريخ وقد يجدي ، ولكنه يسجل عيوب الحاضر للمستقبل على أمل ان يكون المستقبل خيرا من الحاضر فيضحك احفادنا بذكائنا ويسخرون من أمانتنا !

وكان مما شاع في عصرنا الحاضر سرقات في وضح النهار دون ان يكون قانون للعقاب ، واذا كان قانون فلم يكن عقاب •

وقد رأينا امس القريب تشويها لكتب التراث لم تعبث امة بمجاهدها مثله •• وصدرت - مثلا ، مثلا - طبعة لديوان الفرزدق من اسوأ ما طبع عليه ديوان ، وكتب على غلافها : تحقيق المستشرق سايمز • وتسل من سايمز هذا بين المستشرقين ؟ والسؤال غير وارد لانه لا يوجد مستشرق واحد على وجه الارض له ما لسايمز من الغباء والجهل المطلق بأبسط اصول التحقيق •• لا •• لا تسل ، لانه اسم من غير مسمى ابتكره الناشر ابتكارا لسبب تجاري صرف ، والذي يحدثك خير •

وتتولى بيروت - دون حرص على سمعة بيروت - مهمة التزوير ، واذا بك ترى « الايام » من حياة طه حسين تباع « بالعربات » ، ولا تسل ، بعد ذلك ، عن مؤلفات نجيب محفوظ •• ما تكاد الطبعة تصدر بالقاهرة حتى تنشر بيروت اضعاف اضعافها •• وما يكاد يروج كتاب لمؤلف ويعود بشيء من ربح يقترب من الجهد المبذول حتى تتناهبه دور النشر ، حتى صار الانسان يخشى نجاح كتاب له ، ويفضل « الستر » •

لقد امتدت الايدي الى كتب جهد اصحابها في تحقيقها ، أو تأليفها • ومرت الظاهرة كأن لم تكن ، وكأنها لا تصلح - في الاقل - موضوعا لدراسة نفسية أو اخلاقية أو اجتماعية أو حضارية •• او او •

وتجر الظاهرة الظاهرة ويسير القطار محملاً بالأوزار ، أوجد الغرب
الافست لشيء وأسأنا استعماله في اشياء ، وأوجد التحقيق العلمي .. والبحث
العلمي .. والخلق العلمي .. وحقوق المؤلفين .. وأوجدنا الاستغلال والعبث
.. وما لا يدري سره ! أجل بفن السرقة أم « استهتار » معرق .. أم
ماذا وماذا ؟

لقد حقق مستشرق - إبان الحرب العالمية الاولى - كتاب « طبقات
الشعراء » لابن سلام ، وبذل الجهد والطاقة ، وتقدمت بيروت لتؤفست الكتاب
وارادت ان تسوغ الافسته بان تكتب له مقدمة عن « تاريخ النقد الادبي عند
العرب » ومكان « ابن سلام » منه ، واسندت هذه المهمة الى « لجنة من
الجامعيين » فما كان من « الجامعيين » الا ان استلوا مادة المقدمة وفكرها من
هذا الكتاب او ذاك ، ووقع طه أحمد ابراهيم فريسة باردة بين المخالب .

وكان طه أحمد ابراهيم قد بذل كل ما يسلك في سبيل ان يتعلم ، وباع
كل ما في حوزته لكي يواصل .. ويؤلف .. وتوفي في منتصف الطريق وخلف
كتاباً جليلاً جداً ، ما تكاد تشتد الحاجة اليه حتى « تتناوشه » دور النشر
في دمشق او بيروت مناوبة دون تفكير بالورثة وما يسكن ان يكون لهم من
الحقوق ، ودون سؤال او استفهام ، ولم السؤال والاستفهام ؟

وتسير القافلة - العفو - القطار السريع المحمل بالبضائع الحلال .. يتوقف
لدى محطات مهمة من دور نشر محترمة .

- فما ظنك بدار الثقافة في بيروت ؟

- حسن ظني من حسن الظن بخبرائها .

- اعادت هذه الدار نشر مؤلفات المنفلوطي - لرواج سوقها بالطبع
الطبيعي - وكتبت على اغلفتها ديباجة اخاذة : « دار الثقافة في بيروت تقدم بكل
فخر للعالم العربي اكمل واهم طبعة لاثار الكاتب الخالد الذي اغتذى بادبه
ملايين القراء في كل بلد عربي .. » - الديباجة رنانة . ومستحيل ان تعزى الى
قلم صاحب الدار !

وطبعت له - فيما طبعت - كتابا باسم « مختارات المنفلوطي » فما ظنك اذا علمت ان هذا هو غير « مختارات المنفلوطي » الاصلي ؟

- قلت لك ظني من الظن بالخبراء •

- وأقول لك : ان هذا الذي طبعته دار الثقافة مختارات مسا كتب المنفلوطي - تجد اثاره في كتبه الاخرى كالعبرات والنظرات - وذاك الذي الفه المنفلوطي « مختارات » مسا كتب الاخرون من قدماء ومعاصرين •

- عيب !

- أهو الجهل ؟ أهو فعل الدار ؟ أهو فعل الخبراء ؟

- كلها وزيادة ••

هذه دار الثقافة فما ظنك « بدار الهلال » وهي محترمة جدا نعرف الاصول جدا يشرف عليها ادباء مؤلفون معروفون جدا •

- لا بد للسراء من ان يشك حتى في نفسه !

- طيب • للدار سلسلة باسم « كتاب الهلال » •

- تريد ان تذكر ما آلت اليه هذه الدار من رجعية ؟

- لا ، فقد صارت الرجعية مبدأ •

- لعلك رأيت ان العدد الاخير من مجلة الهلال مخصص « للسحر » كأن

لم يبق للقومى العربية غير « السحر » •• ويا ليتهم تحدثوا عن فك السحر !

- للدار سلسلة باسم « كتاب الهلال » • نشرت للمتنفذين فيها عددا من الكتب هي اعادة طبع ولكنها قدمتها للناس وكأنها تطبع لأول مرة ••

وفي هذا خداع للناس اولاً ، وما يسكن ان يفسر بالاجر ومقدار الاجر ،

والنشر الاول أكثر اهمية واكبر قدرا من النشر الثاني •

من هذه الكتب ما صدر لعبدالرحمن صدقي بعنوان « الوان من الحب »

والتدليس فيه انك لا تصارح القارىء بالحقيقة ، ولا تخبره لغرض قد يكون

ماليا مرة وغير مالي مرة ، والا فما كان يسنع من كتابة : « الطبعة الثانية »
على الغلاف أو مقدمة صغيرة تبين تاريخ الكتاب ؟ او او ...

ويصدر عن السلسلة نفسها كتاب بعنوان « بناء النهضة العربية » ،
« بقلم جرجي زيدان » .. وتعود الى ذاكرتك فلا تجد ان لزيدان كتابا بهذا
العنوان : « بناء النهضة العربية بقلم جرجي زيدان » وبهذا المنطلق القومي
الجاد في تأليفه كتبه . ولكن قد تخونك ذاكرتك ؟ وتفتح الكتاب وتجد مقدمة
لطاهر الطناحي رئيس تحرير السلسلة يقول فيها ما يمكن ان يكون مفتاحا .
فهو يقول - فيما يقول - ان الكتاب مقتبس من كتاب جرجي زيدان « مشاهير
الشرق » . ليكن ! فما المانع من ذكر ذلك على الغلاف ؟ وما المانع لو اختير
للمسألة عنوان يدل على الاقتباس مثل « من مشاهير الشرق » .. علما ان العنوان
الكامل لكتاب زيدان هو : « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » .
ولم يذكر السيد الطناحي اسمه في « الاقتباس » .. فلا ندري مثلا
نم اهل « أديب اسحق » وهو جدير بالبقاء ، شديد الصلة بالحاجة
القرية التي ادت الى اعادة النشر .

ثم لم يقل - وهذا مهم - انه تصرف قليلا - أو كثيرا - بنصوص جرجي
زيدان ، فخیل اليك وانت تقرأ « بناء النهضة العربية » تقرأ كلام زيدان كما
هو في « تراجم مشاهير الشرق » والمسألة مسألة اختيار تراجم واهمال تراجم .
ولم يكن واقع الامر كذلك .. بل ان زيدان نشر عن احمد عرابي ما كتبه اليه
هذا عن نفسه كاملا وكما هو ، ونشر الطناحي ملخصه واسند التلخيص ان
زيدان - وهذا حرام !

وتصدر السلسلة في « فبراير ١٩٧٣ » كتابا لمحمد عبدالغني حسن بعنوان
اشعار وشعراء من المهجر « فتقنتيه .. ثم تتذكر ان للمؤلف نفسه كتابا سبق
ان اصدره في الموضوع نفسه ، وتفتح كتاب الهلال الذي بين يديك وجيبك ،
فلا ترى فيه ما يشير الى ذلك او ما يشير الى وجود مقدمة .. وتعود الى الوراق،
ان سنة ١٩٥٥ فترى لمحمد عبدالغني حسن كتابا نشره « بالاشتراك مع مؤسسة

فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة - نيويورك • حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة لمؤسسة فرانكلين » • • • هو الاصل والاطبع • • لان كتاب الهلال يتوخى الحجم الصغير والعدد المحدود من الصفحات • فماذا فعل الاستاذ محمد عبدالغني حسن ؟ ترك الفصل الاول الذي يدرس شعر المهجر ثم بدأ بالفصل الثاني : « شعراء المهجر الشالي » وجعله الفصل الاول للكتاب الجديد وها هم اولاء مع « باقات من اشعارهم » كما كانوا وكانت هناك : ايليا ابو ماضي ، ميخائيل نعيمة ، نسيب عريضة ، رشيد ايوب ، جبران خليل جبران ، مسعود ساحة ، مصطفى الخوري الشرتوني ، احمد زكي ابو شادي ، ثم جعل الفصل الثالث من مطبوعة فرانكلين الفصل الثاني من مطبوعة الهلال ، شعراء المهجر الجنوبي ، وها هم اولاء الياس فرحات ، الشاعر القروي ، ابناء المعلوف ، شكر الله الجر • وباتتاه « باقة » شكر الله الجر ينتهي الحجم الذي يقتضيه كتاب الهلال وينسج ذلك استمرار الكلام والنقل فيذهب ضحية الموقف شعراء من المهجر الجنوبي وردوا في اخر النصل من طبعة فرانكلين هم : جورج صوايا • الياس قنصل ، نعمة قازان : ذهبوا هم و « باقات » اشعارهم !

فلم هذا ؟

نحن نقول انها مسألة مصارحة وامانة ، وهم يقولون انها مسألة أخرى ! واذا قلنا ان جيل الشيوخ استجاز لنفسه اشياء كثيرة • • لم نجد الجيل التالي احسن منهم دائما • • وتبرز لنا قائمة من الاسماء • • ويتقدم كتاب لرجاء نقاش بعنوان « ادباء معاصرون » يصدر بيغداد قبل ان يجف عليه حبر بيروت • • دون مسوغ علمي • • وللحالة اشباه ونظائر • • مرت كأن لم تكن • فلم ؟ وكيف ؟ انحن قوم يحبون المال حبا جما ؟ انحن اقل امانة من غيرنا ؟ ارجو الا يكون في الامر شيء من هذه الالاس • • وانما هو المجتمع ومقتضياته ، والحضارة وساتها ، والمطلوب من التاريخ ان يسجل • • لنفسه ان لم يكن للاخرين • •

سجل يا تاريخ !

لغة مجلة الأسبوع العربي ،،

الاسبوع العربي مجلة اسبوعية تصدر في بيروت ، كان صدورها مصحوبا بانواع مختلفة من الدوي ، ولكن المجلة انتشرت انتشارا واسعا لما لها من امكانات خارقة • وهي الان في سنتها السابعة عشرة •

ليس بها حاجة الى تعريف • ولست مؤهلا للتعريف بها ، فما تقع لي الا نادرا ، وكل ما في أمري وأمرها ، أنني أقع فيها على خطأ في اللغة غريب عجيب ، فأعبر ، كما يعبر الآخرون اذ يمرون بهذا العيب الفاحش في كل مكان، في بلادنا وفي البلاد العربية الأخرى •

وكنت حائرا في اسباب الخطأ لدينا ، وقد رأيت من الاسباب المهمة التي غفلنا عنها ، اننا نتلقى الخطأ من اذاعات عربية مهمة ومن صحف عربية مهمة ، فنحسب الخطأ صحة ، وتتابعه ثقة في غير محلها ••• وليس معقولا ان نعزو الخطأ في الاذاعات العربية والمجلات العربية الى قصد سييء في تخريب اللغة التي هي قوام حياة وركن قومية ، انما هي مسألة تسهل وتسح ••• واستهانة عامة • فليس معقولا - مرة أخرى - ان تخرب امة لغتها ، أو ان تساوم على ذلك • ثم لنتذكر ان الاسبوع العربي مجلة يكتب فيها نزار قباني ••• وليست (الاسبوع العربي) وحدها التي تخطيء لنقول انها تتعمد الخطأ • ثم كيف ترتكب مجلة هذا الفقر وهي غنية بسعنى الكلمة تملك الآلاف والملايين • والملايين تجر الملايين •

وهنا ••• هنا على ذكر الآلاف والملايين ينبثق سؤال يقول : اذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - اليس من الممكن ان تستغل الاسبوع العربي قليلا - قليلا جدا - من هذه الآلاف في ضبط اللغة واللغة عنصر صحفي اذا لم تكن عنصرا قوميا ••• اتعجز مجلة لها الاف الموظفين والمراسلين تحقق بهم المعجزات في المقابلات والريپورتاجات والصور والموضوعات الحادة وتتبع فضائح

الامريكان في كل مكان .. اتعجز مجلة على هذه الدرجة من المنعة ان تحمي اللغة العربية من العبث؟! المسألة سهلة جدا . أن تخصص مرتبا محدودا من هذا الذي تربحه بالحرف العربي لرقيب لغوي ، شرط ان يتصف هذا الرقيب بنقاء الضمير والترفع عن الدنيا .

أجل ... تقع الي (الاسبوع العربي) بين حين وحين فيستفزني ما فيها من خطأ لغوي لا يفترض ان تقع فيه ، لانه خطأ في ابسط القواعد من الجار والمجرور والفاعل والمفعول والعدد والمعدود وخبر كان واسم ان ... أما حلول رأس (بوزن فعل بكسر العين) محل رأس (بفتح العين) فتلك هبة عامة قدمتها لبنان الى العالم العربي قاعدة على غير أساس من السماع أو القياس . ولم تقصر في نشر ضلالها في آفاق بعيدة .

وكان آخر هذه الاستفزازات ما وقع وانا استعرض عنوانات عدد ٢٣ حزيران ١٩٥٧ ، اجل العنوان فقط ، والخطأ في العنوان اشد ثقاذا الى نفوس الناشئة واقوى انطبعا في اذهان القراء ، أجل ، جاء عنوان الغلاف « الافلاس » من غير همزة للقطع ، ولا تتحدث عن همزة القطع التي تحل محل همزة الوصل فتكون للانفجار همزة وللاقتصار همزة ، ولا تتحدث عن فتح همزة إن بعد أم ، وانما ننص على عنوان مقال كتبه غادة السمان من لندن بعنوان « كيف تواجه لندن الفقراء .. المادي والروحي » اشهد ان العنوان اخرج اخراجا فنيا لافتا للنظر استغرق (٤٥) سنتمرا مربعا من اصل صفحة كاملة خصصت له ولكن المجلة جاءت بالمفعول به مرفوعا . ان المثني المفعول به سيرفع - بعد اليوم - وعلامة الرفع الالف ، ولتسقط كل القواعد ..

لقد غارت غادة السمان في العدد نفسه على العرب لدى مشاهدتها فلم « الليالي العربية » فكتبت مقالة رنانة تحمل على المخرج بازوليني ، أفمن المعقول ان تقع في مثل هذا الخطأ ؟ لقد غارت على العرب في لندن ، والاولى ان تغار على العربية في بيروت . ولم يبق - على هذا - إلا ان نرد الخطأ الى المجلة نفسها،

فقد عودتنا مثل ذلك حتى أرتنا الضلال هدى • ويبقى السؤال الأول من غير
جواب •

إني انبه •• ولا أنكهم ••

١٩٧٥-٧-٩

علماءنا ... واللغة العربية

علماءنا • ولم لا ؟ فقي البلد علماء محترمون ، من وزن محترم ، نالوا رتبا عالية من ارقى الجامعات في خير الاختصاصات ، وشهد لهم العالم بالمقدرة والنبوغ واستعان بهم في جامعاته ومشروعاته •• في الطب ، الفيزياء ، الكيمياء الاحياء ••• العلوم الانسانية ••• ولهم في كل ذلك اختراعات وبحوث وكتب ودروس •••

ومن هنا يبدأ العتاب •••

ومفاد العتاب أن علماءنا ظلوا محصورين بين الكلية والمختبر ، فلم يفيضوا بالنفع على العامة ولم يؤدوا خدمات مباشرة في تكوين الفكر العلمي لدى القارئ فلا تكاد تجد لهم في السوق كتابا ، ولا تكاد تقرأ لهم في مجلة أو جريدة ، كأنهم لم يستشعروا رسالتهم في هذا الباب ولم يدركوا مهمتهم الثانية الى جوار المهمة الاولى •••

ان الثقافة العلمية تقي المواطن شرورا كثيرة في الصحة والعقل والمنطق والسلوك ، لانها تعينه على أرجاع النتائج الى اسبابها ، وتمنحه التفكير المتزن ، وترتفع به عن مستوى البداوة والتخلف ، وان بنا حاجة ماسة الى قطف مثل هذه الثمار ، وما اخل علماءنا يجهلون ذلك ، ولا شك في انهم فكروا في الامر وهسّوا ••• ولكنهم ما يكادون يتقدمون خطوة حتى يرجعوا خطوتين •••

لماذا ؟ والعلم لديهم جاهز والمصدر متهىء والنية حسنة ؟ ولو طلب اليهم ان يكتبوا بلغة اجنبية - كالانكليزية - لكتبوا ، وانهم لكتابون فعلا ، لكنهم مع اللغة العربية يرون انفسهم ازاء أمر جديد ، هو عقبة اللغة العربية • هذه اللغة التي استعصت عليهم ولا يستطيعون ان يطوعوها لتحقيق اهدافهم ••• وليست الصعوبة في اللغة العربية نفسها ، لان هذه العقبة مبالغ فيها ،

واللغة العربية شأن غيرها مفردات وتركيبات ، وفعل وفاعل وحروف جر ...
ويبقى بعد ذلك الممنوع من الصرف والاسماء الخمسة وجمع المذكر السالم ..
في حالات الاعراب ، وليست هذه عقبة ، لانها ممكنة التذليل بقليل من الجهد ،
وهل يصعب ذلك على من ذلل الذرة والسل ، ثم انها أقل خطرا على من يكتب ،
ويسهل علاجها بعرض المكتوب على أول عارف باللغة من معلمين وتلاميذ ،
فينتهي الامر ويقدم الاثر الى المطبعة . بل ان الجمعيات العلمية - وهي كثيرة
وفي مبادئها نشر الوعي العلمي والثقافة العلمية ، يمكن ان تهىء ، العارف
باللغة العربية الذي يعين في التصحيح ، وان جهات النشر - لا سيما الرسمي
منها - يمكن ان تهىء ذلك العارف . وليس في الامر استحالة او صعوبة ،
فالذي يرسم الهدف يهيء له وسائل انجازه ، وليست الاهداف جبرا على ورق .

ثم تنتبه وزارة التربية - على وجه الخصوص - الى خطورة الموقف
وجسامة النقص ، فتعمل على تلافيه وتوجه الى اللغة العربية عناية خاصة ، والى
تعليمها عمليا اهتماما اخص . ويعرف المعنيون بشؤون التعليم ان طلبة المروع
العلمية « أقوى » من طلبة الفروع الادبية ، وانهم - اذا قبلوا بنظائرهم -
يفوقونهم علما باللغة واستعمالها ... ولكنهم ازاء شعورهم بانهم علماء (نحن
علمي وانتم ادبي !) واشعارهم بان اللغة العربية ليست لهم كضرورة الكيمياء
والفيزياء والاحياء ، لان اللغة هذه للادباء فقط ، يستهينون بها ولا يرونها
شيئا ، فيخسرون بذلك لبنة في بناء مستقبلهم العلمي فيما يتعلق بهم مواطنين
عليهم - غدا - رسالة استثمار العلم اجتماعيا ، والتأليف والمحاضرة ونشر
الوعي العلمي ...

تعالج - اذا - وزارة التربية الموقف ... وتعالجه الجمعيات ... وجهات
المكافأة المالية ... ويعالجه العلماء انفسهم في حدود المستطاع ، لا سيما اننا
لا نريد منهم - اليوم - أكثر من علم يقدمونه الى القارئ في ابسط لغة في
حدود تفهيمه وافادته ، ولا نطلب من علمهم الابداع والابتكار والدقائق ،
فذلك ميدانهم العالمي ، نطلب مادة معترفا بها ، معروضة عرضا ميسرا . وكان

بأمكننا ان نطلب أكثر من التيسير لو اختلف الموقف ، كما يطلب العالم من علمائه في العرض الادبي والتشويق والخيال ، ولكننا لا نطلب غير المستطاع . فلم نخرج عن حقنا ولم نخرج علماءنا عن واجبهم .

ومصادر العلم معلومة ، والمادة جاهزة يستلونها من دروسهم وخبراتهم ، أو من كتاب ألف بلغة اجنبية يقدمون زبدته ، أو من اعادة كتابة بحث نشر في مجلة . . . أو ترجمة بتصرف لكتب الفها العالم لقرائه في سلاسله المتنوعة ، أو يستعينون بطريقة س . ج . . . أو أي شيء ، فالارض مجدبة تنتظر أية قطرة من ماء .

١٩٧٥-٨-٢٠

القربان بين القصة والمسرحية والتمثيل

(١)

أما القصة فهي من مؤلفات الاستاذ غائب طعمة فرمان ، وقد قرأها كثيرون ، وهي حلقة من سلسلة قصص سبقتها في تاريخ ادبي لتاريخ العراق الذي عاصره المؤلف وعاش في الصميم من شعبه وفي الكثير من مآسيه . إن فرمان كاتب عراقي مقروء ، وليس هذا قليلا ، وكاتب مجيد وأكثر من مجيد .

ويجلو في القربان حياة قطاع من الحياة الشعبية في محلة من سجال بغداد كما كانت في الاربعينات متخذاً من مقهى دبش محورا : مكانه ، صاحبه ، عماله ، رواده ، ولا يكاد يبعد بالمكان والزمان والحدث وكأنه كنزيسكي أصيل يتشبث بالوحدات الثلاث أكثر مما تشبث بها ارسطو . وليس هذا ذما . وربما كان مدحا للدلالة على السيطرة وتعمق المقطع .

كان في هذا المجتمع الصغير صاحب المقهى المتجبر الطاغى على عماله النذالم لزوجته وبنته ، وفيه حسن العلوان المبتز الذي لا يعرف غير المال ، أما العمال (العاملان) فيقومون بالواجب مدى عشرين سنة على أحسن ما يكون دون ان يتلقوا ثوابا يذكر او كلمة طيبة ، ولا يكاد الرواد يتغيرون . وأدّى بقاء دبش على حال واحدة رغم تغير العالم خارج عالمه ، الى نقص في المورد ولكن دبش لم يتنبه الى الامر الطبيعي في التطور . اما الشغل الذي يشغل المحلة كلها فهو ظلم دبش ، ظلمه زوجته حتى ماتت ، وظلمه ابنته وقساوته عليها تقتيرا وتجويعا ومعاملة وحسبا عن العالم جاهلا الطبيعة واحكامها . . . وليس في المحلة كلها من يحبه وليس فيها من لا يتمنى موته وانهم ليفكرون في أية وسيلة للقضاء عليه ، وقد تهيأت هذه الوسيلة لدى مرضه .

واذ تخلصوا منه اندفع احد عمال المقهى (ياسر) يرفه عن مظلومة ابنة دبش ويجدد في المقهى .

ويمكن ان تنتهي القصة هنا وتكون قصة قصيرة مكتملة ، ولكن المؤلف يريد لها طويلا ، أو صورة لما وقع فعلا مما يعرفه هو خيرا من غيره . ففتح صفحات جديدة منبثقة عن الصفحات الاولى ، فقد كان ياسر يحب مظلومة ، وكان صباح يحب مظلومة ، وكانت زنوبة (المجنونة) تحب ياسرا .. وحسن العلوان يرى لنفسه الوصاية ، ويسعى الى ان يزوج مظلومة من غير هذا وذلك من اجل أهداف مالية ... ويتعقد الموقف ، ونرى ابناء المحلة الواحدة الذين كانوا وحدة متحدة ضد دبش فرقا متفرقة ، والتجديد يؤول الى غير ما يجب ان يؤول اليه ، وكان المفروض بمظلومة ان تحصد للظروف انها تخلصت من الجور فتسلك هادئة رصينة ، وتشكر لياسر قيامه بالخدمة ازاءها فتزوجه .. ولكن هذا لم يحدث ، لان المؤلف « واقعي » وقد بعد عهد الفن القصصي بالمثالية .

لقد تعقدت الاحوال ، وكل يترصد كلا ، يكيد ويتربص ويعادي .. ثم ساءت هذه الاحوال وتدهورت . وهنا يبلغ المؤلف القمة من العقدة في القصة الكلاسيكية ويحار القارئ في الحل الذي سيكون وكيف سينجو المؤلف من هذه « الورط » التي وقع فيها او اوقع نفسه فيها .. كبف يصل التالي بالسابق ، وماذا يصنع بياسر وهو رجل طيب جدا وشهم لم تكن له مصلحة في مال .. وعبدالله (العامل الثاني) .. و .. و .. ؟

يبدو انه لم يتأمل الموقف طويلا او انه لم يتبصره منذ البداية . فماذا يفعل ؟ لقد لجأ الى القتل حتى قربنا من الرواية البوليسية . لقد قتل عبدالله ياسرا ، وقد يكون هذا واقعا ولكنه لا ينسجم في الظاهر مع هدف النظر الى ابناء الشعب في نقاء ، ثم ينسجم في الباطن اذا عزي السوء الذي ارتكبه ابناء الشعب ازاء بعضهم الى طول الجور السابق والى مؤامرة حسن العلوان ، ان حسن العلوان سر البلاء وكان اللازم ان تتوجه الجهود الى القضاء عليه مبكرا . هذا هو اللازم ، ولكن اللازم لم يقع لان المؤلف لا يريد ان يحكم المثال بالواقع ، وهو اذ سار في ظل هذه الارادة لم يبعد كثيرا عن الهدف ، لان القصة

لم تكتب لياسر الذي مات وعبدالله الذي أمات ، وانما كتبت لمن يجيء بعدهما من اجيال •

ينسجم هذا الاستنتاج مع المقدمات ومع ما هو معروف عن المؤلف ومعروف عن العراق في الاربعينات ، ولكنه استنتاج فقط ، بمعنى أن القصة لا تجلوه ولا تجلو اي استنتاج آخر ، فقد بدت احداثا متتالية متضاربة مزحومة متداخلة لم يعد يجد المؤلف طريقه خلالها • اما القارئ ، فقد يحسبها حوادث تسرد للحوادث ، وللقراءة فقط ، والا لاطال المؤلف الوقفة وشذب وهذب ، ولطرح منها حتى ما كان قد وقع فعلا اذا جار على صفائها الفني •

القربان قصة جيدة ، وهي ذات مكان في تاريخ القصة العراقية الطويلة ، ولكن كان المنتظر اكثر من ذلك • تقرأ ، وقرئت فعلا ، وقرأها الكثيرون ممن عرفوا غائب طعمة فرمان في « النخلة والجيران » وما بعدها ••

(٢)

ومسرحت النخلة والجيران ، مسرحتها فرقة المسرح الفني الحديث ، ونجحت ، ويعود النجاح الى طبيعتها واني اليد الفنية التي تولت المسرحة •• والفرقة الرائعة •• ومع هذا فلا تستطيع ان تصدر هذا الذي عملته اليد الفنية على انه مسرحية عنوانها : النخلة والجيران •

وصدرت القربان ، وقرئت ، وفيها جو شعبي أثير جدا لدى الفرقة • وما زال نجاح « النخلة والجيران » يؤنس العيون •• ثم ان في البلد ازمة نصوص مسرحية ، فيه مخرجون من طراز عال وفيه ممثلون من نمط عزيز ولكن ليس فيه النصوص المسرحية اللازمة •• وفي البلد اديب ما فتىء يتابع المسرح والاعمال المسرحية ساعيا الى ان يكون شيئا •• وفيه وفيه •••• عوامل تجتمع لتؤدي الى مسرحه القربان •

والمسرحية عملية مجازفة ، ان (سينما) القصة (للسينما) مجازفة على الرغم من طول التجربة فيها وتبني العالم اياها ، فكيف بمسرحة القصة

(للتمثيل) والمحاولات معدودة ولم يكن لها في العالم تاريخ • قد يسرح العالم قصة ، ولكن ذلك قليل جدا ، فما به حاجة الى ذلك والنصوص المسرحية ازاءه كثيرة : قديمة وحديثة وفي كل موضوع • ولا يسرح الا لمناسبة غير فنية • وقد تكون فرنسا قد لجأت الى شيء من ذلك ، وقد فعلته يوم ارادت ان « تكسرم » اندره جيد وهو اديب كبير • فماذا يصنع الكوميدي فرانسيز ؟ لقد نظر في قصصه فوقع على واحدة منها اسمها « كهوف الفاتيكان » ومسرحها ومثلها • ولكن المسرحية هذه وقد قامت بها اعلى سلطة فنية في اعلى مقر للتمثيل لم تلق نجاحا كبيرا ولم تدع الى الاستمرار ولم تجعل من قصة « كهوف الفاتيكان » مسرحية •

وليس صحيحا ان نسد الطريق ، ولنقل ان مسرحية القصة مسكنة ولكنها صعبة ، وصعبة جدا ، اذا أريد ان تكون لدينا مسرحية تطبع عنوانها : القربان • وهي بهذا تحتاج الى امكانيات « خارقة » • اما المسرحية بمعنى اعداد القصة للتمثيل وان تمثل في العراق ولعراقيين فلا تحتاج الى تلك الصفة من الامكانيات •

لقد اعلن ان القربان تعد للمسرح ، يعدها الاستاذ ياسين النصير • وربما كانت فكرة الاعداد في أول امرها فكرة فقط ، فكرة برافة حتى اذا سارت نحو التطبيق تضاعل البريق وحلت محله الصعوبة • وهنا اتضح للنصير اساسان متلازمان ، فالقربان « كعمل روائي له خصائص غيرها كعمل درامي ، وبالتالي فان كل شيء روائي يلتقي بكل شيء مسرحي عندما يضاف احدهما على الاخر رؤية معينة ، وهي اذن تجربة مركبة • • »

وكلما سار خطوة ازدادت الصعوبة : صعوبة تباين النوعين وتكاملهما في وقت واحد • وبذلما وسعه من جهد المواظبة والتأمل والمراجعة والتقديم والتأخير ، واستعان بخيرين هما الاستاذ سامي عبد الحميد والاستاذ المؤلف ، وظلت المهمة - مع ذلك - صعبة على المعد ، ويزيد المعد الصعوبة على نفسه تمسكه بالاساسين تمسكا دگماتيا وحرصه على ان يوفيهما حقهما دون تفریط

بواحد على حساب الآخر • وفي هذا خطر كبير لان عمله لن ينفرج عن مسرحية فقط وانما يؤدي الى مسرحية - قصة ، أو قصة - مسرحية • وهذا ما حدث •

صحيح ان المسرحية اضفت على جوانب من القصة لم تكن على البروز التي بدت في المسرحية ، ولكنها كانت اشبه بقراءة ثانية للقصة ، وانها احتفظت من القصة باكثر مما يجب ولم تدخل عليها كل ما يجب كأن المعد يعتز من القصة بكل صغيرة وكبيرة ، والمفترض ان تكون له القوة على التضحية بالصغير (والكبير) اذا اعترض الفن الدرامي • وقد يكون من ابسط الاشياء التي يمكن بترها مشهد ناجي وقد جاء يلاحق المعلم في مقهى دبش • • وعدد من وقفات تبدو زائدة في الذهاب والاياب قامت فيها الشخصوس وقعدت دون جدوى وكان يمكن الاستعاضة عنها باشارة ترد في حوار يتكره المعد في هذه المناسبة •

لقد بذل الاستاذ النصير جهده وحقق غير قليل •

(٣)

واعلن ان فرقة المسرح الفني الحديث مستعدة لتمثيل القربان ، وللفرقة رصيد « ضخم » لدى الجمهور العراقي ، كونه بطول تجربة وطول تضحية وسمو قصد وبراعة فن • • • وان الواحد منا مستعد لان يقطع تذكرة دخول الى اية مسرحية تعلن عنها •

وبدأ العرض من ١٣-١٢-١٩٧٥ وازدحم الناس على الشباك من يحجز ليلته ومن يحجز لاسبوع مقبل • وهذا مجد للمسرح العراقي لم يتكون في سهولة ويسر ولن يقصر التاريخ في اكباره •

وتوالت الايام الاولى والقاعة غاصة ، والمشاهدون معجبون بالتمثيل، يشجع الداخل منهم الخارج ويتمنون لو كان للفرقة قاعة غير هذه القاعة ليكون مدارها اوسع وتحركها البق ، وليسلم المشاهدون من الضيق والبرد - ولكن هذا التعكر لا يلبث ان يزول لدى انسجام المشاهد مع فرقته •

كم يسر المرء ان يرى في العراق هذه الباقية من الفنانين الذين يجمعون بين الابداع والتضحية ناظرين الى التمثيل كأعلى ما يكون من اهدافهم في الحياة •

تشهد « القربان » فلا تستطيع ان تؤاخذ مثلاً بصغيرة ، كأنهم خلقوا لهذه الادوار كلهم ، ولا موجب للنص على الاسماء ، فمن تبتدىء ؟ وبمن تنتهي ؟ ولا تنس الاخراج والديكور •• والادارة •

ويعود المرء يقابل بين القصة والمسرحية او يستذكر القصة وهو يشاهد المسرحية •• فيلاحظ ان البداية بالنهاية ليست فنا ، وان زنوبة في المسرحية أقل جنونا مما هي في القصة ، وكان ياسر في القصة (ق•د) قبل موت دبش اقل عنجية ، وعبدالله اقل صياحا ، ومختار اقل شكوى من العيش وضميره اقل وخزا ، وصباح اضعف شخصية والمعلم اقوى نفوذا •• انها ملاحظات فقط ، والا ففيها ما شد من العنصر الدرامي ، ومن ذلك موقف زنوبة من ياسر ، وبدا كأن وجود المعلم بالشكل الذي ظهر به على الخشبة ضرورة درامية لم يكن لها هذا الشأن من قبل •

وتبقى مسألة الجمهور الذي يبحث عن الضحك وعن معان كونها لنفسه قبل ان يلج باب القاعة ، انه ربما حمل الاشياء فوق ما تحتل وخرج بما اراده المؤلف والمعد - وربما الممثل - الى ما يريد هو • وهذا عيب - يتناقض مع الزمن - يرجع في اسبابه الى قصر عمر التجربة المسرحية في البلد وقصر عمر ان يكون للمسرح جمهور ، لقد بدأ العالم بالجمهور وبدأنا نحن بالمسرح • هو عيب لانه يعكر الجو الحقيقي ، ويكفي انه يحيل موقفا محزنا الى مضحك. وان المشاهد يضحك حيث يجب الاسى ، ويعلق حيث يلزم الصمت • وقد تكون الفرقة مسؤولة بعض الشيء عن نشوء ذلك ، لانها كانت - في ايامها الاولى من سعيها الى خلق جمهور عراقي - تضع نصب عينيها « تملقهم » بشكل وبآخر ، وتبقى من اوائل الامور بقايا على الايام •

لو جرى التمثيل في جو القصة لما سعت ضحكة او تعليقا ولخيم من
الكآبة على القاعة ما ربما يضيق به المشاهد العراقي - وهل جئنا لنحزن؟!!

لقد كان المؤلف يعلن في تصريحاته قبل صدور قصته ويعدها عن معان
خاصة في بيان حال الطبقة المسحوقة وانها ضحية وانها شعور واحد من اجل
المظلوم .. وما الى ذلك مما يرى القارىء شيئا منه في القصة وتفوته أنباء •
وكان المنتظر ان تظهر هذه النقاط على حروفها لدى التمثيل، ولكن النقاط
لم تظهر ، وعملت ضحكات من هذا المشاهد او ذاك وتعليقات من ذاك ، هذا
على محو بعض النقاط ..

ولكن مجموع المؤاخذات ، قلت أم كثرت ، صحيحة كانت أم وهما
لا تحول دون الاعجاب بالتمثيل والثناء على مجموع من التزم المشروع منذ
بداية كتابة القصة حتى نهاية ظهور الممثلين على خشبة • ويكفي انك شهدت
تمثيلا بارعا وابتهجت الى انك لم تفوت على نفسك فرصة المشاهدة وما انت
بواجد المتعة الفنية كل يوم ولا بمحقق لنفسك الابتهاج الفني في كل مكان •

التمثيل بارع .. ولئلا يكون قلبك قد جرى مجرى الغمط - يعود
فيرى للقصة ولمسرحتها حظا من الأرتياح الذي تهيم لك - وللمشاهدين
الالوف - لان المسألة التي اراءك هي كل ، وقد تتفاوت النسب في اسباب
الظاهرة ، ولكن لا بد من أخذ المجموع بنظر الاعتبار ، وما زال الطريق
مُويلا •

١٩٧٥-١٢-٣٠

دراسات معاصرة

صدر عن مديرية الثقافة الكردية العامة بوزارة الاعلام (بغداد ، مطبعة
الحوادث . د ١٩٧٥ ؟) مؤلفا من قسمين ، تضمن الاول اربع مقالات
ترجمها عن (الروسية) جودت بلال اسماعيل ، وتضمن القسم الثاني مقالتين:
لخص الدكتور إحسان فؤاد في الاولى كتاب تولستوي « ما هو الفن » وتضم
في الثانية حسين عارف في « الالات استحالة مطلقة » .

تأتي قيمة المقالات المترجمة من اهمية كتابها واهمية التجارب التي تقدمها،
من انها ترينا - على وجه حي - شيئا مما كان يحدث في الجو الادبي داخل
الاتحاد السوفيتي ، فنرى النقاش ووجهات النظر ، فنعلم ان المسألة ليست
دائما كما بدت في الخارج ، مسألة أوامر ونواهي وشوارع ضيقة محدودة
لا محيص عن السير فيها وحدها ...

تحدث « ايليا اهرنبورغ » عن « سيكولوجية الابداع الروائي » جواباً
عن سؤال وجهه اليه قارئ - مهندس ، هو : « لماذا يبدو ادبنا شاحبا
وضيعنا بالقياس الى حياتنا .. ان كتابنا الكلاسيكيين كانوا يكتبون على نحو
افضل ... » وكان مما قال اهرنبورغ : « لقد كانت مهمة اسلافنا العظام
اسهل بكثير من مهمتنا لانهم كانوا يصفون مجتسعا بطيء التغيير . اما مجتمعا
فانه يشهد امام انظارنا ، ويتغير الناس وتتغير العلاقات المتبادلة فيما بينهم
وتتغير نفسياتهم ... »

وتحدث « يلاكيويتسي » عن مراحل تطور الواقعية والاشتراكية .
والمعروف ان الواقعية الاشتراكية تبدأ عام ١٩٣٤ ، ولكن الكاتب يذكر انها
أسبق من ذلك ، لانها ليست مصطلحا ولكنها الادب الجديد ، فهي حركة
وسيلة لادراك الحياة وهي « تضرب بجذورها في اعماق تلك الفترة التي

بدأت فيها الحركة العمالية بالظهور ... واستمرت الحال الى عام ١٩٠٥ » ،
وهي ليست روسية فقط ، وانما يدخل فيها اناس وتتصل بهم اتجاهات من
أوربة . اتنا « لا نبحث عن العنصر المشترك الذي يجمع بين هؤلاء الكتاب
في الملامح والسمات الخارجية والشكلية ، بل في تلك العلاقات التي يمكن
اعتبارها العلامات الثابتة للواقعية الاشتراكية . ان العنصر المشترك هو ذلك
الاستيعاب الفني للواقع الذي يكون فيه الانسان الشخصية محيطه الاجتماعي
(كذا) في مركز اهتمام الكاتب الذي يدرك ان سلوكه الابطال وافعالهم
مرهونة تاريخيا . ان فناني الواقعية الاشتراكية يتميزون في الوقت ذاته
بسعيهم الدؤوب على طريق التجديد الاصيل وكذلك الايمان بضرورة
ايجاد لغة مشتركة مع الجمهور المتلقي والتأثير فيه ، وبوجود امكانية لتحقيق
ذلك ... »

واجاب بونداريوف عن سؤال « لماذا نكتب ، وكيف نكتب ؟ » بقوله :
« ان رغبات اغلب الكتاب .. تتطابق في شيء واحد هو البحث عن الحقيقة
واظهارها للانسان والتأكيد عليها » . ان « الادب .. حياة ثانية .. انه
رؤية الفنان لاعناق حقيقة الواقع والسلوك الانساني والوجود الانساني
وحقيقة الاشياء المحيطة به .. »

ويعرض مايكوفسكي في كلمة « الشعر والجمهور » المראה التي كان
يعانيها من اتهامه بالغموض ويقول : « الفن لا يولد جماهيريا ، ولكن ،
يصبح جماهيريا نتيجة لجملة من المجهودات كالتحليل النقدي الذي يبين
جدوى الفن وفائدته ... »

يلاحظ قاريء المقالات الاربع باللغة العربية تمكن المترجم من نقلها
وعرضها في سهولة ويسر وكأنها تكتب بالعربية ، وهذا امر مهم جدا في فن
يضعه في موضع المسؤول عن مواصلة العمل واغناء القارئ الجيد ، ثم
العربية بما ينقل من اراء وتجارب ونصوص مبدعة . وياحبذا لو استمر على
تخير المقالات الادبية المهمة ونقلها .

لم يكن القاريء العربي - وحتى الاوربي - يعرف شيئاً كثيراً عما جرى - ويجري - في الاتحاد السوفيتي من نقاش وسلب وايجاب في الرأي والابداع لدى التقدمي والرجعي .. وقد آن الاوان ان تكتمل الصورة وان ينتفع بالتجربة ويقف على اصح الحقائق وانفعها . ولا ولن يكون ذلك بغير الترجمة . وقد وضعنا السيد جودت بلال اسماعيل ازاء مقالات ذات دلالة كبيرة في الحياة الادبية ، فما احراه ان يزيدنا ، ولعله يشني بترجمة وقائع المؤتمر الاول لاتحاد الادباء السوفيت (١٩٣٤) ووقائع المؤتمر الثاني (١٩٥٤) ومختارات من وقائع المؤتمرات الاخرى ، انه يؤلف بذلك - لنا - كتاباً لا غنى عنه .

وكان المترجم في العادة ، يعلق بهوامش جيدة ، وقد ابدى في واحد منها حماسة خاصة نحو الكاتب الروسي ايفانوف بونين ، فقد قال انه من المع واعظم كتاب القصة القصيرة في النصف الاول من القرن العشرين .. كان من اقرب المقربين الى تشيخوف .. ولا ريب في ان بقاء هذا الكاتب خارج دائرة اهتمام كتاب القصة خسارة جسيمة .

ونحن نردد ما قاله ، ويتحمل بذلك المسؤولية الاولى اذا لم يختار لنا جملة من قصص ايفان بونين ويترجمها ويسد بذلك ثغرة هو اشد العارفين بها .

وتبقى بعد ذلك ملاحظات لا يخلو ابداءها من فائدة منها :

١ - اسم الكتاب . فاذا كان المضمون مجموعة مقالات ، فلم سمي « دراسات » والدراسة غير المقالة ، وغير عرض رأي خاص .

٢ - الاخراج . ذكرت المواد المترجمة على الغلاف الداخلي وكرر معها اسم المترجم اربع مرات وكان الانسب اخراج الكتاب بحيث يذكر مرّة واحدة تدل على الاربع .

٣ - وردت اخطاء في رسم الحروف ، واكثر ما ورد ذلك في الهمزة

مثل : أوصاف تم انتقاءها - ص ٢١ « و « ها هم قراءنا - ص ٤٢ «
« طوروا ارائهم - ص ٥٦ « ، « روعية الفنان ص ٦٧ « ، « ترن اصداؤها -
٧٧ « وصحيحها بالطبع : انتقاؤها ، قراؤنا ، اراءهم ، رؤية ، اصداؤها •

٤ - في التركيب • مثل دخول « هل » على « إن » (ص ١٧ ، ٢١ ،
٤٨ ، ٦٨) ، تكرار كلما في قوله « وكلما كانت هذه الافكار أكثر منطقية
ووضوحا كلما كانت قوة تأثيرها على عقول البشر اعظم - ص ٦٨ » •

والصحيح حذف « ان » وحذف « كلما » الثانية ويا حبذا لو جاءت :
« تأثيرها على » تأثيرها في « اكراما لجهود استاذنا الدكتور مصطفى
جواد » •

٥ - في الاعراب : « يستلك حواسا خس - ص ٦٨ » صحيحها خسا •

٦ - وردت على ص ١٩ : مصائر : وصحيحها مصاير •

٧ - ص ٦٨ : « الجنس اللطيف الذي يوجب الحياة لعالمنا »
والصحيح : يهب •

٨ - ص ٤٤ : « ان التباين في رسم الشخصيات ليس بنت اليوم » :
الصحيح : ابن اليوم •

٩ - ص ٦٣ : « .. توضح التعقيد والتشابك اللذان يشوبان الموقف
الراهن » • الصحيح : اللذين •

١٠ - ص ٣٠ « حياة تعيسة » الصحيح - فيما اعلم - حياة تعسة
(او تاعسة) •

وهذه الملاحظات مما يسهل تجنبه بعرض الترجمة على عارف باللغة
العربية استكمالا لشروط العمل وطلبا للكمال •

١١ - ص ٢٥ : « رواية ستندال الاسود والايض » : الصحيح : الاحمر
والاسود •

- ١٢ - ص ٤٤ : « راسين •• وكارنيل » : الصحيح : راسين وكورني •
- ١٣ - ص ٥٠ : « الماركيزة بومبادور محظية ملك فرنسا لودفيك الخامس عشر » : الصحيح : حظية •• لويس الخامس عشر •
- وهذه ملاحظات يمكن تجنبها بالاستعانة بعارف بتاريخ فرنسا وادبها •
- ١٤ - ذيل المترجم ثلاث مقالات بهوامش نافعة ، وترك واحدة دون ادنى هامش •
- وليس مجموع الملاحظات بالمهم الى جوار ما تمتع به المترجم من قدرة •• فالى المزيد •

كتاب فرنسة اليوم

تأليف بيير دهبوادر ، ترجمة الدكتور جميل جبر ، بيروت (١٩٦٩) ،
المنشورات العربية ، سلسلة ماذا اعرف - ٢ ، د.ت. ١٢٨ ص - صدر الاصل
ضمن سلسلة « ماذا اعرف » الفرنسية •

يقع الكتاب في ثلاثة اقسام ، الاول : ثلاثون سنة من التاريخ الادبي
١٩٤٠ - ١٩٦٩ ، الثاني : وجوه جديدة في الادب التقليدي ، الثالث : الادب
نحو لغة جديدة •

المؤلف من النقاد الباحثين المعروفين جيدا في فرنسة ، وهو معروف
للقارئ العربي بكتابه « معجم الادب المعاصر » ؛ وسلسلة « ماذا اعرف »
من سلاسل الكتب المعروفة جدا في فرنسة ، وهي تقدم حلقاتها في كتب
صغيرة الحجم كبيرة الفائدة يتولى تأليفها مختصون يعرضونها عرضا يبعدها
عن التعقيد الاكاديمي ، وقد نقلت منها الى العربية دار عويدات عددا غير
قليل في سلسلة سمتها « زدني علما » ؛ والمترجم اديب لبناني دكتوراه في
الاداب متمكن من العربية والفرنسية له كتب عن « أمين الريحاني » و « مي »
و « جبران » .. ولكن الذي حدث ان غلب التعثر على عباراته في « كتاب
فرنسة اليوم » ويحس القارئ بحاجة الى الدقة والصقل ، ويلاحظ المتابع
لهذه الترجمة امورا يحسن التنبيه عليها اكمالا للفائدة وتعاوناً على الانجاز ،
ومن هذه الملاحظات - مع مراعاة تسلسل الصفحات في الكتاب المترجم :

١ - ص ٦ : « وجود المسرحيين » ، يريد كتاب المسرحية •

٢ - ص ٩ : « كورناي » صحيحها كورني - ولا ادري لم يتبنى اللبنايون
لفظا غير صحيح لعلم مشهور جدا ممكن اللفظ الصحيح بالعربية •

٣ - ص ١١ : « برنافوس » صحيحها : برنانوس - وهو من الخطأ
المطبعي •

٤ - ص ١٣ : « الا ان ايمانويل ... فقد اوحى ... » ليس التركيب عربيا ، ويمكن تقويمه بأن يكون : « اما ايمانويل .. فقد اوحى ... » او ان يكون : « الا ان ايمانويل .. قد اوحى ... »

٥ - ص ١٦ : « شاغل الناس صار لا معرفة ما هو الانسان بل ما يستطيعه » . وقد تقيد المترجم بحرفية التركيب الفرنسي ، اما التركيب العربي فيمكن ان يكون : « لم يكن شاغل الناس معرفة ما هو الانسان ، بل معرفة ما يستطيعه » .

٦ - ص ١٦ : طفا : صحيحها طفى .

٧ - ص ١٧ : « ... فيما كلوديل ظل ينعم بسجده » ، فصيحها : « ... بينما ظل كلوديل ينعم بمجده » .

٨ - ص ١٧ : « اندره جيد ١٩٦٩ - ١٩٥١ » الصحيح : « اندره جيد ١٨٦٩ - ١٩٥١ - ولا بد من ان يكون الخطأ مطبعيا او راجعا الى السهو .
٩ - ص ٢١ : « جان كو » صحيحها جان كوكتو - والخطأ مطبعي .

١٠ - ص ٢٢ : « تخرج من دار المعلمين العليا » ، صحيحها . تخرج في دار ...

١١ - ص ٢٢ : « جان بول سارتر التهوع » قد يكون للمترجم وجهة نظر لغوية لدى ترجمته قصة سارتر Nausée بالتهوع . ولكن القصة منقولة الى العربية باسم الغثيان ، وعرفت للقارئ العربي بهذا الاسم ، وكان يمكننا الاحتفاظ به .

مناسب ان يحتفظ المترجم بما صار علما بالعربية لعلم من الكتب الاجنبية من ذلك كتاب « الوجود والعدم » وكتاب « نحو رواية جديدة » ، و « واقعية بلا ضفاف » . فلا موجب للتغيير في عنوان صحيح منها ، فتأتي في كتاب فرنسة اليوم هكذا : « الكينونة والعدم » ص ٢٢ ، « في سبيل رواية جديدة » ص ٥٢ ، « واقعية بدون شواطئ » - ص ١٢٤ .

١٢ - ص ٢٩ : « لئن كرز مالرو بالالتزام فهو ٠٠٠ » ، الصحيح :
« لئن دعا مالرو الى الالتزام ، انه ٠٠٠ »

ولا ندري من اين اتى المترجم بـ كـرـز ترجمة لـ Precher
التي تعني دعا الى ، وعظ . وقد عاد الى كرز مرة اخرى ص ٣٣ . اما الفاء
من « فهو » فقد جاءت في غير مكانها لعدم وجود شرط ، واللازم من « لئن »
للقسم ، يأتي جوابها من غير فاء كأن نقول « انه » .

١٣ - ص ٣٩-٤٠ « ارغون ٠٠ كاد يرئس اكاديمية جديدة » ٠٠٠
صحيح يرئس : يرأس بفتح عين الفعل المضارع ، وليس من الصحيح كسر
العين كما تفعل الصحافة اللبنانية .

١٤ - ص ٤٢ : « جيل سنة ١٩٥٩ » : جيل سنة ١٩٥٠ .

١٥ - ص ٥٤ : « افسحت » : فسحت .

١٦ - ص ٦٢ : « هل ان التقشف ٠٠٠ » : « هل التقشف ٠٠٠ »

١٧ - ص ٧٠ : ورد عنوان قصة لموترلان مترجما بالفتيان والصحيح انه
الفتيات - كما ورد على الصفحة ٤٧ .

١٨ - ص ٧٢ « الموت بدء » : الموت بدءا .

١٩ - ص ١١٥ « الشجاعة الام » : الام شجاعة .

٢٠ - ص ١١٦ « بوخت » : برشت .

٢١ - ص ١١٧ « المصائر » : المصاير .

٢٢ - ص ١٢٢ « ان ٠٠٠ ازدهار المحاولات الاصلية في معظم فروع
الفكر ٠٠ »

يترجم الدكتور جميل جبر كلمة Essai بالمحاولة - شأن عدد من
اللبنانيين - وهذا غير صحيح ، وغير منتظر منه ، فصحيح ان الكلمة تعني
- لغة - المحاولة ، ولكنها خرجت من الاستعمال اللغوي الى المصطلح الذي

صار عنوانا لنوع ادبي هو المقالة ، وليس معقولا ان نصف « المحاولة »
بالازدهار ، او ان تنسب « المحاولات » الى كتاب كبار عرفوا بمزاولة هذا
النوع الادبي ولهم فيه مؤلفات •

الصحيح ان نقول : ازدهار المقالات ••

٢٣ - ص ١٢٧ « ليل » أول الاسم دال وليس ياء •

٢٤ - ص ١٢٧ « موليار » : مولير - ولا موجب لاختراع هذا العلم الى
التصرف ، وعجيب ان يكتب البعض في لبنان : كورناي وموليار بدل كورني
ومولير وهم العارفون باللغة الفرنسية والادب الفرنسي •

٢٥ - يرد في الورقة الاخيرة من الكتاب سرد لاثار مؤلف « كتاب
فرنسة اليوم » ، وما يلاحظ ان اسمه رسم هنا « ييار » بينما ورد على
الغلاف بيار - وهو الصحيح ، وورد من كتبه اسم « قاموس الادب المعاصر »
ترجم الى العربية وصحيح انه ترجم الى العربية ولكن اسمه بالعربية « معجم
الادب المعاصر » والمناسب ان نحفظ بالاسم الذي ترجم به كما هو •

كنا نتمنى لو ان الدكتور جميل جبر - وهو الاديب الاستاذ الباحث -
بذل جهدا اكبر في ضبط الترجمة وصياغة العبارة العربية • ان لبنان تتحمل
مسؤولية خاصة في عالم الترجمة •

ان التسهل في أمر الترجمة يضاعف مهمة المترجم ويدعوه الى المتابعة ،
ويفتح ازاء العارفين باللغة الاجنبية واجبا جديدا ويجعل « نقد الترجمة »
ضرورة اية ضرورة •

١٩٧٥-١٢-١٩

أصول ترجمة العنوان

أجل ، فكل شيء يدخل دائرة الاجتماع والحضارة تكون له اصول..
وآداب .. ومنهج .. وفن وعلم .. ان شئت .

والقاعدة العلمية في نقل عنوان كتاب من لغة الى لغة ، ان تكون الترجمة
أمنية ، قريبة من الاصل قدر الامكان ، ولا عذر للتصرف البعيد ان امكن
القرب ، ولا موجب للتغيير والزيادة ان امكن الاحتفاظ بالاصل - والا
فالمسألة تخرج عن العلم والامانة الى نقائضها من جهل وابتزاز وما الى ذلك .
وقد بدأنا نترجم ..

وترجمنا عددا جيدا من الكتب واحتفظنا بالاصل الى مدى بعيد .
ولكننا لم نلتزم الجادة ، أجل ، ولا نقصد بهذا الى ما احدثت دور النشر
اللبنانية الرخيصة وراء الكسب التجاري الحرام مما اصدرت باقلام مجهولة
او موهومة او جاهلة .. وانما نقصد الى ما صدر - في بيروت أيضا -
عن دور نشر تعد محترمة وبقلام تعد كذلك ، وهذه ظاهرة خطيرة يحسن
التنبه عليها وإيقافها عند حدها ، وفضحها ان اشتتت أكثر مما يحتمل الصبر
.. ومعاتبتها على أي حال ..

- مثلا ؟

- مثلا ، هذا كتاب لنكولن ولسن يترجمه الاستاذ انيس زكي حسن
وتصدره « دار الاداب » بعنوان « المعقول والا معقول في الادب الحديث »
سنة ١٩٦٦ وكانت « المودة » « للا معقول » فاشتراه من اشتراه مرة مدفوعا
بالمودة ، ومرة بالحرص على فهم دلالة المصطلح الشائع ... واقبل ينظر فيه
لعله يجد ضالته ويستزيد شيئا عما يهمه .. وينظر ، فلا يجد ذلك الشيء
ولا بعضه والا فأين المسرح ، والمسرح أول ما يتصل باللامعقول ؟ وأين

يونسكو وهو والا معقول مقترنان ، ثم ما بال بكت لا يحتل من هذا الكتاب الذي بلغت صفحاته الـ (٢٩٦) غير (٥) صفحات ولم يرد فيها « غودو » الا عرضا ؟ لا ، ليس هذا كتابا في « المعقول والا معقول » الذي نحن بصده ، بل ان صاحبه لم يدل على هذا في مقدمته ، وتحدث وكأنه يختص كلامه بالرواية وبسكانها من الخيال والواقع ، والا فما دخل اعلام القصة الحديثة بالمصطلح الشائع ، لم ذهب جل الاهتمام الى من لا يمت « للا معقول » المصطلح بسبب علمي : . . . أميل زولا ، فولكنر ، سارتر ، روب غرييه ، ه.ج. ويلز ، غوغول ، موبسان . . . كازاتراكيس ؟؟

الأولى ان يرد اسم الكتاب هكذا « الخيال والواقع في الرواية الحديثة » لا بد - اذا - من الشك في ترجمة العنوان . ورويت ما جرى لي من الاستغراب والحدس . فقال عالم بالاصول : ليس « المعقول واللامعقول في الادب الحديث » من عنوان الكتاب : ان العنوان الذي وضعه المؤلف له هو : Strength to Dream

ويمكن ان تكون ترجمته قوة على الحلم او القوة على الحلم . . او ما اشبه ذلك . وكان من الممكن جدا ان يصدر الكتاب بالعربية بالعنوان الذي اختاره له مؤلفه ، واذا كان لا بد من تغيير فليكن قليلا ، لا يبعد بسادة الكتاب عن دلالتها ، فيكون - مثلا - « الواقع والخيال في الرواية الحديثة » .

أجل ، ان الكتاب لا يتناول « الادب الحديث » في شعره ومسرحه وقصصه . . وانما يتناوله في ناحية منه هي « الرواية » فقط .

واذ صدر الكتاب الى السوق العربية بعنوان لا يدل على المضمون ، امكن للمتأمل في الاسباب ان يقول بأن العنوان الصحيح يمكن ان يكون غير مربح والوقت وقت « مودة » الا معقول .

- عجب ! . . .

- والدار الاخرى محترمة ايضا ، تكاد تكون متخصصة بالنتاج الفرنسي،

ولا بأس فان بنا حاجة الى كل لغة ، ولا بأس في ان يتوزع العمل بشرط حسن النية وحسن التخطيط والامانة والدقة •• وسلامة اللغة العربية لدى التركيب والعرض •• اقول هذا لان الملاحظ ان هذه الدار لا تعنى بسلامة اللغة العربية وجمالها •

وقد اصدرت هذه الدار - ونسيت ان اذكر اسمها - « دار منشورات عويدات » سنة ١٩٧١ كتابا بعنوان « بحوث في الرواية الجديدة » من تأليف « ميشال بوتور » وترجمة « فريد انطونيوس » والاختلاف بين العنوان الفرنسي والعنوان العربي قليل ولكنه ذو خطر كبير ، لان الترجمة الدقيقة هي « مقالات عن الرواية » : Essais Sur le Roman

او - اذا شئنا ان نبقي قريين من ترجمة الدار - « بحوث في الرواية » • فممن اين جاءت الترجمة بكلمة « الجديدة » في العنوان العربي دون ان يكون لها دليل في « العنوان الفرنسي » ؟ حق القارىء ان يعزو ذلك الى ان الدار رأت اهتمام الناس - آنذاك - بما عرف في فرنسا ، بالرواية الجديدة ، وشيوع المصطلح لدى القارىء العربي شيوع « مودة » ، فهو مستعد ان يقتني الكتاب الذي يحمل عنوان المودة ويفضله على الذي لا يحمله - ولا عبرة بعد ذلك بالحقائق - انه يردد الان « الرواية الجديدة » ويعرف اسم الان روب غرييه ، وان كتابا لالان روب غرييه ترجم الى العربية ونجح ، عنوانه « نحو رواية جديدة » وفي الكتاب ذكر لميشال بوتور ••

من حق القارىء ان يذهب الى شيء من هذا والى ما هو ابعد منه ، وقد يرتطم - من غير قصد - بالقصد التجاري ، والا فلو كان وصف « الرواية » « بالجديدة » في صلب الموضوع لكان المؤلف اولى بوضعه •

ثم ان المؤلف نفسه لا يريد ان يحشر في حركة « الرواية الجديدة » والمترجم يعرف ذلك قبل القارىء ، فهو نفسه الذي ترجم في اخر الكتاب سؤالا وجهته اليه « مجلة » جاء فيه « انت تنتمي بحسب حكم الجمهور ، الى « الرواية الحديثة » - لم الحديثة وليس الجديدة ؟ - فما رأيك في ذلك ؟ •• »

وهو نفسه الذي ترجم جواب المؤلف «ان لتعبير - رواية حديثة - معنى تاريخيا واضحا : والامر يتعلق ببعض الروائيين الذين اشتهروا حوالي سنة ١٩٥٦ • ومن الواضح انه كان لهؤلاء الروائيين ، على اختلافهم ، نقاط مشتركة ••• وفي الدروس التي القيتها عن فن الرواية الفرنسي في القرن العشرين كنت مجبرا على تقديم الاشياء على هذه الصورة ، وعلى القبول بالانتماء الى « الرواية الحديثة » • الا ان هذا التقارب لم يسمح البتة بايجاد مذهب مشترك ، وقد شعرت طويلا بالانزعاج من نقاد نسبوا الي ، بحجة الرواية الحديثة « نظريات » غريبة عني ، مما ضاعف سوء التفاهم • »

ونأتي نحن لترجم كتابا لبوتور اصداره بعنوان « مقالات في الرواية » فنجعله « بحثاً في الرواية الجديدة » فزيد في مضاعفات سوء التفاهم •
- لماذا ؟

- وأنا أقول أيضا : لماذا ؟ ان لم يكن الجهل ، ولم يكن قصد المؤلف • فلم يبق الا قصد الجيب ، وأرجو ان اكون مخطئا في هذا •
- هل من مثل آخر ؟

- خذ ••• ومن الدار نفسها •• ولان نعزو المثل الجديد الى اللعب على الالفاظ اشرف من ان نعزوه الى الجهل ، لان الجهل سيكون فاضحا •
الكتاب هو « النقد الجمالي » تأليف : « اندريه ريشار » وترجمة « هنري زغيب » صدر سنة ١٩٧٤ •

وللفظة « الجمالي » وقع خاص على لسان ادباء اليوم ، ولم يعد القارىء العربي جاهلا بمدلول « النقد الجمالي » اذا سمع المصطلح او استعمله ، وأول ما تذهب به كلمة « النقد » ، الى النقد الادبي ، وأول ما تسير به كلمة « الجمالي » ، الى الوقوف عند الشكل والبحث فيما له من صورة وما لانفاضة من ايقاع ، ويكون « النقد الجمالي » بهذا متميزا عن الانواع الاخرى : العقائدي ، العلمي ، التاريخي ، الانطباعي •• الخ • وهذه النقود عامة

يزاولها اصحابها على الشعر والقصة والمسرح .. ثم هناك تخصص في النقد .
ولدى النقاد ، فمنهم من يختص بنقد الشعر ، ومنهم من يختص بنقد القصة ،
ومنهم من يختص بنقد المسرح . يستدعي هذا التخصص مر الزمن وتعدد
الحياة وغزارة النتاج وتعدد الانواع المبدعة - كما هو الحال في فرنسا .

- فهل يعني كتاب « النقد الجمالي » في منطوق اسمه العربي ما يجب ان
يفهم منه : نوعا من انواع النقود المخالفة تقف مهمته عند الشكل او جبال
الشكل ؟

- لا .. لانه لا يتخذ الادب من شعر وقصة ودرامة موضوعا . ولا يتخذ
من الشكل الخارجي حدا .. بدليل انك تستعرض فصوله كما قدمها المترجم
فتراه هكذا : النقد الاستعراضي ، النقد القياسي ، النقد الايديولوجي ،
النقد التاريخي ، النقد الشخصي ، النقد الفلسفي » . واذا كان عنوان الكتاب
الحقيقي « النقد الجمالي » ، والنقد الجمالي نوع من الانواع . فلم يدرس
- إذا - هذه الانواع كلها الا يعني ذلك خطأ في التخصيص ؟

وتعود الى الكتاب ثانية فتراه قائما في مادته على الرسم والنحت ..
اي ما يسمى بالفن التشكيلي . فينتفي بذلك ان يكون في النقد الادبي ، كما
اتنفي ان يكون نوعا واحدا من انواع النقد . انه في خلاصة الفحوى نقد
الفن التشكيلي ، واذا ضيقت من مدلول كلمة « الفن » وقصرتها على
التشكيليات او قصرت هذه عليه قلت : « نقد الفن » وبهذا تكون مطابقا
لقصد المؤلف وللعنوان الذي اختاره لكتابه : La Critique d'Art

أجل ، ان الترجمة الصحيحة هي « نقد الفن » ، ويمكن ان يكون هذا
النقد - كما كان فعلا - على انواع ، منها الايديولوجي ومنها التاريخي ومنها
الفلسفي ، والمؤلف - كما ينص صراحة في مقدمته - « المعايير » ولا يقف
عند معيار واحد ، ولا يدرس هذه المعايير المتعددة المختلفة الا في صلها بمادة
« الفن » ، وكلمة الفن حين تطلق هنا تدل على الخصوص الذي صارب اليه
أي المظاهر التشكيلية .

وقد مت « دار النشر » المؤلف بانه « واحد من قلائل يكتبون في الفن
... هو استاذ مبرز في مادتي التاريخ وتاريخ الفن » • وكلمة « الفن » حين
تطلق في هذه الحال ، يفهم منها – دون جدال – الفن التشكيلي ، ولا يذهب
الظن الى الادب او الجمال •

ويصل المؤلف الخاتمة فيذكر « بيكاسو » ، ويحاول ان يخص الطبعة
العربية بحديث قصير للعرب عن العرب فيذكر لهم « التصاوير والتماثيل »
و « الزخرفة » وكتاب بشر فارس « الفكر والزخرفة في الاسلام » •

وكل ذلك يعني ان ترجمة الكتاب الذي الفه « ريشار » « بالنقد
الجمالي » خطأ ، وان الاولى ان يترجم بـ « نقد الفن » او « نقد الفن
التشكيلي » • فكما يوجد نقد ادبي ، يوجد نقد فني ، واذا قال الفرنسيون
« نقد الفن » لا يذهب ذهنهم الى غير « نقد الفن التشكيلي » ، واذا قالوا
« الناقد الفني » Le Critique d'Art لم يذهب تصورهم الى غير ناقد
الفنون التشكيلية • اما اذا قلنا « النقد الجمالي » فان ذلك يعني عندهم
– وعندنا – أمرا آخر •

وبعد ...

فان الذي يخطئ في ترجمة عنوان الكتاب جهلا او علما ، لا يستطيع
أن يقنع القارئ بصحة ترجمة الكتاب نفسه !

١٩٧٥-٢-٦

اعادت نشرها جريدة « العلم » المغربية

في ملحقها الثقافي (الاسبوعي)

١٠ فبراير ١٩٧٥

نقد الترجمة

سرنا في الترجمة شوطا واذا اسقطنا الغناء والتجاري الصرف من اعمالنا ، بقي لنا قدر صالح ، يزداد علم الزمن لازدياد توفرننا على اللغة الاجنبية ولازدياد اقتناعنا باهمية الترجمة في كل ميدان •

والترجمة عمل صعب • ونظرة الى الجيد مما ترجمنا ندرك الجهد المبذول •• وندرك رغم ذلك - ضعفنا هنا او هناك ، مرة في اللغة العربية ومرة في الترجمة •• وهذا يعني ان لا بد من التعاون والتكامل • ووجدنا شيئا حسنا جدا من حيث القصد اليه ، الا وهو المراجعة والمراجع ، فمناسب - بل واجب - ان يمر الاثر المترجم قبل ان يخرج الى الناس ، على اخر او آخرين للتنبيه على اعوجاج في عبارة وسهو في مصطلح وبعد في تصور معنى وآثار ملل تؤدي الى عجلة • ولكن الذي حدث - وهو مؤسف بقدر ما هو منتظر - ان استحالت المراجعة تجارة ، بمعنى ان الناشرين - من يكونون - يضعون اسم المراجع ويختارونه ، في العادة ، لامعا ويدفعون له مبلغا معينا - لا بأس به - ويقبضه هو ثمنا للاعلان دون مراجعة او جد في المراجعة • بل انك تقرأ احيانا في اسماء المراجعين من لم يكونوا على المستوى اللائق مع العلم باللغة التي يراجع الترجمة عليها •

والمراجعة - في صورتها الصحيحة - نوع من النقد لانها تجنبنا كثيرا من الضلال ولكن الذي جرى لها في ربوعنا مؤسف لانه يفسد المعاني ويخرج الامور عن نصابها •

الا اتنا - على اي حال - لم نشترط المراجعة في كل ما نقلنا الى العربية او ننقل ، وبلاشترط صعب التنفيذ ، ثم ان المراجعة نفسها لا تستغني عن مراجعة اخرى •

اجل ، الترجمة عمل صعب وها نحن أولاء نترجم الكتاب اثر الكتاب ، ونقع في الخطأ تلو الخطأ .. تارة في اللفظ وطورا في المعنى وحينا في الاختيار .. ولا بد من تضافر الجهود طلبا للاحسن وحرصا على الحقيقة .. ومن هنا وجب قيام ناقلين متخصصين يتبعون ما يصدر من ترجمات ويبنون ما فيها من جودة ورداءة بعد ان يرجعوا الى الاصل الذي نقل الاثر عنه ويقابلوا وينشروا ما عثروا عليه ليخدموا القاريء ويفيدوا المترجم في طبعة تالية او في ترجمة اخرى .. وليبذل المترجم جهدا اكبر في ترجماته خوفا وحذرا لانه يعمل وعلى رأسه رقيب فيزيد من أناته ولا يلقي بالورق الى المطبعة ما لم يستنفد اقصى ما لديه من طاقة وعلم ، والتخصص بالترجمة او تفهها لا يعني - ابدا - معرفة اللغة وحدها ، وانما يشترط مع اللغة العلم بالمادة المترجمة وألفة الميدان الذي يجول فيه المترجم ..

اقول هذا .. وبين يدي كتاب من منشورات عويدات عنوا به « الرومنطيقية في الادب الفرنسي » تأليف ف.ل سولنيه وترجمة احمد دمشقية والمترجم يعرف اللغة الفرنسية التي ينقل عنها ، وانه بذل جهدا ملحوظا ، ومع هذا يمكن نستتبع ان يلاحظ انه قد يزيد كلمة لا موجب لها كما في قوله (ص ٣٥) « معركة الاسلوب والشكل » ولا يوجد في الاصل الا كلمة « الاسلوب » Style أو قد يترجم كلمة ترجمة حرفية لا تدل على مصطلحها كأن يقول (في الصفحة نفسها) في حديث عن احد الادباء : « لم يكتب .. اقل من مائة وعشرين قطعة » Pièce وهو يريد بقطعة : مسرحية . او يترجم كلمة بغير معناها فيقول (ص ١٩٥) « حيلة » بدل استفتاء (او استقصاء) Enquête او يتصرف بالمعاني بما يخرجها عن دلالتها فيقول (ص ١١٨) « المسرح العقائدي » والمقصود المسرح ذو المغزى الاجتماعي أو الاخلاقي à thèse ولا مجال للعقائدي - أو العقائد - فيه . ويترجم كلمة واحدة ترد اكثر من مرة بترجمتين مختلفتين لم يقصد المؤلف فيها الى هذا الاختلاف الذي قد يؤدي الى تغيير المعنى . والمناسب التزام ترجمة واحدة طبقا للاصول وحرصا على الدلالة . ففي ص ٩٢ ترجم عنوان

قصة لبالزاك باسم « السوسن » وترجمها نفسها في الصفحة نفسها باسم « الزنبقة » ثم عاد في الصفحة التالية ان « السوسن » والواجب التقيد بترجمة واحدة لان الاصل واحد Lys

وترجم عنوانا لقصة من قصص زولا (ص ١٤٤) : بطن باريس وص ١٦٤ ، قلب باريس - والاولى هي الصحيحة *Ventre* ، ويقول (ص ١٤١) الطبيعية ولكنه يقول في صفحة (أو صفحات تالية) الطبيعيات (ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦) - والاولى هي الصحيحة *Naturalisme* وترد كلمة *Conversion* في موضع (ص ١٦٣) مترجمة بالارتداد (الى الكثلثة) وفي موضع (ص ١٧١): اعتناق (الكثلثة) والمعنيان متقاربان ومؤيدان للفظ الفرنسي ، وان كان الاولى التزام واحد منهما ، ولكنه يترجم المرتدين الى الكاثوليكية (ومعتقيها) ص ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ بالصائبين ، ونحن نعلم أن الصائبية مصطلح لديانة بعينها ، ولا موجب لذلك . ثم ان المعنى اللغوي لصبأ وصائبين : خرج وخرجين أي خرج عن الكاثوليكية ، وخارجين عنها الى غيرها ، وقد يؤدي - وقد أدى - استعمالنا لها الى عكس المعنى المطلوب ، لان الادباء المقصودين لم يكونوا خارجين عن الكاثوليكية وانما كانوا عائدين اليها ، داخلين فيها •

ويحمل المترجم ، في اماكن مختلفة ، أحكام المؤلف اكثر مما تحتمل ، فاذا قال المؤلف يعرف هنري رينيه انه : « روائي •• وناقد مجيد ، وشاعر قبل كل شيء » قال المترجم يعتبر •• «الروائي والناقد الفذ ، شاعرا في الدرجة الاولى» ولا يمكن في اية حال ان تعنى *Critique de qualité* الناقد الفذ - تنظر ص ١٨٧ ، واذا قال المؤلف عن ديوان انه احد الكتب الاكثر امتاعا في الشعر الفرنسي الحديث - قال المترجم (ص ١٩٠) : هو الطف والذ كتاب في الشعر الفرنسي الحديث - والفرق بين ، ولا يمكن ان يعنى قول المؤلف ، ••• L'un des.. ما ذهب اليه المترجم •

وهناك مسائل تحتاج الى علم خارج العلم باللغة ، من ذلك ما جاء على ص ١٤٦ : « موباسان ٠٠ في عرض كتابه امسيات مدان » ، والصحيح : « موباسان ٠٠٠ في تقديم امسيات مدان » . ومعلوم ان « امسيات مدان » ليست من تأليف موباسان وانما هو مجموع قصصي اشترك في تأليفه عدة مؤلفين يجمعهم المذهب الطبيعي الذي يتزعمه زولا - وموباسان احدهم - هذا الى ان الاصل لا يحتوي على ضمير ، يعيد الامسيات الى موباسان .

وجاء على ص ١٦٦ عنوان كتاب لاناتول فرانس « حديقة ابوقراط » والصحيح « حديقة ابيقور » : Jardin d'Epicure.. وجاء على ص ١٥٠ من هذا ان بودلير عرض نظريته في مكانين وان له - لذلك - قصيدتين . وهذا ما لم يدل عليه كلام المؤلف اذ قال : « بودلير في نظريته عن المراسلات وعن « غابة الرموز » ومعلوم ان النظريتين جاءتا في قصيدة واحدة هي « المراسلات » Correspondances وقد يكون المفضل ان تترجم بالعلاقات .

ثم ان المترجم جعل ص ٧٨ من الشاعرة شاعرا فقال : « يستحق مارسيلين دييورد فالمرور ٠٠ التقدير والاحترام لصدق لهجته ٠٠ » والصحيح « نستحق مارسيلين دييورد فالمرور ٠٠ التقدير والاحترام لصدق لهجته » .

ومارسيلين دييورد فالمرور هذه شاعرة مشهورة احتلت - لما نشرت من دواوين رقيقة حزينة باكية - مكانا مرموقا في الرومانتيكية ، وقد اعجب بها كبار الرومانتيكيين وعلى رأسهم لامرتين وثيني وهيغو وسنت - بيف ، فهي في اعلى الدرجات من التجسيد النسائي للرومانتيكية ، وقد الف عنها سنت - بيف كتابا ، كما الف اخرون .

وفي الكتاب المترجم اشياء أخرى يمكن ان يقف عندها الناقد وينبه اليها ، ولكن المسألة هنا ، مسألة الامثلة والدلالة على الحاجة الى نقد الترجمة حتى في كتاب نقله مترجم محترم ونشرته دار محترمة ، وعلى ان هذا الذي وقع للاستاذ احمد دمشقية ممكن ان يقع لغيره . ولا نريد ان يبقى الخطأ كما هو وان يتحمل القارئ عبء الخطأ .

0

۱۰۰

۱۰۱

۱۰۲

۱۰۳

۱۰۴

۱۰۵

۱۰۶

من شؤون النقد

النقد الادبي العربي في العصر الحديث ابن النقد الادبي الغربي الحديث . مصطلحاتنا مصطلحاتهم ، مرة مترجمة ومرة باقية كما هي لديهم ومرة مشوهة ، بل ان كلمة « النقد الادبي » نفسها غريبة ، فلم يعرف العرب هذه اللفظة المركبة ، وقد اخذها عصرنا الحديث عن الفرنسية La Critique Littéraire او الانكليزية The Literary criticism واذا قلنا نقدا فقط فانما نقولها كما يفعل الفرنسيون او الانكليز .

والسبب ان «النقد» عند العرب لم يكن — لدى التحقيق — علما من علومهم المعترف بها، وانه ماكاد يودع القرن الخامس — او السادس — للهجرة حتى استحال بلاغة فقط ، ثم جمدت البلاغة واحترقت . . . ولم تصل الى عصرنا بما يجد فيها العصر الحديث ما يسد حاجته .

حتى اذا جاء الغرب وذهبنا اليه ولد النقد الادبي الحديث ، ولا غرو ان عدت من اوائل المهتمين بالنقد ومن مثيري قضايا العقاد ، ميخائيل نعيمة، المازني ، طه حسين ، ابو شادي . . فقد اتصل هؤلاء اتصالا وثيقا بالثقافة الغربية وبالنقد الادبي ، وانك اذ تقرأ « الغربال » او « الديوان » او « ابولو » أو « في الادب الجاهلي » . . لا تقرأ ماضيا عربيا ولكنك تقرأ الغرب في حاضره او ماضيه القريب . . ولم يكن المرصفي صاحب «الوسيلة» — بحال من الاحوال — رائدا للنقد الحديث . .

ولابد من اضافة « سلامة موسى » . . . حتى كان ما كان من امر الدكتور محمد مندور منذ مقالاته في « الثقافة » وكتابه الصغير الحجم الكبير الفائدة والاثر « في الأدب والنقد » . . . وتسير القافلة . . . وتكون الترجمة الى العربية منطلقا من العمل القيم الذي قدمه الى العربية الدكتور محمد عوض محمد « قواعد النقد الادبي » لابر كرومبي وتسضي الأمور من حسن الى احسن حتى تهياً له من نقد الغرب قدر صالح .

وتكون الكليات ، ودخول النقد الادبي العربي في مناهج اقسام اللغة العربية .. واللغات الاجنبية .

وكان لابد من الالتفات الى الماضي العربي ، فان فيه من الصفحات النقدية ومن الاثار والاراء مايمكن ان يكون شيئا ذا بال اذا استرنا بما للغرب من نقد وتاريخ وتآليف في التاريخ النقدي .. وهكذا .. كان « تاريخ النقد الادبي عند العرب » ولا غرو ان كان كتاب طه أحمد ابراهيم (١٩٣٧) أول كتاب ، فقد درس هذا الرجل النقد الادبي في فرنسا ، وكان من حسن حظ النقد الادبي عند العرب ان يضع حجر الاساس في بناء تاريخه اديب ذواقه بحائة كطه أحمد ابراهيم ..

اذا قيل لك ان مؤلفا عمل شيئا من لا شيء وذكر طه احمد ابراهيم فصدق دون تردد ، أجل فطه احمد ابراهيم عظيم نادر الوجود بين مؤلفينا .. واني مدين له بالكثير الكثير ... ولم يكن مرد هذا الدين اني قرأت كتابه أكثر من مرة فأفدت منه وافدت .. فهذا قليل من كثير وانما لاني هممت مرات ، ومنذ ١٩٤٢ ان افيه حقه من الاعظام واعرب عما يملؤني ازاءه من الاعجاب والحب .. فما استطعت ان ابلغ مرادي ... ولن اياس .

ثم توالى كتب اخرى .. كالنقد المنهجي عند العرب للدكتور مندور ، طه الحاجري ، محمد زغلول سلام ، احمد احمد بدوي ، عز الدين اسماعيل .. احسان عباس ..

وفيد من كتاب طه احمد ابراهيم كل من يؤلف في الموضوع او يدرسه .. ولكن نسب الامانة في دلائل الافادة والاشارة تختلف من واحد لآخر .. وان كانت في أحسن حالاتها اقل مما يقتضي الانصاف ..

ودخل الميدان من لم يكن من اهله .. ولم تجهزه الطبيعة بالذوق والشخصية ..

وبذلت مصر جهدا خاصا لاهياء البلاغة العربية ، ولكن الجهد جاء في

غير مكانه واوانه ، لقد سبق السيف العذل ... وقد ماتت البلاغة في الغرب ... ويصعب ان تحيا في الشرق ، وذهبت جهود أمين الخولي في « فن القول » وغيره هباء على ما للخولي من ذكاء ، لقد اراد ان يهيء للبلاغة العربية ما تهيأ للبلاغة الايطالية فاستعان بكتاب « في الاسلوب » او كتابين وكأنه اراد ان يجعل منها نقدا .. فما استطاع ... واتخذ الزيات « الدفاع عن البلاغة » قاعدة فما ارتفع الا قليلا ، وهو رجل اقرب الى القديم منه الى الجديد ، وادخل في الضيق منه في السعة .

وسعى منهج الدراسة الثانوية الذي وضعته مصر في « منهج الوحدة الثقافية » الى تجديد البلاغة ولكنه اذ جعل الكتب المقررة خلطا .. واذ لم يهيء اليد القوية والظرف المناسب .. اخفق في القصد والنسج .. ولا بد من ان يأتي يوم قريب يعترف بالاخفاق ويغير من طرائق الاجتهاد .

واذ كانت طلائع هذه الخطوات - وتناقضها - تظهر في مصر .. واحيانا في لبنان .. لم يكن منه شيء يذكر في العراق ، واذا كان فلا يتعدى التلقي والتصرف قليلا وقيحا في أكثر الحالات ، وقد يكون السبب ، ان المتلقين او المتصرفين لم يكونوا على حظ مناسب من العلم بالنقد الاجنبي وبالبلاغة الاجنبية ، وان يكون لهم حظ من شيء ، ولم يكن لهم حظوظ من اشياء اخرى ... ولا بد من ان يخرج العراق عن هذه المرحلة الى التجويد والتميز .. وبدأت في الجو بشار وفي مسألة الدراسة الثانوية نجح العراق في ان يحول دون الخلط الذي اكتنف الكتب العربية التي الفت في « هدى » « الوحدة الثقافية » فحشرت موضوعا في البلاغة الى جوار موضوع في النقد ، وموضوعا في الجنس الى جوار القصة القصيرة ، واللغز والتورية مع المسرحية والمقالة ... فقد فصلنا بين البلاغة والنقد فصلا تاما ... وكان هذا اضعف الايمان والا فالواجب الغاء البلاغة واذابتها في تضاعيف النقد الادبي .. لانها جزء طبيعي منه .

وليس النقد الادبي تاريخا فقط ، وليس قضايا ونظريات فقط ، وانما

هو عمل وتطبيق وكان مجال العرب القدماء محدودا في هذا الميدان ، لانهم لم يعرفوا الا نوعا واحدا من الشعر هو الغنائي (او الوجداني او الذاتي) وقد قالوا اشياء محترمة في مجال شعرهم ووقفوا وحققات صالحة في الحكم الشخصي القائم على الذوق الفردي ، او الحكم الملتزم بعقيدة ، او المرتبط بالعلم اللغوي والبلاغي ... وفي التصنيف والموازنة . وللمرء ان ينظر في كتاب طه احمد ابراهيم ليرى فضلهم او ينظر هنا وهناك فيما خلفوا من كتب كطبقات الشعراء والاغاني والموازنة والوساطة ... ولكنهم كادوا يحصرون عنايتهم بالجزئي ، وقلما خرجوا عن الشعر الى الشر .

ولو عرفوا انواعا اخرى من الانشاء الادبي كالملحمة والمسرحية والقصة ... لقال ناقدتهم رأيا هنا واصدر حكما هناك .. ولوسع من دائرة الادب ... ووسع من افق التصنيف .. وغار على اسرار ابعد .

واذ لم يكن لهم شيء من هذه الانواع التي عرفها الغرب (والشرق احيانا) كان تطبيقهم ضيقا شأن نظريتهم .

والمث الحضارة العربية - بشكل اخر - براء ارسطو في « الشعر » و « الخطابة » بل انها حاولت ان تترجم .. ولكنها اذ حاولت ، وقعت في حيرة ، فماذا عسى ان ينقل مترجم من كتابي ارسطو الى لغة ليس فيها ملحمة ومسرحية وعن « خطابة » غير خطابته .. واذا علمنا ان الذين طرّقوا هذا الباب لم يكونوا من أهل الذوق الادبي والاهتمام الادبي عرفنا اي مجال محدود جالت فيه المعلومات المنقولة الى لغة تكاد تكون غير عربية .. وليست المسألة مسألة منافسة وجدال لاننا نملك ما نقله ابو بشر متي بن يونس القنائي ، والفارابي وابن سينا وابن رشد .. ولك ان تقابل ما فعله هؤلاء بترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي لترى الفرق ولترى تقع القرب من الادب الغربي في مثل هذا الباب .

ويبدو الابتسار على ما اخذه العرب من الاغريق (والرومان) واضحا في تشبههم بالمنطق ، وبلغ الابتسار والجفاف قمتيهما فيما الت اليه البلاغة

العربية لدى السكاكي مرة ، وفي كتاب « منهاج البلغاء وسراج الادباء »
لحازم القرطاجني مرة .. فاذا اعترفنا بان هذه « بلاغة » ، فأين النقد ؟
واذا قلت : هذا نقد . قلنا : فأين الادب !؟

اننا نجد النقد العربي خارج كتب البلاغة .. نجده في كتب الادب
وفيما تناثر منه في هذه الكتب : البيان والتبيين ، الحيوان ، الاغاني ..
وفيما يمكن ان نعهده من كتب النقد : طبقات الشعراء ، عيار الشعر ، الموازنة ،
الوساطة .. ولا شك في اننا واجدون شيئا ، والا لما امكننا ان نؤلف كتبنا
حديثة محترمة في تاريخ هذه المادة ابتداء بطله أحمد ابراهيم وانتهاء - دون
انتهاء - بالدكتور احسان عباس - وقد استطاع ان يوسع الدائرة . ولكن
الذي حدث ان هذا النقد ادى دورا في مرحلة متقدمة وفي نطاق محدود
من دنيا الادب .. ثم جمد ونام مع جمود العرب ونومهم ..

على حين جد الغرب واجتهد .. ووجد - مبكرا - في تنوع ادبه مجالا
خصبا للسعة والعمق ... واذا كانت قواعد ارسطو قد قيده قرونا فانه
يتفلسف من اسرها واسر شراحها والمتزمتين في ادعاء فهمها منذ اواخر القرن
السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر ثم القت الروماتيسكية بثقلها على تلك
القواعد حتى باتت هباء .. وصارت محط السخرية .. وهنا ، هنا في القرن
التاسع عشر ، وفي أواسطه على وجه الخصوص ذاق النقد طعم الاستقلال ،
وصار على يد قوية مثل يد سنت ييف نوعا من الانواع .

واذا كان النقد الغربي - بالمعنى الصحيح - قد ولد في القرن التاسع
عشر ، فليس غريبا ان يولد نقدنا متأخرا عنه .. متأثرا به .. في القرن
العشرين - ان شئت . قلت متأثرا ... والمسألة اكثر من تأثر .

اطلعنا على اثار الغرب في القصة والشعر والمسرحية والملحمة .. واطلعنا
على آثاره في النقد نظرية وتطبيقا ، فأخذنا من كل بقدر ، مباشرة وغير مباشرة ،
مما كان بلغته أو مما نقل الى لغتنا فكان ذلك الاساس المتين لنقدنا الحديث
.. واذا كتبنا القصة والمسرحية .. والمقالة .. وادخلنا في شعرنا نسغا جديدا

من العاطفة والخيال والفكر .. توطد الاساس فكان لنا نقد تطبيقي على النصوص .. ونظري في اذاعة هذه الدعوة او تلك مما سبقنا الغرب اليه .. ووجدنا في الجرائد والمجلات - في مصر ولبنان - اداة طبيعية للاذاعة .. واتضح على وجه لا يقبل الجدل ان النقد الغربي هو النقد .. ولم يقف للجدال الا متعصب يقوم تعصبه على الجهل والقصور عن التعلم .. وهذا طبيعي في الاشياء .. ولكنه لا يلبث طويلا .. فما قيمة اراء الرافعي مثلا اراء طه حسين او العقاد .. وما نصيب من يقول : لا حاجة لنا بنقد الغرب ، لان النقد - كل النقد - موجود في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ؟!

نعم .. لنا آثار في النقد الادبي .. سدت مسد الفاعل يوما .. ولكنها توقفت عن العطاء ، وضعفت في النقود .. واننا لا نستغني عن الحي منها .. ثم لم هذا التعصب للقديم لانه قديم او لاننا قاصرون اذا كان خلاف طبيعة الاشياء .. وان ابن طباطبا نفسه لو كان حيا فينا لغير ووسع وطور .. بل ان الغرب نفسه لا يعير قديمه هذا الذي يريده لقديسنا فلان وفلان ممن سلفت صفاتهم العقلية .

٢١-٥-١٩٧٤

من شؤون النقد في البلاد العربية

من البديهيات أن الحضارة اخذ وعطاء ... وكل ما يبقى في الامر الحكمة في الاخذ والعطاء ، ولا يقابل الباطل بالباطل والجاهلية القديمة بالجاهلية الجديدة .

اننا في نقدنا الحديث تلاميذ للغرب ، وليس عيبا ان يكون المرء تلميذا لاستاذ قدير سبقه في التجربة ، وانما العيب ان نكر الحقيقة وان تطول مدة التلمذة وان يشوه التلميذ آثار الاستاذ ...

وكان لنا المعترفون ، النجباء الذين احسنوا التصرف .. وكان لنا الآخرون .. وهؤلاء الآخرون اصناف ، انزوى منها النصف المكابر الذي رأى في القديم غنية - أية غنية عن الجديد - لانه كان يحارب من غير عتاد ويتعاطف عن نقص .. ولكنه اذ انزوى خلف من لا يقل عنه سوءا .. خلف قوما زاولوا النقد على الاسس الغربية دون ان تكون لهم العدة او الأداة من هذه الاسس بل لقد بلغت بهم الجرأة ان تصدوا للتأليف فيها حتى صارت لدينا مجموعة من كتب النقد الادبي الغربي مخجلة .. واننا اذا لم نعاتب احمد الشايب او سيد قطب .. أو أحمد أمين .. فاننا نعاتب القراء .. وعددا من الاساتذة الذين تصدوا لتدريس النقد الادبي الغربي معولين على فلان وفلان من المجموعة .. ماذا يمكن ان نقول اذا رأينا الكتاب من هذه الكتب يطبع ويعاد طبعه .. مرتين وثلاثا .. وسبعاً .. وما زالت الطبعات تتوالى .. وحسبك ان تتولى لبنان اعادة الطبع بعد ان كان المصدر الاول القاهرة !

اقل ما يدل عليه هذا .. اضطراب المقاييس في مجتمعنا الادبي ، ورواج الادعاء ، والجبن عن ان نقول للمسيء اسأت ..

ولا يمكن ان تدوم مدرسة الشايب في التأليف النقدي قوية .. ولكنها

لا تعدم من يواصل تقاليدھا في التدريس الجامعي .. وهذا فظيع ولكنه قائم .. فالذين تعجبھم انفسھم موجودون ، واذ تعجبھم ، تسول لھم ان يتولوا تدريس النقد الادبي الغربي - دون عدة او عتاد - وتمكنھم اساليھم من تحقيق المآرب حتى مع وجود الفاضل ، والمؤهل .. ويبدأون يدرسون على ما يضحك الصبية ثم يجمعون شتات ما سموه محاضرات في كتاب .. يفرضونه على الطلبة فيشتريه هؤلاء وهم يعلمون مقدار خسارتھم ولكنھم تعلموا ان الغاية تبرر الوسطة .. ولا بد لھم من النجاح بأية وسيلة وعلى أي حساب ..

وغالب اقطاب هذه المدرسة من الاساتذة ابناء جيل مضى .. وانما الخشية في أن يوجد في الجيل اللاحق من هو على شاكلتھم ..

هذا في الجامعة .. والمسألة مسألة خشية وترقب .. اما في الميدان الاوسع .. في الجرائد والمجلات والكتب .. والنوادي والمحاضرات .. فقد خرج الامر من التوقع الى الواقع .. لقد تكلم أمس طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل وميخائيل نعيمة والزيات .. عن علم .. اما اليوم فانتا نصول ونجول من غير علم .. ولم العلم اذا وجد الادعاء ؟ ولم الحقيقة اذا جاز الزيف ؟ ولم التعب اذا امكنت الراحة ؟

تجد في الميدان من لا يملك اوليات الفروسية ولكنه ولا غنرة .. ألم يوجد دون كيشوت ؟

انھم يصدرون الاحكام اعتباطا ويخوضون في المادة الدقيقة التي ايسر لھم وكأنھا ولدت على ايديھم ..

هذه هي البلية المعاصرة .. ويزيد في شدتها ان يجد هؤلاء سوقا .. ولا يخفف من وقعھا الا انك تقرأ احيانا هنا وهناك اقلاما على حظ من الاتزان في الاخذ والعطاء .. ولكن كم تدوم هذه الاقلام في المقاومة ..؟ لتكن المدة قصيرة ، ولكن المستقبل - قرب أم بعد - للحقيقة والاتزان ، ولسنا بدعا في التاريخ .. واذا لم تولد الحقيقة فقد يولد الذوق ، واذا ولد الذوق فرض نفسه على كثير من الاشياء .. ولا تنس ان مشكلتنا - في اھم اسسھا -

ليست وجود النقد او عدمه بقدر ما هي مشكلة وجود النقد المستند على الذوق ..

وما يقال - وقيل - عن النقد الادبي من مجاله الضيق - او الصرف - أي معالجة المعاصرين للآثار المعاصرة تطبيقا وللآراء نظرية .. يقال عن مجاله الواسع وامتداداته الى انواع اخرى من الادب التعليمي ..

فتاريخ الادب مادة حديثة اخذناها عن الغرب .. وقد قطعنا فيه اشواطا حسنة في العموم والخصوص ، في التأليف عن عصر او عن علم او عن ظاهرة .. وكانت مصر البائدة في التجويد ، وعقد الاجماع على اهمية كتاب طه حسين في « ذكرى أبي العلاء » وطه حسين - وغيره - في ذلك تلامذة للغرب .. وللمستشرقين بوجه خاص .

وكان تاريخ الادب موضوعا مهما في الجامعة .. ووجد الباحثون في التراث العربي - في نصوصه واخباره واحكامه - مادة تنفع وتعين ...

أجل ، ف « تاريخ الادب » - كما هو - نوع غربي انتقل إلينا .. واذا كان لنا منه في الماضي مادة - فهي المادة الخام .. اما المنهج فهو غربي .. ويتكفي ان نعلم ان اسم « تاريخ الادب » لم يكن يوما مصطلحا عربيا ولم يعد فيما عدّ الاوائل من علوم ..

ثم تعددت الكليات .. والدراسات .. وكتبت مصر في تاريخ الادب كثيرا ، وشهدت كلياتها مئات الرسائل ، وفيها المهم ، الا ان المؤسف ان يكون فيها كثير هزيل ، وان يكون الجيد جدا - فضلا عن الممتاز حقيقة - قليل جدا .. كنت اتمنى ان تلزم مصر حدود مقتضيات المنهج الغربي في اختيار الموضوع وجمع مادته وعرضه .. ولكنها لم تفعل ذلك .. وكنت اتمنى أن أجد لمثل كتاب الدكتور يوسف خليف عن « الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي » اندادا كثيرة ..

وبرز الدكتور احسان عباس في تاريخ الادب ، واعماله في الادب الاندلسي شاهدة على ذلك .. ومع ان الاساس الذي قام عليه كتابه عن

ابي حيان التوحيدي « بحث عمله وهو طالب ليسانسن ، الا انه لم يستطع احد بعده ان يقترب من نفس ابي حيان كما اقترب ، على كثرة من تحدث عن ابي حيان وادعى العلم به .. اما كتابه عن « الشريف الرضي » فهو - الى الان - خير ما الف عن الشريف ، على كثرة الكاتين والمعجين

وانما المؤسف - في حالة الدكتور احسان عباس - ان تحول كثرة اسغاله وتعدد مشاريعه دون ان يسبح نفسه كاملة .. وان تؤدي الى التسويز والانشطار ..

و « الادب المقارن » نوع غربي مئة بالمئة . وقد احسنا اذ ترجمنا كتاب فان تيغم . ولكننا لم نحسن إذ° تجرأنا على التأليف دون فقه لاسس هذا النوع ومستلزماته .. وكنا في غنى عن ذلك لولا رنين الادعاء .. واذا كان العقيلي مسن يعاتب .. فان ريسون طحان أكثر عرضة للعتاب .. وقد مضى الدكتور محمد غنيسي هلال قبل اوانه ..

وقد قلنا كلمة في هزال من الف - ويؤلف - في « النقد الادبي الغربي » : اصوله وقواعده وتاريخه .. وذكرنا بالاحترام كتاب الدكتور مندور « في الادب والنقد » ولدينا غيره - بعده - كتب يمكن ان نذكر منها كتاب الدكتور محمد غنيسي هلال

وقد نكون الى الترجمة عن الغرب احوج منا الى التأليف .. وهذا حاصل وتقدمت الترجمة - اذا تجاهلنا الترجمات التجارية - وصار لدينا فيها مادة صالحة ..

واذكر بالخير آخر مترجم قرأت له الاستاذ محي الدين صبحي .. في « مقالة في النقد » .. والحقيقة ان الاهتمام الذي تبديه سوريا في ميدان الترجمة جدير بالتقدير .. وهو يؤيد بالطبع الاهتمام المصري .. وتصدر عن لبنان اشياء جديدة الا أن كثيرا من هذا الجيد يذهب ضحية للرداءة في غيره .. ان لبنان معد - لغويا - أكثر من غيره للترجمة .. ولكن وجود من يترجم

مستأجراً (بفتح الجيم) ، ووجود من يترجم مستأجراً (بكسر الجيم) يضع
علينا الحقيقة ويجعلنا نتشكك في أن يكون هذا الاسم المثبت على الغلاف هو
الفاعل الاول ... لاسيما اذا تكرر هذا الاسم مرات يصعب معها التصديق
ولا سيما اذا كانت لهذا الاسم « مشاغل » متعددة متنوعة ...

وقد وقع كتاب « النقد الادبي في فرنسا » فريسة بيد جورج سعد يونس
.. ولكن « عويدات » انتشلتة ...

قلت لبنان معد لغويا ، وقصدت الى وفرة من يعرف لغات اجنبية فيه
ولكن معرفة اللغة الاجنبية شيء وترجمة مادة علمية او فكرية شيء آخر ..
ثم ان عددا لا بأس به من المترجمين اللبنانيين يحتاج الى التمكن - النسبي -
من اللغة العربية ..

واذا كانت القصة بالنسبة للعربي تعني قصة فقط ، والمسرحية مسرحية
فقط .. فان القصة المترجمة والمسرحية المترجمة .. وتاريخ الادب المترجم
يعني لدينا مادة للنقد الادبي .. واذا كنا قد ترجمنا عن الفرنسية والانكليزية
والروسية .. فعلينا ان نسير غدا في الطريق .. والترجمة عن اللغات الاخرى
والامم الاخرى ..

١٩٧٤-٥-٢٢

النقد الأدبي في العراق – عن الريادة

تأخر اتصالنا بالغرب فتأخر لدينا ميلاد النقد الحديث • وأطلت مصر ولبنان علينا بكتبهما ومجلاتهما (ولا سيما المقتطف) فكان تنبهه وتبدل وشيء من قديم وجديد واختلف الشعر عما قبله غرضاً بمعالجته السياسة والاجتماع ، وصياغةً بابتعاده عن بقايا التزويق اللفظي وقربه من سمات الانسياب ••

وتنظر فترى قراءة للعقاد وطه حسين هنا ، وقراءة لميخائيل نعيمة وأمين الريحاني هناك ••• ولا ترى ما يشبه ذلك لقلم عراقي فتفهم ان لم يكن لنا نقد •

وتعود الى الجرائد والمجلات ومقدمات الدواوين وأبيات من الدواوين تبحث عما يكون لنا من نقد حديث • وقد تسمي ماتعثر به للكرملي والزهاوي والرصافي •• نقدا حديثا • وقد تقول ما هكذا النقد الحديث وليست هذه مقدمته الصحيحة • انها عود غير حميد الى الماضي ، ومؤاخذت لغوية وخطرات عابرة ، ولأمر ما ثارت الحزازات الشخصية ، وكان معنى « الانتقاد » بيان العيوب •• وكان الكرملي على الغاية من الخوف – ولا اقول الحذر – اذ قدم للباب الذي فتحه في مجلته باسم « المشارفة والانتقاد » وكأنه يطلب تعهدا خطيا من الاديب يأذن له فيه بأن يقول له اخطأت باللفظة الفلانية ، وقلت كذا وكان عليك ان تقول كذا •••

لو كان الكرملي غير الكرملي لكان للنقد شأن اخر ، ولكنه لم يزد على « ملا » يعرف لغات ، وخطرات الزهاوي التي ساقها شعرا ونثرا مقبولة في بابها ، ولكنه لا يبدو في تبنيها حسن النية ، وكنا نتمنى لو بدأ بنفسه فحملته خطراته على الاقلاع عن الشعر او الاقلال منه في أدنى تقدير •

نجد سمات من المقدمة الصحيحة للنقد بمعنى الريادة لدى محمود احمد (السيد) واذا كان الامر كذلك لم تعد محدودة بالشعر ، فقد تناولت القصة تناولا حسنا ، ولم تكن آراء متناثرة واحكاما عامة وتصحيحات لغوية ، وانما صرت تراها عرضا نظريا او عمليا في مقالة مكتملة . لقد نقد محمود احمد قصصا عراقية ومصرية ، وتحدث عن فن القصة في صحافة عراقية وصحافة سورية .. وتناول الشعر منطلقا من قاعدة ...

ساعده على ذلك اتصاله الحسن بالثقافة المصرية والادباء المصريين وقد بدأ يتوغل الفن القصصي فكانت الدعوة الى التصوير وكان محمود تيمور ، وساعده اتصاله الحسن بالثقافة التركية وقد نقل اليها المهمل من الادب القصصي الروسي والفرنسي وغيرهما ... فكانت بذلك نافذة اوسع من نافذة الآخرين ، ثم كانت - قبل ذلك وخلال - صلاته الوثيقة بحسين الرحال ، وقد عاد من أوربة يحمل الفكر التقدمي آنذاك وتقديرا بالغا للفن القصصي ، فكان عام ١٩٣٠ فاصلا في كيان محمود احمد ..

كان محمود احمد رائدا للقصة العراقية ... ورائدا للنقد الحديث ، ولو قدر له ان يمتلك اللغة العربية مباشرة لكان اكثر من رائد ، ولكنه لم يستطع ان يهيئ لنفسه هذا الاتصال المباشر حتى استحال عقدة فيه لا يخفف من حدتها الا نهم المطالعة لما ترجم الى العربية والتركية من آراء ونصوص وما كتب متأثرا بهذه الآراء والنصوص .

- انه - في نقده - تجددى تطوري واقعي شعبي ، ضد الاستغلال والاستعباد ، مع المضطهدين والساعين الى تصوير آلام الشعب العاملين على اعادة حقوقه . وقد أعرب عن ذلك بثورته على الروايات الخيالية - بما فيها رواياته الثلاث الاولى - وبتلخيصه لروايات من تولستوي وباعظامه لتورغنيف ودستوفسكي وتشيكوف .. وزولا .. وبحديثه عن احرار الاتراك ونقله من آثارهم ..

وله في نقد القصة كلمات مهمة تعدت الخطرات الى القواعد وخرجت من

التعميم الى تحديد المصطلحات ، ويمكن ان يجمع - اليوم - هذا التراث وينشر في كراس مستقل فيراه الرائي حيا جديرا بالتقدير .. من ذلك دعوته الى أن يكون القصص شعبيا « غايته تصوير الحياة الشعبية لتظهر للعيان الجوانب الكاملة والناقصة التي يسعى المصلحون الى اصلاحها (مجلة الحديث العراقية ، مايس ١٩٢٨) » ومنها مقالته في تحديد مدلول القصة الصغيرة وسماتها (في مجلة الحديث الحلبية ، شباط ١٩٣٠) ، ومنها مقالته « فجر القصة في العراق » وقد نبه الى مكانها (جريدة البلاد ، ٣٠ حزيران) ونوه بمكانتها الاستاذ عبدالاله احمد وقال - بحق - : « يمكن اعتبارها من انضج ما كتب في النقد القصصي في الثلاثينات ، ولفترة طويلة بعدها ... » .

ولا يذكر نقد القصة وتنسى مقالة لانور شاول في نقد قصة لمحمود احمد صدرت سنة ١٩٢٨ بعنوان « جلال خالد » ، فالمقالة وثيقة تظم الى وثائق محمود احمد وتكون وايها امرا حقيقيا من امور النقد الحديث ما كان ليكون حديثا دون اتصال بالادب الغربي ، ولكن انور شاول لم يواصل السير مع ما يملك من لغة ، ومحمود احمد ادى اقصى ما يستطيع ان يؤديه رجل لم يمتلك اللغة مباشرة ...

ومن كان كسحمود احمد وفي بلد كالعراق فنه الاول - ان لم يكن الوحيد - الشعر ، لا يجد بدا من تناول الشعر والشعراء ، وقد فعل ، ولكن محمودا الذي احتفظ بتوازنه في نقد القصة فوفق بين حمل الرسالة الفكرية ورعاية الفن ... لم يستطع في نقد الشعر ان يحتفظ بهذا التوازن ، فقد طغت الفكرة وضاع في خضمها الاهتمام بالشكل ، فهو لا يطالب الا بفكرة واحدة هي فكرته : « .. انني .. اتناول الفكرة من الشعر لا غلافها .. فان لم يكن للشاعر من مثل أعلى يطسح اليه في قصائده ، فهو ناظم او مسجل اراء لا أكثر ولا أقل » . كأنه يرى نفسه هنا - في نقد الشعر - إزاء اعلام بارزين - يكفي ان يكون بينهم الزهاوي - وانه يريد ان يغلبهم ، وييده وسيلة لا يملكونها ولم يصلوا اليها ، لانهم لم يقتربوا من الفكر الماركسي ولم يقترب هذا الفكر منهم ..

ان في منطلق محمود احمد لنقد الشعر خطورة ، كأنها - في ظاهرها - من مستلزمات النقد العقائدي ... اما في الباطن ، فهي تقتضي من صاحبها رسوخا في الفكرة وهدوءا في الاعصاب وطولا في التأمل والممارسة واستماعا لنصائح الهداة المجربين ... وهذا ما لم يتهياً لمحمود احمد ... ولا لكثيرين ممن جاءوا بعده وسلكوا سبيله •

اجل ستصبح « العقيدة » اساسا في النقد الادبي ... ويصبح « الادب للحياة » شعارا ... ولا يعني هذا ان محمود احمد هو الذي سيعمم هذا النقد ويشيع هذه الروح .. فقد ادرك محمودا الفتور ، وبدا السعي الى النقد العقيدي كأنه آت على انقطاع ، ومن جهات لم تكن على ارتباط وثيق بمحمود احمد السيد •

يصعب ان نجد بين رواد النقد العربي من ضرب على الاوتار التي ضرب عليها الرائد العراقي ، ويصعب ان يحتل النقد العقيدي من بلد عربي ما احتله من العراق •

١٩٧٤-٦-١١

الشعر .. وهل يموت؟!

رأى أرسطو ان الشعر محاكاة والمحاكاة غريزة في الانسان • ونيس
بالمسألة حاجة الى أرسطو ، ولكننا اعتدنا الاستشهاد بالادمغة الكبيرة اكراما
لها وتقوية لنا .. والا فالحال من البداة بمكان •

الشعر فطرة ، ولازمة من لوازم الحياة ، ترتاح اليه النفس وتتخفف
به وتوازن العناصر الاخرى داخلها وخارجها • ولم يكن هناك معلم او مدرسة
حين كان الشعر الاول والشاعر الاول ، وحين استمر طويلا ، كان فلان دون
قومه يقول الشعر فيستمعون اليه ويرددون وينشدون • كأنه شعرهم وكأنه
صدر عنهم • لدى الدفاع ولدى الهجوم • ولدى كل أمر ••

وأقل ما يعني هذا ، ان ما كان فطريا كان أصيلا في الانسان ، وما كان
أصيلا اكتسب صفة الدوام ••• وقد يتعر حينا ويضعف حينا ، الا انه
ينهض ويقوى كأن لم يكن هو المسؤول وانما المسؤول ظروف خارجة عن
طبيعته او انه المسؤول استدرك فأدرك ، فعاد هو هو ذهابا وايابا ، وقد تغير
منه العرض ، والجوهر باق ، أجل ، لا بد للانسان من شيء ، سمه ما شئت ،
وسمه الشعر ان قصدت الى التيسير •

ثم ان الشاعر لا يعني لنفسه حتى حين يعني لها وحدها ، أي أن هناك
طرفين « توصل » بينهما اللغة • هناك ثلاثة أشياء : مرسل ومتلق وسلك
رابط ، ولا بد من سلامة هذه العناصر مجتمعة لكي يكون الشعر في صحة ،
وقد بدت ، منذ يومها الاول ، سليمة ، واستمرت طويلا كذلك ، ولهذا كان
لها ما كان من شأن في المجتمعات والحضارات ، وربما استقل الشعر وحده
بالدلالة على الحضارة •• حتى اذا اختل عنصر ، اختل الجهاز فتوقف شأن
الشعر ، أو تلكأ وبدا كأن لا حاجة اليه ••• وما هي الا مدة - تقصر أو
تطول - حتى يصلح الجهاز ويعود الشعر الى مكانه ويتضح للناس الخطأ فيما
تصوروا •• ولكنه اذ يعود هذه المرة ، لا يعود كما كان في البداية ، منفردا
- أو شبه منفرد - في الميدان ، لان من شأن الحضارة التعقيد والتعقد ، فهو

– اذن – واحد من اشياء أخرى لم تكن من قبل او لم تكن لها هذه المكانة
... وهذه الاشياء الاخرى قريبة الصلة به متصلة بالمنبع الذي تنبثق منه ،
وقد كانت معه على وجه من الوجوه ، وهو لا يعود نسخة لما كان ، فلا بد
من تغير ما يتبع التغيرات الخارجية ويطاوعها ويستوعبها ، فما من طبيعة
الاشياء ان يبقى كما هو ، ولو بقي لما حفل به احد .

ويبحث العلماء في الظواهر الاجتماعية ويحاولون ان يجدوا لها في ضعفها
وقوتها اسبابا ، وفي الظواهر الاقتصادية كذلك .. وقد تكون الاسباب منفردة
أو مجتمعة ، مقبولة أو أقرب الى المقبولة ، فهي تعمل – على أي حال – في
مجال ممكن ، وملمس ...

ويبحثون في الظواهر غير المنظورة ، ومنها الشعر (والشاعرية) ، مرة
في مجال غيبي ومرة في التحليل النفسي ومرة في علم الاجتماع ... والاقتصاد
... بين اقصى المثالية واقصى المادية ويقولون اشياء قد تقبل ولكنها لا تقنع ،
بل انك تلاحظ التردد – والتناقض – على الاحكام التي يقدمونها اليك ، وقد
يتضمن التردد او الحكم نوعا من الاعتذار بصعوبة الحقل المتناول .

ليس ازدهار الشعر كازدهار الصناعة والزراعة ، والصحة الجسمية
والنفسية ، ولا تشترط مصاحبه لها انبثاقه عنها او انبثاقها عنه ، وليس
القحط فيه كالقحط في المواد الغذائية . ولكن العقل الانساني – مع ذلك –
لا يكل . فمن مزاياه المحاولة والدأب وقد يصل يوما الى السبب او الأسباب .
اما تشخيص الظاهرة نفسها فسهل وممكن ، لانها – في ابسط صنفاتها –
ظاهرة .

ازدهر الشعر العربي في الجاهلية ، واخرجت الجزيرة كبارا .. كل ذلك
وهي في حالة جاهلية ، ولكنه قحط وقد توحد ابناءؤها تحت لواء وخرجت من
حدودها الضيقة الى ما هو اوسع واوسع .. ثم عاد وازدهر .. وعاد وقحط بعد
المتنبى وازداد قحطا في القرون التالية ، اربعة قرون ، خمسة ، تسعة .. ولم
يكن القحط في الكمية ، فقد كان العدد عديدا ، ولكن العديد لم يزدوا

- لدى التحقيق - عن نظامين صغار ، فلماذا ؟ وفيهم العالم باللغة والعروض ..
والتاريخ والفقه .. ان اي واحد منهم يملك من العلم ما لم يملكه امرؤ
القيس ... فلماذا ؟

- لم ازدهر الشعر ؟ ولم قحط ؟

- يمكنك ان تذكر اسبابا كثيرة ، منها ما يتعلق بسعة مجال القول
وضيقه ، ومنها ما يتعلق بالتشجيع والتثييط ، ومنها ما يتعلق بالظروف
الاجتماعية .. وقد تقبل اسبابك ، ولكنها لا تقنع ، وقد تكون انت اول
متشكك بها .

وما جرى للعرب جرى لغيرهم من فرنسيين وانكليز ولمان ، لقد زاد
الشعراء في فرنسا في القرن السابع عشر وجودوا ، ولم يبلغوا هذا المبلغ في
القرن الثامن عشر ، واستأنفوا الجودة ، كما وكيفا في التاسع عشر . وقد تنوع
الشعر خلال هذه الماخرات ، بل انه في القرن التاسع عشر نفسه رأى صورا
لا تكاد تشبه الواحدة منها الاخرى من رومانتكية الى پارناسية الى رمزية ..
وقد بعد في كل ذلك كثيرا عما سمي بالكلاسيكية .

- لم هذا التغير ؟

- لان الاذواق تغيرت ، وحاجات العصر تغيرت ، والتاريخ تغير .

- الجواب مقبول .. ولكن لم يقحط الشعر حيننا ويزدهر حيننا ؟

- لا بد من ان يرد ذلك الى قصور فيه عن مساوقة الذوق ، عن استعمال
اللغة المناسبة التي تنقل ما في الطرف الاول من الجهاز الى الطرف الثاني ..
وقد يكون الطرف الاول قاصرا في « موهبته » . او يكون الطرف الثاني
في شغل شاغل - مؤقتا - عنه .. وقد تجتمع هذه « القصورات » وقد تفرق
.. ويزيد الموقف تعقيدا خفاء « الموهبة » على مدى المعرفة .. فما هي ؟
وكيف تكون ؟ واين .. ومتى .. ولم نراها عند من لا يدل اي شيء فيه
عليها ولا نراها عند من يملك كل مظاهر امتلاكها ؟؟

ولابد من ان تكون هناك مواهب كبيرة ، ومواهب صغيرة ، ومواهب ليست مواهب .. وشاعر يدرك غور الظرف وشاعر لا يدرك ، وظروف معينة على الاستثمار وظروف معاكسة ...

ولا يوصلنا - هذا كله - الى جواب عن ازمة شعرية تقع لانه يعمم ولا يحدد ، ويعدد ولا يوحد ..

والعلم في بحث دائب ، وقد يصل ، قد ..

ونعود الى ما نحن فيه واقرب اليه : الازمة ، وهل الشعر في ازمة ؟ وتعني الازمة - هنا - وجوها مختلفة : القحط والرداءة في الوجود ، وانصراف الناس عن الوجود ... وليس الامر مقصورا على ازمة دون ازمة ؟ وقد مر الشعر الاوربي بذلك ... في سنوات من القرن التاسع عشر .. وخيل الى الناس ، والى الباحثين - أن أمر الشعر قد انتهى : فلم يعد له مكان في المجتمع ، ولا يهتم به الناس ، ولا يجدون اليه حاجة .. وما الحاجة اليه والعصر عصر علم وصناعة واختراعات ميكانيكية .. والشعر وسيلة بدائية ومظهر فطري .. وقد تعقدت الحياة وتحضر الناس ؟!

وكاد السامعون يستقيمون الى هذه النظرة ويستسلمون الى هذه المقولة ، ولم يدر بخلد اصحابها - وفيهم علماء ومفكرون - شيء من الضلال في حكمهم ، ولم يسر ببالهم ان الامر سيتغير ، وسيولد من الشعراء من هم أكبر ممن رأوا ، ويولد من الشعر طراز ما كان من قبل .. وسيصغي الناس الى هذا الشعرون ويرون فيه كثيرا مما في انفسهم ويقبلون عليه .. وقد يصحب ذلك كفر بالآلة وبالعلم الصرف ..

لم يدر ببالهم ..

ولكن هذا الذي حدث ..

واذن ، فليس عصر العلم نافيا للشعر ، وليس خمود الشعر ابديا ، انه خمود مؤقت وليس موتا ، انه ، توقف بانتظار الحركة ..

وكان حريا بالناس ان يتخذوا عبرة مما جرى • والا يكرروا الحال ويعيدوا السقطة • فليست الازمة خالدة ، انها ازمة وليست موتا • ولكن العبرة لم تتمكن من النفوس ، أو ان الاجيال تنسى احيانا • • فما عادت المكتشفات العلمية والاختراعات الحديدية وغير الحديدية • والفلسفات الموهلة في العقل ، حتى بدأ قوم يتشككون في قيمة الشعر وصلاحه للحياة ، ويرون ان زمانه قد انتهى ، وانه ابن الجاهلية والبداءة ، ولا مكان له في القرن العشرين ، عصر الذرة والصاروخ والمشي على القمر • • وصاح صائح : ابن الشعر اين ؟ ما باله قد اختفى ؟ لقد ثبت عجزه وتأيد انتهاؤه !

وصدق المقولة من صدق • وكثير من الناس يصدقون آذانهم ولا سيما اذا كان الظرف مناسباً ، وتلفتوا فرأوا علما ولم يروا الشعر ، رأوا شواهد العمارات ولم يروا عوالي المعلقة ، وبرزت التكنولوجيا على انها نقيض الشعر وانها العامل في القضاء عليه •

وليس الرأي صحيحا ، لان الشعر لا يقتل ، ولكنه قد يضعف ، وقد يستهان به ، وقد تقل عوامل ازدهاره • • • ثم لا يلبث ان يعود ، اما لانه عرف الحياة الجديدة وعبر عنها واما لان الحياة الجديدة عرفته واصلحت شأنها •

ان العلوم ، والتكنولوجيا ، من مفاخر الانسان ، وما كان كذا لا يقضي على مفاخر الانسان الاخرى وانما يؤيدها ويفسح لها المجال ويتكامل معها • وليست المسألة مناقضة بين طرفين وانما هي مسألة سوء فهم وسوء استعمال واختلال بالتوازن وتصرف غير مدني ، لان التصرف الصحيح ان يستغل الانسان كل شيء في سبيل سعادته أي سعادة مجتمعة ، في سبيل ان يخلص الحياة من الالام ويحليها رخاء • وبديهي جدا ، ان الحضارة ليست عمارات شاهقة ومكائن وطيارات وصواريخ • • • انها اذا ارادت ان تكون صحيحة راقية لائقة بما يراه الانسان لنفسه من عقل وعاطفة • • • تشترط التوازن • • • بل ان الانسان الذي يسيطر على الطبيعة بعقله ، يبقى لديه نقص لا يسده عقله ،

وفائض وقت هو والوقت الذي صرفه العقل سواء في القيمة ، انه يرى من
تسام الحياة ومن تمام حاجاته ، وربما ابعد حاجاته : الفنون الجميلة ، ومن
الفنون الجميلة الشعر ، ومن الفلاسفة من يعد الشعر قمة الفنون •

ان الانسان الذي يصارع يحتاج الى الشعر وسيلة من وسائل الصراع ،
فاذا نجح ، ويجب ان ينجح ، احتاج الى الشعر وسيلة من وسائل الجمال ،
بل انه لا يعود يكتفي بهذا الشعر الذي يسمعه من مواطنيه اليوم ، وانما
يزيد عليه ما بقى في لغته على الزمان ، ثم لا يكتفي بهذا الذي في لغته ، وانما
يتقصى الروائع مما جادت به قرائح الامم الاخرى ••

وهو اذ يقرأ او يسمع يحس بانه حفظ التوازن في الحياة وانه انسان
فعلا •

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥

هل الشعر العربي في أزمة ؟

ان صيغة الاستفهام هذه واللهجة المناسبة في حروفها ، تقرير لازمة ، أي ان الشعر العربي في أزمة ، وقد يكون ادق من ذلك أن نتذكر ان اسنمعالنا لكلمة ازمة هذه ترجمة لـ "Crise" وان كنا نملك حروف اللفظة من قبل ... وليس الشعر الذي هو في أزمة ، انه في رداءة ، في قحط الجودة ، انه من حيث الكمية كثير ، وربما كثير جدا ، وحسبك ما ترى منه في الجرائد والمجلات ... والكتب ... والدواوين الصادرة فرادى وثنى في كل قطر من بلاد العرب ... وفيها الشعر العمودي التقليدي ، والحر ، والنثر ، تبحث فيه عن قصيدة تعجبك فتدهشك فلا تكاد ترى ، ولا ترى ... ولتكن بعد ذلك ، من أي نمط يتعصب له صاحبه اقصى التعصب ويناقش ويطيل النقاش كأنه الغاية ، وكأن المهم ان تكون القصيدة عمودية او حرة او نثرا ... وليس المهم ان تكون شعرا .

ولابد من ان يكون الدافع وراء الجدل هو قحط الجودة ، والا فيستطيع أي مناقش ان يقدم لك - عوضا عن الاطالة والغضب والتعصب - نتائج ، ويقول هاك اقرأ ، فتقرأ ، فتقول ، انه الشعر روحا وقوة وصورة وأثرا وتأثيرا ، ان لك لموهبة ! ومن قال ان الشعر في أزمة !

اجل ، ولكن هذا لم يتهيا ، وان ما يقذف به الشعراء من كل نوع ومن كل قطر ، الفاظ ، الفاظ جوف يريدونها اصحابها ان تكون ذات معنى وان يكون المعنى مبتكرا ، جديدا لم يسبق . فصاحب الشعر العمودي يرى انه استأنف المتنبي ، ولولا قليل من الحياء لزاد في القول ، وصاحب الشعر الحر يرى انه استأنف الشعر كله .. ولكنك اذا فتشت وراء هذا وذلك لم تجد طائلا ،

فلا العمودي كالعمودي ولا ! الحر كالحر • لقد استحال العمودي كلاما منتظما على بحر وقافية ، وقد تطول القصيدة وتطول دون ان تكون شعرا ، وليس هذا بالقليل كمية في مصر وسورية ولبنان والعراق وكل مكان • • ولكن جعجة الجدل حالت دون سماعه وشدة الهزال عرضت دون رؤيته •

ولو سكت هؤلاء لوفروا علينا الجبر والورق • • • والوقت ، ولكنهم لم يسكتوا لانهم يبحثون عن سند لوجودهم وعن مسوغ لكيانهم ، ومنهم من يحقق بهذا الشعر الذي ليس شعرا مكاسب جمّة ، مادية ومعنوية • وهذا هو العيب في الشعر العمودي ، انه نظم ، وليس هو في ازمة من حيث هو وزن وقافية ، ومن حيث هو كمية • • انه في بجوحة من ذلك ، ولكنه في ازمة الجودة والابداع ، وقد يكون الانسب ان نقول ان الشاعر العمودي في ازمة ، أجل ، فهو المتأزم ، ولم يأت تأزمه من حالة نفسية تحتويه ويريد ان يعرب عنها • فتلك ازمة بناء تؤدي الى الشعر لدى انفراجها • • او ان الشعر الصحيح يؤدي الى انفراجها ، ولكنها ازمة الموهبة فيه ، فهو لا يملك الاساس الفطري للمجد الذي يتصدى له ، ولا يملك القابلية على استيعاب نفسه وعصره ليصل الى نفوس الآخرين وينفذ الى قلوبهم وعقولهم • وتعني الازمة هنا القحط ، الجذب • واذا اجذب امرؤ من الموهبة كان نتاجه الجفاف والموت ، وايداء اسماع الآخرين وابصارهم ، ويذهب الجوهر ولا يخلف غير الادعاء ، والتنقل بالادعاء من ميدان الى ميدان ، من ميدان الشعر الى ميدان الجدل بين العمودي والحر ، الى ميدان مهاجمة النقاد • • • والاذواق ، والناس الذين لا يقدرّون الشعر !

وليس الشاعر ، أي الذي يعرض نفسه في الناس ، في المؤتمرات • • • على انه شاعر بالغبي ، وانما هو المتغابي الذي يريد ان يصطاد وبكل سبب • ولو وجدت الموهبة لاصطاد بها ، ولكنه اذ فقدما تسليح بالهواء • وجيش

جوشا وهية وشن غارات مجانية ، مرة على الاذواق التي فسدت ، ومرة على النقاد الذين لا يعرفون قدره ، ومرة على العصر المتأخر ، الحقير ، عصر المادة والتكالب الذي تضيق في خصمه المثل العليا

ويعود لينظم ، وهنا يرى نفسه في « مرآة الغريبة » فيراها كما هي عاجزة عن النظم ، مجردة من الموهبة ، يحاول فلا يستطيع ، يهم فيتقهقر ، ويكون الناتج بعد الجهد الجهد : قصيدة طويلة من البحر الطويل والقافية الطويلة وكل شيء غير الشعر والشاعرية فيزداد تأزما وحقدا .. ويلج بصعود المنابر وتصدر المهرجانات ..

هذه هي الحقيقة يا شعراء العمود ، ليس العيب في العمود او في الناس والعصر ، انه فيكم . ولو كان منكم من هو على قدر شوقي ووزن الجواهري لكان فوق الازمة ولفرض شعره على الرائج والغادي ، القديم والحديث ، وليست المسألة فرضا قدر ما هي استجابة وحاجة .

ومشكلة اصحاب الشعر الحر ، ليست في انهم تحرروا من بحور الخليل والقافية ، لقد تحرروا فسودوا الجرائد والمجلات ودونوا الدواوين وجلدوا الكتب ، فما دلوا على الموهبة ولا قدموا للعصر الشعر ، فلاذوا بالتقاسم ، بالمعركة ، بنقل الموضوع من ميدان الى ميدان . من الموهبة والابداع الى الصراع بين القديم والجديد ، الى الهجوم على الخليل ، والنقاد ، والاذواق ولو كانوا صريحين لكانوا - كما هم ازاء المرأة المجلوة - قحطا في الموهبة وغزارة في النتائج ، ولا قيمة للثاني اذا كان الاول يعرفونها خيرا من غيرهم ، ولكن المسألة مسألة تثبت بالوجود ، فاذا كانت وراء هذا التثبت نتيجة ملموسة ، ايده من ايده ممن لا يدري جوهر الشعر ، ومن يطبل بالتجديد للتجديد ليميز عن أهل القديم ، ثم ما الذي يميز الجديد ؟ الغموض فخذوا الغموض ، الصور الغائمة ، التعبيرات الغائمة ، الظهور بمظهر الغريبي ، الاساطير والرموز ، التمثيل لدى الالتقاء ، الكسموبوليتيه البحث عن رئيس تحرير يريد ان يروج لمجلته بشيء .. الجرأة ان لزمت الجرأة ، انضعف ان استدعى الامر ضعفا خذوا الصور الغائمة وخذوا

وهذه كلها خارجة عن طبيعة العمل ، والشعر كثير ، وأكثر من المطلوب ، ولكنه مصاب بقحط الجودة ، وهذه الرداءة هي السر في الكساد ، وهم يعرفون ذلك ، ولكن الدهاء يقتضي المغالطة واشعال المعركة تغطية للحقيقة وكسبا للانصار ، والا فان القصيدة الجيدة تفرض نفسها ، ويعجب بها القارئ قبل ان تكون عمودية او حرة او ثرية ، وليس الشعر الشعر مما يخفى على الناس وعلى النقاد ، والشعراء انفسهم يعرفون ذلك جيدا لانهم هم انفسهم الذين يعانون الازمة . ومن كان كذلك فر من الحقيقة الى الباطل وزاد من نسب المساحيق لیتهم بالمساحيق ، ولو جاءوا بالشعر الجيد لوجدوا القراء . . . والمعجبين . ألم يكن السياب جديدا ؟

ما اشتهر الشعر الجديد بالشعر القديم من حيث جذب المواهب ونضوب الابداع ، وظاهر الحال في هذا يدعو الى اتفاق الطرفين لان قضيتهم واحدة ، والازمة واحدة ، ولكن واقعها لم يؤد الى هذا الاتفاق لانه يضر المعجبين به ، ولانه يقتضي ان يتفقوا على التصريح بالحقيقة والقاء السلاح وراحة القراء بانتظار من يدخل الساحة دخولا طبيعيا مزودا بالموهبة والمؤهلات الاخرى ، فيقول الشعر الشعر ، فيسمعه السامع فيتبعه ويبحث عن قصائده لانه شاعر ولانه استوعب العصر . . ويمكن بعد ذلك ان يصدق كل ما يقوله عن نفسه ، وأكبر الظن انه لن يحتاج الى الكذب واللفظ ، ولن يحتدم في صراع .

وحتى يولد هذا الشاعر . . . فالشعراء في ازمة . . . واشتدي ازمة

تنفرجي .

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦

هل يلغي النقد بعضه بعضاً

لا ، لا يلغي ، والا فقد قيمته واضاع وجوده واستحال ضرباً من الهزل واللعب والنبت ، ولأضربت عنه البشرية مبكراً وبحث عن بديل قبل ان يستقر وتكون له المكانة التي يعترف بها العقل وتوثقها الحضارة •

اتريد ان نبدأ بالواقع الراهن ، وهو ما ترى للنقد في الصحافة والمنتديات والجمعيات ... والكتب وأروقة الجامعات ، وما ترى من توطد وتوسع وسعة ، وما ترى من خدمات للقارئ والكاتب والنص نفسه ؟

أم نبدأ بالبداية ، ولو لم يكن النقد في الصميم من الكيان الانساني لما بدأ معه ، ولما استمر ، ولما تميز صاحبه من بين العشرات ثم الالوف ثم الملايين ... بالحس المرهف والذوق المهدب والنباهة والخفة في الحكم والاختيار والتيسير . ثم سارت القافلة فكان تاريخ حافل بالثمار والنتاج والاقلام والأذهان .. هو في الوقت نفسه تاريخ للذوق الانساني في سيره وتطوره وتمكنه •

تقول : انك من حسن الظن كمن يدافع عن قضيته ، والا فاين انت مما وقع فيه النقاد من تناقض ؟ اين انت من ناقد يعجب وناقد يزعج والنص واحد والشاعر واحد ؟ اين انت من زمان بالغ في قصيدة فحفظها واستعادها وغبر يترأ ويسمع ويشرح ثم تلبث القصيدة ان اندثرت وكأنها لم تكن ، يقرأها زمن آخر فلا تثير فيه حساً ، واذا اثارته فهو الاشمئزاز والعجب من سلف لم يكن له ميزان ؟ اين انت من قصة مبدعة لم تلق الاهتمام اللازم والخطوة الكافية ثم أتى زمان رأى فيها الرأي الصحيح فرفعها ورفع صاحبها ؟

وبولك صحيح ، فلقد وقع ذلك يوم كان المظهر النقدي يصدر عن هوى شخصي راحة آنية ولدى تولي أمور النقد من لم يكن في كيانه ما يدرك

به سر الابداع ولم يكن في هدفه الاخلاص لوجه الحقيقة ... وقد جرت الامور خارج الصميم •

وفرق بين ما كان ويكون ، ولا يشذ النقد في هذا عن أية ظاهرة من النشاط الانساني ، وليس العيب في النقد ، وانما هو في المتصدين للنقد ، في الظروف الخارجية المتحكمة بهم وفرضتهم يقدمون ويؤخرون ويحلون ويحرمون ... ولو كانوا اهلا للمهمة لادوها صحيحة تسند ما سبقها ويسندها ما لحقها ... في أية صورة كانت من الايجاز والاطناب ، من الحكم والتعليل ... وفارق بين ان نعزو الخطأ الى المتصدي وبين ان نعزوه الى النقد نفسه ! •

ما بالنأ نقف عند أمثلة من التضارب والتناقض « والتلافي » ولا نقف عند أمثلة من الانسجام والتعاقد والتآزر ، وهي قائمة بل كثيرة تكفي فيها نظرة الى الادب العربي ، نظرة الى الشعر الجاهلي • ألم تكن « ققائبك » و « أمن أم أوفى » و « غفت الديار » و « لخولة اطلال » و « هل غادر الشعراء » ... رائعات برأي الناقد الجاهلي ، وكانت كذلك على مر العصور وما زالت طرية يؤيد حكم المعاصر فيها حكم الغابرين ويجد في مطاويها طريفا يزيده على تليده •

وجرير والفرزدق والاخلط ؟ اما كانوا كبارا في عصرهم ؟ واذا اختلف الناس في التفاضيل بينهم فانهم لم يختلفوا في التكامل •

وبشار وابو نواس ؟ اليسا شاعرين كبيرين برأي الناقد المعاصر ؟ ألم يكونا كذلك قبل اليوم ؟ ألم يعترف بهما عصرهما ويحلها مكانا عليا ... وان قلل من قلل من شأنهما فلغرض في نفسه ولسبب خارج عن طبيعة الشعر وبعملية ليست من العملية النقدية •

وكانت أقرب الوسائل الى الادب في محاربتهم : اللغة • ان لغتهما ليست قديمة ، وشعرهما ليس مما يستشهد به • فهل هذه حجة ؟ شُرط في شعر القرن الثاني الهجري ان ينظم بلغة ابن القرن الثاني قبل الهجرة لا ينظم شعر

ليستشهد بلغته على لغة عصور سابقة ؟ ما اسرع ما سقطت الحجة وعلا الشعاعان فكانا في الرأس من المحدثين وصار للمحدثين كيان يبقى على الزمن وإلى اليوم .. ويجد الناقد في كل نظرة مادة معاصرة اجتازت الدهور واخترقت الحجب .

وابو تمام ؟ كم لقي من المزعجين ؟ لقي الكثير . وكنت اود ان تحدثني عن لقي من المحبين ، ولا اخالك تجهل انه لقي منهم الكثير الكثير ، واذا كان رأي المحبين مناقضا لرأي الكارهين فان ذلك يعني ان المعجبين كانوا يملكون خميرة الناقد وكانوا نقادا ، اما الكارهون فلم يكونوا من النقاد في شيء ولم تكن منطلقاتهم نقدية ، ويكون التناقض في هذا طبيعيا وضروريا وحكاية ابن الاعرابي ذات الف دلالة .

والمتنبي ؟ لا تنكر انه لقي المكانة العليا في زمانه ، ولم يلق ذلك عبثا ، ولكنك لا تنكر انه لقي العنت الكبير ، ولقي المؤامرات وتقديم الدون عليه . فلم تريد ان تفهم من هذا تناقضا في الحكم النقدي ، ودليلا على أن النقد يلغي بعضه بعضا ؟ اذا فهت ذلك واصرت عليه فما انت بصاحبي . وان كنت ترى المعجبين نقادا وغير المعجبين غير نقاد فانت اخي وصديقي ولنتذكر معا ان بين الكثيرين الذين اعتنوا ابا الطيب من لم يكن جاهلا قدر شعره وصحته وعمقه وإبداعه ، وانما كان يضيق به لانه يعرف القدر جيدا ، ولكن عوامل جمة منها الحسد وحب الذات والهوى تجعله يرى الاشياء على غير حقيقتها او يذيعها على خلاف ما يعرف من حقيقتها ، فيشغل الناس عن صميم الشعور بأمور غابرة يراها مرة في حياة المتنبي ومرة في سلوكه ومرة في لفظة لا يرتضيها ومعنى لا يروق له ، وما هذا من صميم النقد : وما صاحب بن عباد بناقد للمتنبي . واذا بدا كارهو المتنبي على نقيض من محبيه فذلك الدليل على أن النقد لا يلغي بعضه بعضا وانما النقد الصحيح يطرد ما ليس بنقد .

وهكذا مضى الزمن ، ومضت معه الاحقاد والصغائر والطواريء ، وبقي الطيب وأبو الطيب ، يؤيد فيه النقد الجديد النقد القديم ويزيد كل عصر درجة في العمق ودرجة في العلو .

ليس هذا تماسكا وتأزرا وتعاضدا ... وكان من ثمرة ذلك هذا
الاجماع على خوالد التراث العربي •

ومثل خوالدنا العربية ما وصل إلينا من ماضيها السحيق ، اتريد أن
اذكر بكلكامش ؟ لا . انك في غنى عن هذا . لانك تعلم انها ثمرة ناصجة في
عصرها ، ارتضاها النقد القديم جدا واعزها ، ثم غطت عليها السنون وطمرتها
الاثربة ، ثم اكتشفها الانسان الجديد • ولم لا يكون هذا المكتشف ناقدا ؟
وليكن الذي اكتشفها في الاثار آثاريا ، وليكن الذي استنبط منها مواد حضارية
باحثا حضاريا ... ولكن الذي اعجب بها ناقد ، والذي قرأها فهم بها على أنها
أثر فني ناقد •

وها نحن نقرأها - في ترجمة الاستاذ طه باقر - وكأنها كتبت اليوم في
عبقريّة معاصرة ، ولا يمكنك ان تلغي فيها رأيا قديما او تنقض رأيا غريبا • فاذا
لم يكن هذا دليلا على أن النقد لا يلغي بعضه بعضا فماذا يكون ؟!

ولا يجهل احد الاليادة ، ولا يجهل المسرحيات الاغريقية ، ولا يجهل
الروائع من كل عصر • وقد قال النقد في هذه كلها كلمته • لقد هام الاغريق
بالاليادة بمن فيهم افلاطون • ولم يحاربها افلاطون نكرانا لعظمتها ولكنه اعتمد
في الحرب مقياسا غير المقياس المناسب ، واذا الغى بحكمه حكما سابقا فانما
الغى نفسه ، ولا ادل على ذلك من ذهاب رأيه ادراج الرياح اي انه لم يكن
ناقدا اذ نقض وتناقض ...

لقد هام الاغريق بمسرح اسخيلوس وسوفوكليس واضرابهما • الم يكن
هيامهم نقدا ؟ وتعلم ان للاغريق لجانا تحكم فيما يقدم من مسرحيات ، فتكون
هذه الاولى وتكون لها الجائزة ، وينال اسخيلوس الجائزة اكثر من مرة وينالها
كذلك سوفوكليس ويوريديس وارستوفانيس ... ليست هذه اللجنة ناقدة
ويلتقى حكمها مع حكم الشعب ثم مع حكم ارسطو وهوراس والزمن • وها
نحن اليوم بعد من القرون وانقروا ونقرأها وترجمها ونمثلها ونعجب بها في

كل حال الا يكون دليلا على التآزر وعلى ان النقد لا ينقض نفسه اذا كان قائما على أساس صحيح ؟

وتقول : ان القرون المتوسطة اضربت عن المسرح الاغريقي • ولا اقول : لا ، لان الاضراب حقيقة ، ولكن الحقيقة الاخرى ، الاكبر ، هي ان القرون المتوسطة ليسب قرون نقد • انها لم تقرأ النصوص الاغريقية ولم يسمح لها بالوقوف عليها ، وهذا وحده يكفي لاسقاط نقدها من مسيرة الاحكام على النص الاغريقي •• لقد حكمت القرون المتوسطة بالنص ما ليس منه ، وحكمت على غائب ، وتابع المتابعون جهلا او خوفا او طمعا ••• على غياب من النقد والقوة الناقدة ••• ثم استيقظ النقد وأعلى من مكان المسرحية الاغريقية ، وعد رجوع الحق الى نصابه دليل نهضة انسانية كبيرة وعامل نهضة ••• ومضى الامر قدما منذ القرن الخامس عشر في ايطاليا وفرنسا وغيرهما •• وحتى يومنا هذا في العالم كله ••• فأيد الحاضر الماضي وشد من بنيانه وزاده عمقا الى عمق ووجد فيه ما خفي حتى على عارفي فضله •

اتريد امثلة أخرى ؟ انك أكثر ذكاء وأكثر علما ، ولكنه سؤال سألته استشارة حينا ، وخضوعا لما ترى من واقع خطأ حينا ، والتناقض الذي تراه طبيعي كما هو في كل ظاهرة عقلية ، ولكنه لا يعزى الى النقد وانما يعزى الى دخول - او تدخل - ما هو خارج عن طبيعة النص الادبي وخارج على طبيعة النقد الادبي ، ولا بد من ان يزول الدخيل وتظهر الحقيقة ، وهل هناك حقيقة أجلى من ان شكسبير لم يقدر في زمانه ، وقدم عليه من دونه ، وليكن ، فأقل ما يقال في ذلك ان الناقد لم يكن متوافرا في عصره ، ويكفي في هذا الذي يتصدى لشكسبير ان يكون قليل الذوق ، ضعيف الشخصية خاضعا للتقاليد والحكم السائد ، مقيدا نفسه بالقواعد ، وأية قواعد ؟ ينسبها الى ارسطو ويتمسك بها أكثر من ارسطو ، ولو كان ارسطو في عصر شكسبير لرأى فيه الرأي الحسن ولاستنبط منه قواعد وقوانين ، ولحماء من سدود لا تحتملها العبقرية •

وما هي الا ان غاد الى شكسبير حقه واستعاد مكانه ، وتسابق اليه الالمان

والفرنسيون ، وتنبه الانكليز الى خطئهم ، فاذا الاحكام الصحيحة يؤيد بعضها بعضا .

وكان كورني شاعرا كبيرا وكانت « السيد » مسرحية شعرية كبيرة ، ومع هذا ، ولهذا ، قامت القيامة عليها وعلى صاحبها ، ورميت بالاخفاق ورمي صاحبها بالضعف ، وكاد يرى نفسه وحيدا في الميدان ازاء باطل يلبس لباس النقد ، ويحاسب الرجل بما هو ليس من النبوغ ، ويطلب في « السيد » ما ليس فيها ، وكان يكفيه ظلما له وللنقد ان يكون وراء الحملة الظالمة أقوى رجل في الدولة ، وهو الذي يعيش على مائدته الكثيرون ، بل هو صانع الاكاديمية الفرنسية ... الا وهو الكاردنال الوزير : رشليه الذي يحتج غيظا على من ينتج من الادباء لاخفاق ادبي قديم سحقه ... ووجد المرجفون المتآمرون الحاقدون حججا يروجون بها لسوقهم : لها ظاهر من النقد وليس لها باطن ، لها قشر وما لها لباب ، هي احكام جاهزة لم تصنع للسيد ...

وتمضي سنون واذا الساقطون هم والناجح كورني . ولم يكن في الامر تناقض بين نقد ونقد ، ولكنه تناقض بين من لم يكن ناقد او لم يحتكم الى النقد الصحيح وبين من كان ناقد واجه النص بقلب سليم .

الامثلة كثيرة ..

تضيف اليها أمثلة كثيرة ما قال النقد كلمته فيها ومضت صحيحة على العصور ، وتزداد مع مضيها قوة وعمقا ... ومن هذه الكلمات ما حكمت بالجودة فأصابت ، ولا يقل عنها عددا وشأنا كلمات حكمت بالرداءة فأصمت .

لا يعود سبب التناقض - اذن - ونقولها مرة اخيرة ، الى النقد ، وانما يعود الى ما ليس من النقد والى من لم يكن ناقد او كان ناقد مغلوبا على أمره . والا فالمفروض في النقد الحقيقي الا يلغي بعضه بعضا . ولم تعد المسألة مسألة « مفروض » بعد ان صارت واقعا تؤيده الادلة - ووراء هذا الواقع مسؤولية كبيرة ادركتها امم سبقتنا ، وبقي علينا ان نلحق وان نتصدر - وذلك آت .

آب (أغسطس) ١٩٧٦

الفهرست

٥

المقدمة

(١)

١١	الجائزة الاولى
١٤	مواهب صغيرة
١٧	الجواهري وحده ... !
٢٠	يوسف الصائغ ... حاله !
٢٤	محمد خضير ... وحده ..
٣٠	قصة الستينات كانت صادقة
٣٢	هل من سبعينات
٣٦	وإذ تحدثوا عن مهرجان أبي تمام
٤٠	محمد عوض محمد
٤٤	الثناء عبء ومسؤولية
٤٧	الطرف الاول في مسؤولية الثناء
٥٠	المسرحية جيدة والتمثيل جيد ... ولكن ...
٥٤	الشاعر الكبير
٥٧	ازمة أصوات
٦٠	قصيدتان ... ومشكلة
٦٣	ندوة للأدباء وندوة للفنانين بينهما بون
٦٦	بين الفنانين العراقيين والادباء العراقيين
٦٩	شكسبير ... لا يوصف
٧٢	٥ حزيران
٧٥	شاهدت الطوفان

(٢)

٨١	النقد إذ يتجدد
٨٤	كتاب لا تفراه ..
٨٨	شرط في الفني
٩٢	ناقد لا تفرا له
٩٧	النص اولا

(٣)

١٠٣	ازدواجية المجلات
١٠٨	إذ يقع البحث في كذا صفحة
١١١	من أحذية بيكاسو الى أحذية المتنبي
١١٤	المكتبة العراقية
١١٧	مجلة المكتبة العراقية
١٢٠	المورد ... ولكن
١٢٤	من أجل مكتبة مثالية
١٢٩	مرض العالمية
١٣٢	الرد على النقد
١٣٦	ثقافة الحكم
١٤٠	الرصاصي يضم الراء
١٤٣	إذ تحولت العمامة الى سدارة
١٤٧	مجلة المسرح والسينما
١٥٢	ولدت الدار الوطنية للنشر والتوزيع في اوانها
١٥٧	فرق بين أن تدعي الجديد ... وأن تقدر عليه
١٦٠	ليست اللغة العربية صعبة
١٦٤	من ميم ميسان ... الى همزة يرأس ..
١٦٧	شيء في الجو
١٧١	ه حزيران والأدب العراقي
٢٩١	

(٤)

- ١٨٣ الصحيفة
١٨٩ سائلي عما يورقني
١٩٥ بغداد عاصمة من غير مكتبة وطنية
٢٠٠ « المقالة » و « الرثاء »
٢٠٤ البصير مؤلفا
٢٠٩ حماسة الشبيبي . . رسالة وتطبيق
٢٢٠ تدليس في نشر الكتب
٢٢٥ لغة مجلة الاسبوع العربي
٢٢٨ علماؤنا . . . واللغة العربية
٢٣١ القربان . . بين القصة والمرحبة والتمثيل
٢٣٨ دراسات معاصرة
٢٤٣ كتاب فرنسة اليوم
٢٤٧ أصول ترجمة العنوان
٢٥٣ نقد الترجمة

(٥)

- ٢٥٩ من شؤون النقد
٢٦٥ من شؤون النقد في البلاد العربية
٢٧٠ النقد الادبي في العراق — عن الريادة
٢٧٤ الشعر وهل يموت
٢٨٠ هل الشعر العربي في أزمة
٢٨٤ هل يلغى النقد بعضه بعضا

تصميم الفلاف : نضال الاغلا
التصميم الداخلي : احمد سالم
الخطوط : خالد الخالدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٤١٨ لسنة ١٩٧٧

الْجُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِيَّةُ
مِنْدَلَةُ الْاَمْنِ
بَغْدَادُ

السعر: ٢٥٠ فلسًا

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلام

دار الحرية للطباعة
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
بغداد

السعر: ٢٥٠ فلساً

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلام

دار الحرية للطباعة
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م